سيرة الحسن عليه السلام

في الحديث والتاريخ..

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

٢٠١٨م - ١٤٣٩هـ

المركز الإسلامي للدراسات
لبنان - بيروت - الضاحية الجنوبية - أوّل حي ماضي
بناية حجازي - ط1 - تلفاكس: 00961.1.274519
البريد الالكتروني: alhadi2@hotmail.com

المنشورات: بيروت - بئر العبد - سنتر الانماء 3 - 00961 70995421
البريد الالكتروني: dirasat14@gmail.com

سيرة الحسن عليه السلام

في الحديث والتاريخ..

السيد جعفر مرتضى العاملي

الجزء السابع

المركز الإسلامي للدراسات

بسم الله الرحمن الرحيم

الفصل الخامس

وصايا علي ×..

بداية:

إننا نذكر في هذا الفصل خصوص النصوص التي ذكرت نشاط الإمام الحسن «عليه السلام» وحركته، فيما يرتبط بشهادة أبيه «صلوات الله وسلامه عليه»، إما استقلالاً، أو ما تشارك فيه مع أخيه الحسين «عليهما السلام» في ذلك، فنقول:

المتهم قبل ارتكابه الجريمة:

أحمد بن الحسن بن علي بن فضال، عن علي بن أسباط، يرفعه إلى أمير المؤمنين «عليه السلام» قال: دخل أمير المؤمنين الحمام، فسمع صوت الحسن «عليه السلام» والحسين «عليه السلام» قد علا، فقال لهما: ما لكما فداكما أبي وأمي؟!

فقالا: اتَّبعك هذا الفاجر ـ يقصد ابن ملجم ـ فظننا أنه يريد أن يضرك.

قال: دعاه، والله ما أطلق إلا له[1].

ونقول:

---

(1) بصائر الدرجات ص234 و (ط طهران سنة 1404هـ) ص500 و 501 ومختصر بصائر الدرجات ص6 وبحار الأنوار ج42 ص197 وراجع ص234 وراجع: الخرائج والجرائح ج2 ص771 ومدينة المعاجز ج3 ص42.

تدل هذه الرواية على ما يلي:

1 ـ إن أمير المؤمنين كان على يقين من أنه مقتول: ويعلم بقاتله، وباسمه، وشخصه، وقد بلغ «عليه السلام» في يقينه هذا إلى حد أنه يقسم بالله على ذلك.

2 ـ إن ابن ملجم كان ظاهر الفجور والإنحراف، كما أخبر به الحسنان «عليهما السلام»، ولم يعترض أبوهما عليهما فيما قالاه عنه.. ولذلك، فنحن لا ندري سبب اهتمام عمر بن الخطاب به حيث كتب إلى عامله على الكوفة.. وأن قرِّب دار ابن ملجم من المسجد، ليعلِّم الناس القرآن والفقه(1).

إلا إن كان ابن ملجم يتظاهر بالصلاح في عهد عمر، ولم يكن قد ظهر انحرافه وفجوره للناس آنئذٍ..

ثم ظهر ذلك فيما بعد، فقد نقل عنه: أنه ليلة قتله لعلي «عليه السلام» قد شرب الخمر عند قطام، وزنى بها، وقتل علياً استجابة لطلبها(2).

وقد يؤيد ذلك: أنهم «عليهم السلام»كانوا يعرفون: أن حاضنة ابن ملجم في صغره كانت يهودية(3). وللحاضنة تأثير على الطفل الذي تربيه، بل قال

(1) لسان الميزان ج3 ص440 والأنساب للسمعاني ج1 ص451 وتاريخ الإسلام للذهبي ج3 ص653.

(2) الفتوح لابن أعثم ج4 ص278 وراجع 554 ومناقب آل أبي طالب (المطبعة العلمية) ج3 ص311 و (ط المكتبة الحيدرية)ج 3 ص95 وبحار الأنوار ج42 ص239 ومستدرك سفينة البحار ج9 ص228 ونهج السعادة ج7 ص110.

(3) الفتوح لابن أعثم ج4 ص276 و 277 ونهج السعادة ج7 ص96 ومطالب السؤول ص239 وكشف الغمة ج1 ص276 و (ط دار الأضواء سنة 1405هـ)

عنه علي «عليه السلام» هو يهودي(1).

3 ـ إن هذه المبادرة من الحسنين «عليهما السلام» قد دلت على جواز وضع الموانع أمام من يخشى أن يرتكب جرماً، والتسبب بعجزه عن ارتكاب ما يظن أنه بصدد ارتكابه..

أي إن التحرز والإحتياط، وصيانة من قد يكون هدفاً للعدو، باتخاذ إجراءات تمنع من اقتراب من لا يؤمن عليه منه ـ إن ذلك ـ أمر سائغ، بل واجب.. ولاسيما إذا كان المستهدف بالسوء هو إمام الأمة، الذي يجب إبعاد الخطر عنه بكل حيلة ووسيلة سائغة.. ولاسيما إذا كان النبي قد أخبر عن هذا الأمر، وحدَّد الشخص الذي سيرتكب الجريمة المتوقع حدوثها بعينه.

4 ـ إن هذا الذي حدث يدل على يقظة الحسنين «عليهما السلام»، واهتمامهما بإبعاد الخطر عن أبيهما «صلوات الله وسلامه عليه»، وإصرارهما على ذلك، ولو انجرَّ الأمر إلى التشاجر، وعلو الأصوات.. ولو استمر الحال، فربما تطورت الأمور إلى ما هو أشد وأبعد من ذلك..

5 ـ إن علياً «عليه السلام» قد أمر ولديه أن يتركا ابن ملجم وشأنه، مع

ج1 ص279 والمحجة البيضاء ج4 ص197.

(1) راجع: تاريخ مدينة دمشق ج42 ص554 وترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق (بتحقيق المحمودي) ج3 ص293 وكنز العمال (ط الهند) ج15 ص174 و (ط مؤسسة الرسالة) ج13 ص125 وحياة الصحابة ج3 ص75 ومنتخب كنز العمال (بهامش مسند أحمد) ج5 ص62 ونهج السعادة ج7 ص103 والكامل لابن عدي ج3 ص464 وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج7 ص361 وج17 ص537.

تصريحه بحتمية إقدامه على تلك الجريمة الشنيعة.. ولعل سبب ذلك: أنه وان كان على يقين من ذلك، ولكنه كان يعلم أيضاً: أن حصول هذا الأمر منه سترافقه أمور وأحوال تدل على حضور وقته، ولعل منها صياح الأوز في وجهه «عليه السلام»، وانحلال إزاره، وأن الجريمة ستقع في المسجد، وفي حال الصلاة، وفي ليلة القدر، وغير ذلك[1].

إعتقال المجرم.. ووصايا علي ×:

1 ـ وقالوا: إنه حين ضرب ابن ملجم «لعنه الله» علياً «عليه السلام» في مسجد الكوفة «خرج الحسن والحسين «عليهما السلام»، وأخذا ابن ملجم وأوثقاه»[2].

2 ـ ذكروا: أنه لما ضربه ابن ملجم «لعنه الله» دعا «عليه السلام» بابنيه الحسن والحسين «عليهما السلام»، وأقعدهما بين يديه، ودعا أيضاً بمن حضر من ولده وأهل بيته، وأقبل عليهم بوجهه، وقال: يا بُني! إني موصيكم بتقوى الله وطاعته، وأن لا تبغوا هذه الدنيا وإن بغتكم على شيء زوي عنكم الخ..

إلى أن قال «عليه السلام» لولده ابن الحنفية: يا بني! أفهمت ما أوصيت به إخوتك وغيرهما؟!

قال: نعم يا أمير المؤمنين!

فقال علي «رضي الله عنه»: فإني موصيك بمثل ذلك، وأوصيك أيضاً

(1) راجع: الصحيح من سيرة الإمام علي «عليه السلام» ج46 فصل حديث الاستشهاد.

(2) راجع: الأمالي للطوسي ص365 وبحار الأنوار ج42 ص205 و 206.

بتوقير إخوتك: الحسن والحسين، وأن لا تقطع أمراً دونهما.

ثم أقبل عليهما، فقال: يا حسن ويا حسين! إني قد أوصيت أخاكما بكما، وأوصيكما به، وقد علمتما بأن أباكما كان يحبه، فأحباه بحب أبيكما له..»[1].

وفي نص آخر: أنه كان يخاطب الإمام الحسن «عليه السلام» في وصيته، فكان مما قاله له: «وأوصيك بأخيك محمد خيراً، فإنه شقيقك وابن أبيك، وقد تعلم حبي له.

وأما أخوك الحسين، فهو ابن أمك، ولا أزيد الوصاة بذلك»[2].

وله «عليه السلام» وصية أخرى لأولاده مروية عن الإمام الباقر «عليه السلام»، وهي ترتبط بمعاشرة الناس[3].

ونقول:

---

(1) الفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج4 ص279 و 280 وراجع: سبل الهدى والرشاد ج11 ص304 و 305.

(2) الأمالي للمفيد ص220 والأمالي للطوسي ص7 كلاهما عن الفجيع العقيلي؛ والفصول المهمة لابن الصباغ ص133 و (ط دار الحديث سنة 1422هـ) ج1 ص620 ومصباح البلاغة (مستدرك نهج البلاغة) ج3 ص154 وج4 ص166 وبحار الأنوار ج42 ص202 وج75 ص98 وموسوعة أحاديث أهل البيت للنجفي ج8 ص465 ونهج السعادة ج8 ص137.

(3) الأمالي للطوسي ص595 عن جابر بن يزيد، وتنبيه الخواطر ج2 ص75 و (ط دار الكتب الإسلامية) ج2 ص394 وبحار الأنوار ج42 ص247 و 253 وج71 ص163 وراجع: نهج البلاغة، الحكمة 10 وعيون الحكم والمواعظ ص242 ونهج السعادة ج8 ص252 وأعلام الدين ص215.

علي في وصاياه:

وغني عن القول: أن وصايا أمير المؤمنين «عليه السلام» لأولاده وللناس قد تعددت.. وقد ذكرنا طائفة منها في الأجزاء الأخيرة من كتابنا: الصحيح من سيرة الإمام علي «عليه السلام»، وذكرنا عدداً منها في كتابنا هذا أيضاً.. ونحن نكتفي بهذا المقدار، وبما سيأتي من وصايا له «عليه السلام» صرَّحت: بأنه يوجِّهها للحسن وحده، أو له ولأخيه الحسين «عليهما السلام»، ومنها ما يرتبط بقاتله، أو بتجهيزه ودفنه، أو يرتبط ببعض الأموال، وكذلك ما يرتبط بالإمامة والخلافة من بعده، فنقول:

توقير ابن الحنفية للحسن والحسين ’:

تقدم: أنه «عليه السلام» أمر ابن الحنفية «رحمه الله»:

أولاً: بتوقير الحسنين «عليهما السلام».

ولعل الداعي لهذه الوصية: أن طول العشرة، وكثرة المخالطة بين الإخوة تسقط الكلفة بينهم، وتتضاءل معها مكانة من يعاشرونه في أنفسهم، إلى أن يغيب الشعور بالميزات، والفوارق في الأخلاق والسلوك، والتفاوت بالمعارف والعلوم، وفي الفهم والدراية، والحكمة، والعقل، وما إلى ذلك..

وهذا الشعور ينتهي إلى التخلي عن الإلتزامات التي يفترض الوفاء بها، لأنها منبثقة عن استحقاقات وخصوصيات واقعية، واعتبارات، ومناشئ راهنة لم يطرأ عليها أي تغيير في مستويات حضورها لدى الطرف الآخر.

وهذا التراجع في مستوى الإلتزامات إنما يكون من غير المعصوم، ممن لا يبلغ في علمه وإدراكه، وفي أخلاقه، وسائر حالاته وصفاته درجة الأئمة

المعصومين المكرمين.. وقد يجرُّ إلى تصرفات طائشة أو عشوائية ـ ولو عن غير قصد ـ تفتقر إلى الدقة والإتزان.. ولا بد من التراجع عنها، لاسيما إذا أفضى ذلك إلى نوع من التغافل والتواني في الواجبات، والإستهانة، أو سوء الأدب، أو التهاون في مقام الطاعة والإنقياد، وما إلى ذلك.

ولأجل ذلك خصَّ علي «عليه السلام» محمد ابن الحنفية بالأمر بتوقير أخويه الإمامين المعصومين، الحائزين على أسمى الصفات، وأجل الفضائل والامتيازات.

ثانياً: إن علياً «عليه السلام» أصدر لمحمد ابن الحنفية أمراً آخر يقضي بأن لا يقطع أمراً دون موافقة أخويه الحسن والحسين «عليهما السلام». مع أن مجرد أخوَّته النسبية لهما، ربما لا تفرض سلبه حرية القرار إلى هذا الحد، ولاسيما في جميع الأمور. مما يعني: أن الذي اقتضى هذا الأمر هو معنى الإمامة في أخويه، والولاية التي قررها الله ورسوله لهما «عليهما السلام».

لماذا خصوص ابن الحنفية؟!:

وقد قرر «عليه السلام»: أن يوصي الحسن والحسين «عليهما السلام» بأخيهما محمد ابن الحنفية..

ونلاحظ: أنه «عليه السلام» لم يوص الحسنين بأي من أبنائه الآخرين غير محمد ابن الحنفية. كما أننا لم نجد لسائر أبنائه «عليه السلام» دوراً يذكر، لا في حرب الجمل، ولا صفين، ولا النهروان، وإلى أن استشهد أمير المؤمنين «عليه السلام».

ولعل السبب في تخصيص ابن الحنفية بذلك، دون سائر إخوته، ما عدا الحسنين «عليهما السلام»: أن أولاده الآخرين كانوا حين وفاته صغاراً، وقد

استشهد أكثرهم يوم عاشوراء، مع أخيهم الإمام الحسين «عليه السلام».. وبعضهم مات في حياة أبيه.. وكانوا في حروب الجمل وصفين والنهروان، وإلى حين وفاته «عليه السلام» صغار السن.

وتدل عليه النصوص التي سيمر معنا بعضها، ومنها نصوص ذكرت أعمارهم حين استشهادهم في كربلاء، باستثناء ولده عمر الأطرف، الذي ولد في خلافة عمر بن الخطاب، كما في بعض النصوص.. فإن كان قد ولد في آخرها، فإن عمره في الجمل وصفين والنهروان، لم يكن يسمح بمشاركته في الحرب.. ولكنه حين استشهاد أبيه كان شاباً، ولعل عمر هذا كان حين استشهاد أبيه مع أمه في المدينة، ولم يأتِ إلى العراق.

وقد أظهرت سيرته بعد ذلك: بأنه لم يكن يمكن التعويل عليه، ولم يكن بالمستوى المطلوب، في أفكاره، وفي مساره..

فظهر: أن الشخص الوحيد من أولاد علي «عليه السلام» الكبار في السن الذي يحتاج إلى اهتمام الحسنين، هو ذلك الرجل المجاهد، الباذل نفسه في سبيل الله، وهو محمد ابن الحنفية، الذي يريد أن يثبته «عليه السلام»، ويقوِّيه على الحق، وأن يأخذ أخواه بيده، ليكون عوناً لهما على إقامة دين الله في ظرف هو من أصعب الظروف وأعقدها.. حيث إن مردة الشياطين، وجبابرة الشجرة الملعونة ودهاتها كانوا يعملون ليل نهار على محق دين محمد «صلى الله عليه وآله».

فالحاجة إلى محمد ابن الحنفية أكيدة وشديدة، ولزوم حفظه، وتأييده، وتسديده ورعايته من أخويه الإمامين المعصومين مما لا يمكن الإغماض أو التخلي عنه.

وأما باقي إخوته الصغار.. فإن الحسنين «عليهما السلام» لن يغفلا عن رعايتهم وحمايتهم، فإنهما إذا حفظا الكبار، فإنهما لن يتركا إخوتهما الصغار، ولن يغفلا عنهم وعن حفظهم من الأشرار، ومن طوارق الليل والنهار..

رعاية الحسنين ' لابن الحنفية:

1 ـ ونلاحظ: أنه «عليه السلام» قال للحسن والحسين عن أخيهما محمد: «أوصيكما به» وهي كلمة تنبسط على جميع شؤونه وحالاته، فتجب عليهما رعايته وتسديده فيها كلها. وهذا يلتقي مع قوله لمحمد: «لا تقطع أمراً دونهما».

2 ـ وهناك فرق بين أن توصي الشخص بغيره، لتحمِّله مسؤولية حفظ ورعاية ذلك الغير، وبين أن توصي بالشخص، وتجعل له من يشاركه في جميع قراراته.. فإن هذه الوصية قد تدل على أنه سيواجه أموراً كبيرة وخطيرة عليه، يحتاج فيها إلى المعونة، والتسديد والرعاية لتجاوزها..

3 ـ ثم قال لهما: «وقد علمتما بأن أباكما كان يحبه، فأحباه بحب أبيكما له». زاد في رواية المفيد والطوسي قوله للحسن «عليه السلام»: «فإنه شقيقك وابن أبيك».

ونستفيد من هذه الفقرة:

أولاً: أن الأخ من الأب فقط يقال له: «شقيق»، كما يقال: الشقيق للأخ من الأب والأم معاً..

فلا معنى لما اشتهر، من أن الشقيق هو الأخ من الأب والأم معاً فقط[1].

---

(1) راجع: أقرب الموارد ج1 ص603 و 604.

إلا أن يدَّعى: أن الأخ غير الشقيق هو من كان أخاً لشخص آخر من أمه، وإن اختلف أبواهما، وهذا يحتاج إلى شاهد..

ثانياً: إن للأخوة النسبية حقوقاً خاصة تزيد على حق الإسلام والإيمان. وحق الجار، وغير ذلك من الحقوق العامة.

ثالثاً: إن حب الأب لابنه يمنح ذلك الإبن حقاً آخر أيضاً، وهو أن يراعي إخوته جانبه بِرّاً منهم بأبيهم، ووفاء منهم لحق الأبوة التي منحت ذلك الأخ هذا الحب، وإضافته إلى نفس الأب، لترضى نفسه به.

برّ الحسن والحسين ’:

وقد أوصى «عليه السلام» ولده الإمام الحسن «عليه السلام» بأخيه الإمام الحسين، فقال: «وأما أخوك الحسين، فهو ابن أمك، ولا أزيد الوصاة بذلك».

ومعنى هذا: أن بره بأخيه الحسين له درجات في الفضل عند الله، وهي بالإضافة إلى حق الإيمان والإسلام:

1 ـ أنه أخوه وشقيقه.

2 ـ أنه يعلم حب أبيه للحسين، فيكون برّه به براً بأبيه..

3 ـ أنه ابن أمه، فبره به بر بأمه الزهراء «عليها السلام».

4 ـ ومن الواضح: أن البرّ بالزهراء «عليها السلام» برّ بأبيها رسول الله «صلى الله عليه وآله».

5 ـ كما أنه يعلم حب رسول الله «صلى الله عليه وآله» للحسين «عليه السلام»، فيكون بره برسول الله تارة لحب النبي للحسين، وأخرى لحب النبي

للزهراء «عليها السلام» التي يكون البر بها براً بأبيها.

الوصية للإمام الحسن:

ويلاحظ: أن الخطاب في الوصايا يكون على العموم للحسن «عليه السلام» وحده، أو منضماً إلى أخيه الإمام الحسين، أو مع إخوته.. وربما كان إفراده بالخطاب هنا رعاية لموقع الإمامة الفعلية فيه.

فلاحظ ما يلي:

الإمامة والوصية:

وفيما يرتبط بالوصية بالخلافة، فقد رووا: أن أمير المؤمنين «عليه السلام» قال: «وإني أوصي إلى الحسن والحسين؛ فاسمعوا لهما، وأطيعوا أمرهما»[1].

وقال الكليني «رحمه الله» وغيره:

عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ حَمَّادِ بْنِ عِيسَى، عَنْ عَمْرِو بْنِ شِمْرٍ، عَنْ جَابِرٍ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ «عليه السلام» قَالَ: أَوْصَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ «عليه السلام» إِلَى الْحَسَنِ، وأَشْهَدَ عَلَى وَصِيَّتِه الْحُسَيْنَ «عليه السلام» ومُحَمَّداً، وجَمِيعَ وُلْدِه، ورُؤَسَاءَ شِيعَتِه، وأَهْلَ بَيْتِه، ثُمَّ دَفَعَ إِلَيْه الْكِتَابَ والسِّلَاحَ.

ثُمَّ قَالَ لِابْنِه الحَسَنِ: يَا بُنَيَّ، أَمَرَنِي رَسُولُ الله أَنْ أُوصِيَ إِلَيْكَ، وأَنْ أَدْفَعَ إِلَيْكَ كُتُبِي وسِلَاحِي كَمَا أَوْصَى إِلَيَّ رَسُولُ الله، ودَفَعَ إِلَيَّ كُتُبَه وسِلَاحَه.

---

(1) عيون المعجزات ص43 وإثبات الوصية ص152 والخرائج والجرائح ج1 ص183 ومدينة المعاجز ج3 ص55 وج2 ص177 وبحار الأنوار ج41 ص296 وج42 ص87.

وأَمَرَنِي أَنْ آمُرَكَ إِذَا حَضَرَكَ الْمَوْتُ أَنْ تَدْفَعَه إِلَى أَخِيكَ الْحُسَيْنِ.

ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى ابْنِه الْحُسَيْنِ وقَالَ: أَمَرَكَ رَسُولُ الله «صلى الله عليه وآله» أَنْ تَدْفَعَه إِلَى ابْنِكَ هَذَا.

ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِ ابْنِ ابْنِه عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ، ثُمَّ قَالَ لِعَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ: يَا بُنَيَّ، وأَمَرَكَ رَسُولُ الله «صلى الله عليه وآله» أَنْ تَدْفَعَه إِلَى ابْنِكَ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ، وأَقْرِأْه مِنْ رَسُولِ الله «صلى الله عليه وآله» ومِنِّي السَّلَامَ.

ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى ابْنِه الْحَسَنِ، فَقَالَ: يَا بُنَيَّ، أَنْتَ وَلِيُّ الأَمْرِ، ووَلِيُّ الدَّمِ، فَإِنْ عَفَوْتَ، فَلَكَ، وإِنْ قَتَلْتَ، فَضَرْبَةٌ مَكَانَ ضَرْبَةٍ، ولَا تَأْثَمْ(1).

ونقول:

إن النص الأول المتقدم، عن عيون المعجزات، وإثبات الوصية، والخرائج والجرائح ناظر إلى الوصية للحسن والحسين بالخلافة، لأن هذه الوصية هي التي يفترض بالناس أن ينصاعوا لها، ويعملوا بمقتضاها، إذ هي ليست وصية مالية، أو أخلاقية، أو تعنى بأداء الحقوق الشخصية، أو نحو ذلك.

2 ـ إذا كانت هذه الوصية ناظرة إلى الخلافة والحاكمية، فإن ذكر الحسن والحسين معاً فيها، لا بد أن يكون على نحو التراتبية، فيكون الأمر للحسن أولاً، فإذا انقضت أيامه انتقل الأمر للحسين «عليه السلام».

---

(1) الكافي ج1 ص298 و 299 ومرآة العقول ج3 ص292 و 293 وراجع: دعائم الإسلام ج2 ص348 ومن لا يحضره الفقيه ج4 ص189 وتهذيب الأحكام ج9 ص176 وبحار الأنوار ج42 ص250 والدر النظيم ص378 و 379.

3 ـ كما أن النص الآخر الذي ذكره في الكافي ظاهر بأن الحديث فيه عن الوصية للحسن «عليه السلام» بالخلافة، أو التصدي لشؤون الأمة بثلاث قرائن:

الأولى: أنه «عليه السلام» قد أشهد عليها الحسين ومحمداً، وجميع ولده، ورؤساء شيعته وأهل بيته، فإن إشهاد هؤلاء جميعاً على وصية مالية أو نحوها لا يحتاج كل هذا.. فإشهادهم يدل على أن مضمون الوصية للإمام الحسن يعنيهم بنحو أو بآخر.

الثانية: أنه دفع للإمام الحسن «عليه السلام» الكتاب والسلاح.. وهذا إشارة إلى الإمامة والخلافة، حيث إن مواريث الأنبياء من كتب وغيرها، وسلاح رسول الله، وكتب الأوصياء وما يختص بهم يكون عند الإمام، وينتقل من السابق إلى اللاحق، فيكون ذلك من شواهد ودلائل وعلامات إمامته.

وقد أوضح ذلك بقوله «عليه السلام» للحسن «عليه السلام»: أمرني رسول الله أن أوصي إليك، وأن أدفع إليك كتبي وسلاحي، كما أوصى إلي رسول الله، ودفع إلي كتبه وسلاحه، وأمرني أن آمرك، إذا حضرك الموت أن تدفعها إلى أخيك الحسين «عليه السلام».. ثم ذكر: أنه أيضاً يدفعه للإمام السجاد «عليه السلام»، ثم منه إلى الباقر «عليه السلام».

الثالثة: قوله «عليه السلام» للإمام الحسن «عليه السلام» في آخر وصيته: «يا بني، أنت ولي الأمر، وولي الدم»، صريح في أمر الإمامة والخلافة أيضاً .

4 ـ وأما إشهاد الحسين «عليه السلام» وأخيه محمد، وجميع ولده، وأهل بيته، بالرغم من أن أكثر ولده كانوا صغار السن آنئذ، فلعله لأجل أن لا

يخطر في بال أحد منهم، أو بال أحد من الناس: أن يمنِّي أحد من ولده نفسه بهذا الأمر، كعمر الأطرف أو غيره، ويقطع بذلك دابر الادِّعاءات والتقولات في أمر الإمامة، وليبقى الأمر محصوراً بعد الحسن والحسين بالأئمة المنصوص عليهم من ذريته..

وقد رأينا: أن معاوية كان قد حاول أن يخدع ابن عباس، ويطمعه في هذا الأمر، ليترك نصرة علي «عليه السلام»، وحاول عبيد الله بن عمر أن يخدع الإمام الحسن والحسين «عليهما السلام» في صفين بذلك، فباء هو ومعاوية بالخيبة والخسران..

فإذا كان شياطين الفتنة يفكرون ويخططون، ويبادرون إلى محاولة خداع حتى من هو مثل الحسن والحسين وابن عباس، فلماذا لا يحاولون مثل ذلك مع من هو أدنى من هؤلاء مقاماً، وعلماً وبصيرة بنظرهم.

وربما كان يكفيهم إشاعة شيء من هذا القبيل، إذا أوجبت الإشاعة شيئاً من البلبلة والإرباك، وإثارة الشكوك داخل أهل الصف الواحد؟!

5 ـ ويلاحظ: أنه «عليه السلام» قد قال للإمام الحسن في آخر كلامه: «يا بني، أنت ولي الأمر، وولي الدم، فإن عفوت فلك الخ..» فجمع له «عليه السلام» بين ولاية الأمر، التي يراد بها أمر الناس، وتدبير شؤونهم، وبين ولاية الدم من حيث هو الإمام بعده، ومن حيث هو ولده، فولايته للدم ناشئة عن صلته النسبية بأبيه الشهيد، أما ولايته للأمر فتستند إلى إمامته، المجعولة له من الله ورسوله، وتصريح أبيه: بأن الأمر له من بعده، لحيازته لسماتها وصفاتها، وحالاتها من العلم، والعصمة، والتقوى، والحكمة، وغير ذلك.

6 ـ دلت هذه الرواية أيضاً على أن إمامة الإمام الحسن والحسين منصوص عليها، وموصى بها من رسول الله «صلى الله عليه وآله».. مع بيان منه «صلى الله عليه وآله» للتفاصيل العملية، فيما يرتبط بالانتقال من مرحلة الإنشاء والجعل إلى مرحلة امتلاك زمام الأمور بصورة فعلية وعملية.

وصرح «**عليه السلام**»: بأن كل هذه التفاصيل التي تعرَّض لها في كلامه، إنما تلقاها من رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فلا مجال لادِّعاء: أنه قد فعل ذلك لرغبة شخصية، أو لمصلحة خاصة، أو لاندفاع عاطفي، أو ما إلى ذلك.

7 ـ إن الوصية بالإمامة والخلافة من قبل علي «عليه السلام» للإمام الحسن لم تكن قولية فحسب، ليدعي مدَّع بأنها مجرد ترجيح وإرشاد، بل هي مكتوبة وناجزة ومبرمة، وقد شهد عليها أهل بيت أمير المؤمنين «عليه السلام» ورؤساء شيعته.

8 ـ يلاحظ: أنه «عليه السلام» أعاد كلامه حول الوصية بالإمامة منه «عليه السلام»، ومن رسول الله «صلى الله عليه وآله» مرة بعد أخرى، لكي لا يفسح المجال لادِّعاء شبهة إجمال، أو إبهام، أو عموم أو خصوص.

9 ـ يلاحظ: أنه «عليه السلام» في كلامه مع ولده الإمام الحسن قال له: «وأمرني أن آمرك»، فدل بذلك على أنه هو «عليه السلام»، الذي يصدر الأمر لخليفته.

ولكنه «عليه السلام» حين خاطب الإمام الحسين والسجاد في أمر الإمامة: قال لهما: «..وأمرك رسول الله أن تدفعه إلى ابنك هذا»، فأخرج نفسه من الأمر المباشر، ونسبه إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» مباشرة.

وسبب ذلك: أن إمامة الإمام الحسين إنما تبدأ مرحلة فعليتها بموت أخيه الحسن، فالإمام الحسن هو الذي يوكل أمر الإمامة الفعلية إليه، ويسلمه الكتب والسلاح، ومواريث الأنبياء.. فالإمام علي «عليه السلام» لا يكون موجوداً، فلو كان هو الآمر للحسين، فقد يقال: إنه لا تجب طاعته بعد موته في ذلك..

ولكن لا أحد يناقش، أو يشكك في أن النبي «صلى الله عليه وآله» تجب طاعته فيما يأمر به، ولو كان يتعلق بما بعد موته بآلاف السنين.

كما أن إمامة الإمام السجاد الفعلية إنما يتلقاها من أبيه مباشرة حين حضور أجل أبيه، ولا يتلقاها من عمه الحسن، أو من جده علي «عليهم السلام».

ولأجل ذلك أسند الأمر الصادر للحسين وللسجاد إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، لا إلى نفسه «عليه السلام»، لأنه حين يريد الحسين نقل الإمامة الفعلية للسجاد يكون ذلك بأمر من رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وأما علي والإمام الحسن «عليهما السلام» فلا يكونان موجودين.

كما أنه حين يريد السجاد نقل الإمامة الفعلية للباقر لا يكون الحسين، ولا الحسن، ولا علي موجودين، فلذلك أسند الأمر بذلك إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله».

الحسنان ' في صدقات علي:

صرح علي «عليه السلام» في وصيته بأمواله: بأنه يطلق يد الحسن والحسين في صدقاته وأمواله: بأن يأكل كل منهما بالمعروف، وينفقها حيث يراه، وفي كل حل محلل لا حرج عليه فيه، ثم قال:

«وإنما جعلت الذي جعلت لابني فاطمة ابتغاء وجه الله عز وجل، وتكريم حرمة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وتعظيمهما، وتشريفهما، ورضاهما»(1).

عين أبي نيزر:

لما استنبط أمير المؤمنين «عليه السلام» عين أبي نيزر كتب كتاباً جاء فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما تصدق به عبد الله علي أمير المؤمنين، تصدق بالضيعتين المعروفتين بعين أبي نيزر والبغيبغة على فقراء أهل المدينة، وابن السبيل، ليقي الله بهما وجهه حرّ النار يوم القيامة.

لا تباع، ولا توهب، حتى يرثهما الله، وهو خير الوارثين، إلا أن يحتاج إليهما الحسن أو الحسين، فهما طلق لهما، وليس لأحد غيرهما(2).

---

(1) الكافي ج7 ص49 ـ 51 وج6 ص77 وتهذيب الأحكام ج9 ص146 ووسائل الشيعة (آل البيت) ج19 ص199 ـ 202 و (الإسلامية) ج13 ص312 ـ 314 وروضة المتقين ج11 ص172 ـ 175 والوافي ج10 ص561 ـ 563 ومصباح البلاغة (مستدرك نهج البلاغة) ج4 ص231 ـ 232 وبحار الأنوار ج41 ـ 42 وج42 ص71 ـ 74 ومرآة العقول ج23 ص83 ـ 88.

(2) راجع الكامل للمبرد ج1 ص132 و (ط أخرى) ج3 ص208 ومناقب الإمام أمير المؤمنين للكوفي ج2 ص81 ومستدرك الوسائل ج14 ص62 و 63 ومعجم البلدان (ط مصر) ج6 ص251 و (ط دار إحياء التراث العربي سنة 1399هـ) ج4 ص176 والكنى والألقاب ج3 ص138 و 139 والجوهرة في نسب الإمام علي وآله ص91 و 92 وربيع الأبرار (مخطوط) ص679 و (ط الأعلمي سنة 1412هـ) ج5 ص347 وأعيان الشيعة ج1 ص434 ومعجم ما استعجم ج2

قال المبرد: إن علياً «عليه السلام» قد جعل عين أبي نيزر والبغيبغة صدقة، وكتب الكتاب بذلك، لسنتين من خلافته «عليه السلام»[1].

وقد يمكن الريب في كلام المبرَّد هذا، لأننا لا نعلم أن علياً «عليه السلام» بعد أن ذهب إلى العراق في أول خلافته قد عاد إلى المدينة منذ تركها.

وبعدما تقدم نقول:

هناك خمسة أهداف توخاها علي «عليه السلام» من إطلاق يد الحسن والحسين «عليهما السلام» في صدقاته وأمواله، وهي:

أولاً: التقرب إلى الله ونيل رضاه.. فليس الدافع هو العاطفة الشخصية بملاحظة أنه أبوهما وأنهما ابناه.

ثانياً: تعظيم وتكريم حرمة رسول الله «صلى الله عليه وآله» وهذا يدل على أنهما «عليهما السلام» جزء من هذه الحرمة النبوية، فتعظيمهما يؤدي إلى تعظيمها، وتعظيم حرمة النبي فيه رضا الله، وإعزاز لدينه، وبذلك يصبح العدوان على الحسن والحسين، وعدم الوفاء بحقهما، عدواناً على النبي، وتقصيراً في حقه.

ثالثاً: وهو تكريم وتعظيم للحسنين «عليهما السلام»، وهما مستحقان لهذا التكريم في أنفسهما بما لهما من فضائل، وصفات.. ولاسيما في العلم والدين والتقوى، والحكمة، والخلق الكريم والعظيم، وسائر موجبات الفضل

ص658 وأبصار العين في أنصار الحسين ص97 وشرح إحقاق الحق ج18 ص54 وج32 ص303 وراجع: الروض المعطار ص112.

(1) الكامل للمبرد (ط أوربا) ص556 وأعيان الشيعة ج1 ص433.

والعظمة، والمقام المحمود.

رابعاً: إنه تشريف لهما «عليهما السلام» أيضاً. والفرق بين التشريف والتعظيم أن العظمة الموجبة للتعظيم أمر قائم في ذات الحسنين.

أما التشريف، فهو التسبب بإضافة خصوصية شرف إليه من خارج ذاته، كالشرف الحاصل من الإنتساب لرسول الله مثلاً.

خامساً: أن يكونا «عليهما السلام» راضيين قانعين بما وفره «عليه السلام» لهما بقراره هذا من توسعة، وراحة بال.. فليس المقصود الرضا مقابل السخط، بل المقصود به راحة البال مقابل التعب، والشعور بالضيق والحاجة.

واحتمال أن يكون الضمير في قوله «تعظيمهما، وتشريفهما، ورضاهما» إلى الله ورسوله، إذ لا معنى لتشريف الله سبحانه بإطلاق يدي الحسن والحسين «عليهما السلام» في صدقات أمير المؤمنين «عليه السلام».

هل تباع الصدقة؟!:

وقد ذكر «عليه السلام»: أن عين أبي نيزر والبغيبغة صدقة على فقراء المدينة وابن السبيل، إلا أن يحتاج الحسنان «عليهما السلام» إليها، وليس لأحد غيرهما ذلك، فهل يصح بيع الصدقة؟!

والمراد بالصدقة هنا: الوقف، كما قيل[1].

ونقول:

بل هو من موارد الحبس، كما سيتضح.

---

(1) راجع: أعيان الشيعة ج1 ص433.

وقد حاول معاوية شراء تلك الأرض من الحسين «عليه السلام» فرفض «عليه السلام» بيعها له، ثم نحلها لأم كلثوم بنت عبد الله بن جعفر، فكيف نفسر ذلك؟!

ويجاب:

أولاً: بأن علياً «عليه السلام» لم يتصدق بنفس الأرض، ولم يوقفها، بل كانت رقبة الأرض ملكاً للحسنين «عليهما السلام»، ولكنها مسلوبة المنفعة، فالمورد من موارد الحبس لا الوقف.

ثانياً: من قال: إنه لا يجوز بيع الوقف عند الحاجة؟! فإن ذلك تابع لشرط الواقف، وهذه الرواية نفسها تصلح دليلاً على صحة الإشتراط ونفوذ الشرط.

ويدل على ذلك أيضاً: ما ذكره في وصيته «عليه السلام» بأمواله، حيث صرح في أكثرها: بأنه صدقات، وبيَّن وجوهها، ثم قال:

«يقوم على ذلك الحسن بن علي، يأكل منه بالمعروف، وينفقه حيث يراه الله عز وجل في حل محلل، لا حرج عليه فيه»..

إلى أن قال: «وإن حدث بحسن حدث، وحسين حي، فإنه إلى الحسين بن علي، وإن حسيناً يفعل فيه مثل الذي أمرت به حسناً».

ثالثاً: يحتمل أيضاً: أن يكون المراد بقوله: «إلا أن يحتاج الحسن أو الحسين، فهما طلق لهما»: أن التصدق بما ينتج منهما إنما هو بما يفضل عن حاجة الحسن والحسين «عليهما السلام» فإن لم يفضل شيء، فلا يبقى موضوع للصدقة.

وصايا علي بابن ملجم:

1 ـ نقل اليعقوبي وغيره: أن علياً «عليه السلام» قال: «يا حسن شأنك

بخصمك، فأشبع بطنه، واشدد وثاقه، فإن مت فألحقه بي أخاصمه عند ربي، وإن عشت فعفو أو قصاص»[1].

2 ـ وقال «عليه السلام»: «يا بني، ضربة مكان ضربة، ولا تأثم»[2].

3 ـ وفي نص آخر: ثم قال للحسن والحسين: احبسوا هذا الأسير، وأطعموه، واسقوه، وأحسنوا أساره.. فإن عشت، فأنا أولى بما صنع بي؛ إن شئت استقدت، وإن شئت عفوت، وإن شئت صالحت.

وإن مت، فذلك إليكم، فإن بدا لكم أن تقتلوه فلا تمثلوا به[3].

---

(1) تاريخ اليعقوبي ج2 ص212 وتاريخ مدينة دمشق ج42 ص559 والطبقات الكبرى لابن سعد ج3 ص35 في حديث طويل.

(2) الكافي ج1 ص299 ومستدرك الوسائل ج18 ص254 و 255 ومصباح البلاغة (مستدرك نهج البلاغة) ج3 ص158 و 39 وبحار الأنوار ج42 ص207 و 213 و 250 ومرآة العقول ج3 ص303 و 293 وموسوعة أحاديث أهل البيت للنجفي ج7 ص48 ونهج السعادة ج7 ص93 والوافي ج2 ص333 ومن لا يحضره الفقيه ج4 ص189 وتهذيب الأحكام ج9 ص176 ووسائل الشيعة (آل البيت) ج29 ص128 و (الإسلامية) ج19 ص96 والغيبة للطوسي ص194 والدر النظيم ص379.

(3) قرب الإسناد ص143 عن أبي البختري، عن الإمام الصادق، والجعفريات ص53 نحوه، ومناقب آل أبي طالب ج3 ص312 وروضة الواعظين ص153 و (منشورات الشريف الرضي) ص137 والسنن الكبرى للبيهقي ج8 ص317 و (ط دار الفكر) ج8 ص183 وتاريخ مدينة دمشق ج42 ص557 عن أنس بن عياض نحوه، وكلاهما عن الإمام الصادق عنه «عليهما السلام». وتاريخ الإسلام للذهبي (الخلفاء الراشدون) ص649 والمستدرك للحاكم ج3 ص144 ووسائل الشيعة

4 ـ عن لوط بن يحيى عن أشياخه: أغمي عليه ساعة طويلة وأفاق ـ وكذلك كان رسول الله «صلى الله عليه وآله» يغمى عليه ساعة طويلة ويفيق أخرى؛ لأنه «صلى الله عليه وآله» كان مسموماً ـ فلما أفاق ناوله الحسن «عليه السلام» قعباً[1] من لبن، فشرب منه قليلاً ثم نحاه عن فيه وقال: احملوه إلى أسيركم، ثم قال للحسن «عليه السلام»: بحقي عليك يا بني إلا ما طيبتم مطعمه ومشربه، وارفقوا به إلى حين موتي، وتطعمه مما تأكل، وتسقيه مما تشرب حتى تكون أكرم منه.

فعند ذلك حملوا إليه اللبن، وأخبروه بما قال أمير المؤمنين «عليه السلام» في حقه[2].

ونقول:

في النصوص المتقدمة أمور نذكر منها ما يلي:

حديث الإغماء:

ذكرنا فيما سبق: أن الإغماء الذي يؤدي إلى فقد الوعي لا يحصل للأنبياء والأوصياء، لأن مقام الشاهدية يمنع من ذلك، فيكون حال الإغماء في النبي حالة تشبه النوم، فإن النبي تنام عيناه ولا ينام قلبه.

ولعل هذا النوم المخالط لليقظة هو الذي يسمى سِنَة بكسر السين.

(آل البيت) ج29 ص127 و (الإسلامية) ج19 ص96 وبحار الأنوار ج42 ص206 والأنوار البهية ص76 ومعرفة السنن والآثار ج6 ص285.

(1) القعب: القدح الضخم، الغليظ، الجافي. راجع: لسان العرب ج1 ص683.

(2) بحار الأنوار ج42 ص289 وراجع: مستدرك الوسائل ج11 ص79.

لا تمثلوا بابن ملجم:

تضمن الحديث المتقدم برقم [3] عن قرب الإسناد وغيره: أن أمير المؤمنين «عليه السلام» اعتبر ابن ملجم أسيراً يعامل بما يعامل به الأسير، فلا يضيَّق عليه في مطعم أو مشرب، ولا يشدد عليه في وثاقه، ولا يعامل بالخشونة والعنف، بل بالإحسان، كما قال «عليه السلام»: «وأحسنوا أساره».

بل هو قد أقسم على الإمام الحسن بأن يطيبوا مطعم ابن ملجم ومشربه، وأن يرفقوا به إلى حين موته «عليه السلام»، بل أمر الحسن «عليه السلام» بأن يطعم ابن ملجم مما يأكل، ويسقيه مما يشرب منه، حتى يكون أكرم منه.

ثم قال لهم أخيراً: إنكم إذا اخترتم قتله، وقتلتموه، فلا بد من رعاية حقه حتى بعد موته، «فلا تمثلوا به».

والسؤال هنا هو: هل يظن بالحسن والحسين أن يفعلا ذلك، وهما إمامان عارفان بالأحكام، وهما مطهران معصومان حتى عن فعل المكروه، وخلاف الأولى؟! فما بالك بما عدا ذلك، كالإقدام على المثلة التي نهى عنها رسول الله «صلى الله عليه وآله» بقوله: «إياكم والمثلة، ولو بالكلب العقور»؟![1].

(1) نهج البلاغة (بشرح عبده) ج3 ص78 ووسائل الشيعة (آل البيت) ج29 ص128 و (الإسلامية) ج19 ص96 ومستدرك الوسائل ج18 ص256 ومصباح البلاغة (مستدرك نهج البلاغة) ج4 ص168 و مستدرك سفينة البحار ج9 ص328 ونهج السعادة ج7 ص117 ومجمع الزوائد ج6 ص249 وج9 ص142 والمعجم الكبير ج1 ص100 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج17 ص6 ونصب الراية ج3 ص224 والكامل في التاريخ ج3 ص391 وتنزيه الأنبياء للمرتضى ص218

ونجيب:

أولاً: إن أولاد أمير المؤمنين لا ينحصرون بالحسنين، فهناك عمر الأطرف، ومحمد ابن الحنفية، وأبو بكر بن علي، وعثمان والعباس، وسواهم، فهذا التوجيه العام إنما يقصد به بعض هؤلاء ممن يمكن، أن يبادر إلى التمثيل بالمجرم، والتضييق عليه، والتعامل بالخشونة معه.

على أن حب الإنتقام من ابن ملجم قد يكون كامناً في نفوس غير الأبناء أيضاً، كأبناء الإخوة، وغيرهم من بني هاشم، وسواهم من المحبين المتحمسين، والمخلصين العارفين بفداحة الخسارة التي حلت بهم وبالأمة جمعاء، فلا بد من ضبط الأمور من جوانبها المختلفة، وقد تجلى هذا.. بصدور هذه الأوامر من أمير المؤمنين «عليه السلام» للحسن والحسين «عليهما السلام» معونة لهما، وتيسيراً لإجراء مقاصدهما على أتم وجه.. وذلك على قاعدة: إياك أعني، واسمعي يا جارة.

ثانياً: إن صدور هذه الأوامر منه «عليه السلام» لولديه يحدَّ من تأثير الشائعات الكاذبة التي يتوقع أن يثيرها الأعداء وأهل الباطل باتهام الإمامين الحسنين «عليهما السلام» بتعدي الحدود الشرعية في التعامل مع ابن ملجم،

والمناقب للخوارزمي ص386 وكشف الغمة ج2 ص60 والفصول المهمة لابن الصباغ ج1 ص623 وجواهر المطالب لابن الدمشقي ج2 ص103 وينابيع المودة ج2 ص30 وج3 ص445 وروضة الواعظين ص137 والإختصاص للمفيد ص150 وذخائر العقبى ص116 وبحار الأنوار ج40 ص105 وج42 ص246 و 257 و 288 والغدير ج11 ص61.

وأنهما عاملاه بقسوة، وبروح التشفي، والإنتقام، إن إجراء حدود الله وأحكامه، وعقوبة المجرم وفق ما يأمر به الشرع الشريف.. هو عين العدل والإنصاف الذي يعاقب الله على تركه..

ثالثاً: إن هذه الأوامر والزواجر من شأنها أن تدل على الفاعل الحقيقي، لو أن بعض الناس حاول التشفي من ابن ملجم، وذلك بسبب ثورة الغضب العارم، والحرقة والألم لهذه الفاجعة، فإنه يعلم: أن الحسن والحسين على الأقل لم يشاركا في أي شيء يخالف ما أمرهما به أبوهما..

شواهد عن حالة الناس:

ويدل على أن الناس كانوا يحرقون الأرم على ابن ملجم:

1 ـ قول ابن عمران بن ميثم: «لقد رأيت الناس حين انصرفوا من صلاة الصبح أتوا بابن ملجم لعنه الله، ينهشون لحمه بأسنانهم كأنهم سباع، وهم يقولون: يا عدو الله، ماذا فعلت؟! الخ..»[1].

2 ـ قال ابن أعثم: «وأمر الحسن، فأتي بابن ملجم من السجن، وضربه الحسن على رأسه ضربة، وبادرت إليه الشيعة من كل ناحية، فقطعوه بسيوفهم

---

(1) مقاتل الطالبيين ص37 و (نشر المكتبة الحيدرية) ص22 وراجع: روضة الواعظين ص134 والإرشاد للمفيد ج1 ص21 والمستجاد من الإرشاد (المجموعة) ص24 وبحار الأنوار ج42 ص231 و 284 ونهج السعادة للمحمودي ج7 ص124 و 130 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج6 ص119 وإعلام الورى للطبرسي ج1 ص391 وكشف الغمة للأربلي ج2 ص65 وتاريخ الكوفة ص314 وأعيان الشيعة ج1 ص532.

إرباً إرباً..»[1].

حيث يبدو من قوله: «ضربه الحسن على رأسه ضربة»: أنها هي الضربة القاتلة لابن ملجم، التي أذن بها له أمير المؤمنين «عليه السلام» بقوله: «فضربة بضربة»[2].

---

(1) الفتوح لابن أعثم ج4 ص282.

(2) الكامل في الأدب للمبرد ج3 ص1119 والكافي ج1 ص299 ومستدرك الوسائل ج18 ص255 ومصباح البلاغة (مستدرك نهج البلاغة) ج3 ص158 وج4 ص168 وبحار الأنوار ج42 ص207 و 256 ومرآة العقول ج3 ص303 والمناقب للخوارزمي ص280 و 281 و (ط جماعة المدرسين) ص388 و 385 و 386 والفصول المهمة لابن الصباغ ص134 و (ط دار الحديث سنة 1422هـ) ج1 ص623 وكشف الغمة ج2 ص111 و (ط أخرى) ج2 ص59 و (ط دار الأضواء) ج2 ص60 وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب ج7 ص252 و 255 وعن مقتل أمير المؤمنين ص40 وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج8 ص567 و 572 و 573 وج32 ص636 عن مختصر منهاج القاصدين (ط مكتبة دار التراث ـ القاهرة) ص393 وعن الفخري لابن الطقطقي ص83 وراجع: تاريخ الأمم والملوك ج5 ص148 وتهذيب الآثار ص75 والرياض النضرة ج3 ص238 ومنهاج البراعة ج3 ص157 ونهج البلاغة (بشرح عبده) ج3 ص77 الكتاب 47 والمعجم الكبير ج1 ص100 و 101 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج17 ص6 وينابيع المودة ج2 ص30 وج3 ص445 والإمام علي بن أبي طالب للرحماني ص653 و 785 وجواهر المطالب ج2 ص103 وعن الكامل في التاريخ ج2 ص435 وشرح نهج البلاغة لابن ميثم ج5 ص120 ووسائل الشيعة (آل البيت) ج29 ص128 و (الإسلامية) ج19 ص96 وروضة الواعظين ص137

الفصل السادس

التجهيز والدفن..

الفصل السادس: التجهيز والدفن..

استشهد علي والحسين غائب:

روى الكليني عن عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ خَالِدٍ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ مِهْرَانَ، عَنْ سَيْفِ بْنِ عَمِيرَةَ، عَنْ عَمْرِو بْنِ شِمْرٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ الْوَلِيدِ الْجُعْفِيِّ، عَنْ رَجُلٍ، عَنْ أَبِيه قَالَ: لَمَّا أُصِيبَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ «عليه السلام» نَعَى الْحَسَنُ إِلَى الْحُسَيْنِ «عليهما السلام» وهُوَ بِالْمَدَائِنِ.

فَلَمَّا قَرَأَ الْكِتَابَ قَالَ: يَا لَهَا مِنْ مُصِيبَةٍ مَا أَعْظَمَهَا.. مَعَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ «صلى الله عليه وآله» قَالَ: مَنْ أُصِيبَ مِنْكُمْ بِمُصِيبَةٍ فَلْيَذْكُرْ مُصَابَه بِي، فَإِنَّه لَنْ يُصَابَ بِمُصِيبَةٍ أَعْظَمَ مِنْهَا.. وصَدَقَ «صلى الله عليه وآله»[1].

ونقول:

1 ـ تقدم ما يدل على أن الحسين «عليه السلام» كان حاضراً حين ضرب ابن ملجم علياً «عليه السلام» في المسجد[2].

---

(1) الكافي ج1 ص220 و 221 وبحار الأنوار ج42 ص247 وج79 ص143 ومرآة العقول ج14 ص175 ووسائل الشيعة (آل البيت) ج3 ص267 و (الإسلامية) ج2 ص911 ومشكاة الأنوار ص484 و 485 ومسكن الفؤاد ص110.

(2) راجع: الفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج2 ص533 و554 وج4 ص279 و280 و (ط الهند) ج4 ص465 و466 وهامش رقم (1) ص283 من كتابنا سيرة الحسين في الحديث والتاريخ ج8 وسبل الهدى والرشاد ج11 ص204 و205.

وحين كان علي «عليه السلام» يوصي إلى أبنائه بما يجب أن تسير عليه الأمور بعده.

وعلى هذا، فيكون غيابه «عليه السلام» حين وفاة أبيه قد كان لأمر طارئ دعا إلى توليه «عليه السلام» أمر انجازه، فذهب إلى المدائن، فتوفي أبوه، فاعلمه الإمام الحسن بالأمر، فحضر إلى الكوفة فوراً، وشارك في تجهيز ودفن أبيه، كما دلت عليه النصوص التي سنذكر بعضاً منها عن قريب، إن شاء الله تعالى.

2 ـ لا منافاة بين قول النبي عن المصيبة بفقده «صلى الله عليه وآله»: إنها أعظم المصائب، وبين قول الإمام الحسين «عليه السلام»: «يا لها من مصيبة».. فكلاهما صحيح، كما صرح الإمام الحسين «عليه السلام» نفسه في كلامه المتقدم، وسبب ذلك:

أولاً: لأن قوله «عليه السلام»: «يا لها من مصيبة، ما أعظمها» لا يدل على أنه يرى مصيبة أبيه أعظم المصائب، حتى بالنسبة للمصاب برسول الله «صلى الله عليه وآله»، بل هي تدل على أنها واحدة من المصائب العظمى.

ثانياً: إن المصيبة بفقد علي «عليه السلام» توازي المصيبة بفقد رسول الله «صلى الله عليه وآله»، أو تكاد، لأن علياً «عليه السلام»، هو نفس النبي «صلى الله عليه وآله» بنص آية المباهلة.

ولذا قال الحسين «عليه السلام» ـ ربما للإشارة إلى ذلك ـ: وصدق رسول الله «صلى الله عليه وآله».

3 ـ إن الخطورة التي واجهها الإمام علي «عليه السلام» بسبب تلك الضربة، وعلمه بأنه لا يقوم منها، وقد قال له الطبيب: أوصِ يا أمير المؤمنين..

لا تجعله يغفل عن واجباته، حتى وهو في سكرات الموت، فيرسل ولده الإمام المعصوم ليتابع شؤون الناس حتى في تلك اللحظات الحساسة، التي يحرص فيها الأب المفارق للاحتفاظ بولده بالقرب منه، ليتزود منه، فكيف إذا كان هذا الولد هو الإمام الحسين «عليه السلام» فيما له من ميزات وخصائص؟!

نقول هذا.. لأننا نعلم أن وجود الحسين في المدائن في هذه اللحظات لم يخرج عن إرادة وتدبير والده «عليه السلام»..

الحسنان ' في التجهيز والدفن:

ونذكر هنا النصوص التي تضمنت مشاركة الحسنين «عليهما السلام» في تجهيز أبيهما، فلاحظ بعض ما قيل في ذلك:

1 ـ غسله الحسن والحسين، ومحمد ابن الحنفية يصب على أيديهما الماء[1].

2 ـ وفي نص آخر: غسله ابناه الحسن، والحسين، وعبد الله بن جعفر[2].

---

(1) الفتوح لابن أعثم ج4 ص281 وبحار الأنوار ج42 ص244 و 254 وأعيان الشيعة ج1 ص533 ومطالب السؤول ص319 وكشف الغمة ج2 ص64 وراجع: السيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج2 ص350 والفصول المهمة لابن الصباغ ج1 ص624 وينابيع المودة ج2 ص422.

(2) تاريخ مدينة دمشق ج42 ص563 و 560 وبحار الأنوار ج42 ص245 و 254 والمعجم الكبير ج1 ص102 وجواهر المطالب ج2 ص109 والرياض النضرة ج3 ص236 وأسد الغابة ج4 ص37 وأنساب الأشراف (ط الأعلمي) ج2 ص496 وتاريخ الأمم والملوك (ط الأعلمي) ج4 ص114 والكامل في التاريخ ج3 ص392 والمناقب للخوارزمي ص386 وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص193

3 ـ عن الإمام الصادق «عليه السلام»: لما أصيب أمير المؤمنين «عليه السلام» قال للحسن والحسين «صلوات الله عليهما»: غسلاني، وكفناني، وحنطاني، [وفي نص آخر عن أم كلثوم: ثم نشفاني بالبردة التي نشفتم بها رسول الله «صلى الله عليه وآله» وفاطمة «عليها السلام»، ثم حنطاني، وسجياني على سريري].

واحملاني على سريري، واحملا مؤخره تكفيان مقدمه، فإنكما تنتهيان إلى قبر محفور، ولحد ملحود، ولبن موضوع، فألحداني، وأشرجا اللبن علي، وارفعا لبنة مما يلي رأسي، فانظرا ما تسمعان.

فأخذا اللبنة من عند الرأس بعدما أشرجا عليه اللبن، فإذا ليس في القبر شيء وإذا هاتف يهتف: أمير المؤمنين «عليه السلام» كان عبداً صالحاً فألحقه الله بنبيه، وكذلك يفعل بالأوصياء بعد الأنبياء، حتى لو أن نبياً مات في المشرق، ومات وصيه في المغرب، لألحق الله الوصي بالنبي.

وفي حديث مولى علي: «وجعلنا نسمع دوياً وحفيفاً، حتى أتينا الغريين»(1).

والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث) ج7 ص363 وكشف الغمة ج2 ص60 والعدد القوية للعلامة الحلي ص242 والفصول المهمة لابن الصباغ ج1 ص624 وسبل الهدى والرشاد ج11 ص307 وراجع: السيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج2 ص350 وينابيع المودة ج2 ص422.

(1) تهذيب الأحكام ج6 ص106 وفرحة الغري (منشورات الرضي) ص30 و (نشر مركز الغدير) ص60 كلاهما عن سعد الإسكاف. وروضة الواعظين ص136 والإرشاد ج1 ص23 وبحار الأنوار ج42 ص217 و 214 و 236 ومدينة

4 ـ إنه «عليه السلام» أمر ابنه الحسن «عليه السلام» بأن يحفر له أربعة قبور في أربعة مواضع في المسجد، وفي الغري، وفي دار جعدة بن هبيرة، وفي الرحبة..

وإنما أراد بهذا أن لا يعلم أحد من أعدائه بموضع قبره(1).

5 ـ وحين حفر قبره، أخذ الحسن المعول، فضرب ضربة، فانشق القبر عن ضريح ادَّخره نوح لعلي «عليه السلام»(2).

6 ـ وقالوا أيضاً: إنه بعد استشهاد الإمام علي «عليه السلام» بادر الإمام الحسن إلى تجهيز أبيه، فغسله بيده وصلى عليه وكبر عليه سبعاً، وقال: أما إنه لا يكبر على أحد بعده، ودفن بالكوفة في موضع يقال له: الغري(3).

7 - قال الإمام الحسن «عليه السلام»: قتل علي ليلة نزل القرآن(4).

ويلاحظ: أنهم رووا: أن الإمام الحسن «عليه السلام» كبَّر على أبيه خمس

المعاجز ج3 ص49 والمستجاد من الإرشاد (المجموعة) ص27 وإعلام الورى ج1 ص393 وإرشاد القلوب ج2 ص435 ومناقب آل أبي طالب ج1 ص482 و 483 والمزار للمفيد ص192 وإثبات الهداة ج5 ص2.

(1) بحار الأنوار ج42 ص214 وج97 ص250 وفرحة الغري ص61 و 100 وخاتمة المستدرك ج7 ص215 والغارات للثقفي ج2 ص846.

(2) فرحة الغري ص34 و (ط مركز الغدير سنة 1419هـ) ص64 وبحار الأنوار ج42 ص216 وراجع: مناقب آل أبي طالب ج2 ص348.

(3) تاريخ اليعقوبي ج2 ص212 و 213 ونهج السعادة ج8 ص499 وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب ج7 ص272.

(4) التاريخ الكبير ج2 ص363 وتعجيل المنفعة ص117 كلاهما عن خالد بن جابر عن أبيه.

تكبيرات[1]. وقيل: أربعاً[2]. وقيل: ستاً، وقيل: سبعاً[3].

لكن تقدم: أنه «عليه السلام» كبَّر على أبيه سبعاً، وأعلن أنها لا تكبَّر على أحد بعده[4].

وهذا معناه: أن هذه السبع تكبيرات يراد بها التشريف والتكريم.

وكان النبي «صلى الله عليه وآله» يكبِّر على بعض الأشخاص سبعاً، كما

---

(1) مقاتل الطالبيين لأبي الفرج ص41 وجواهر الأخبار والآثار (بهامش البحر الزخار) ج3 ص118 وكفاية الطالب للكنجي الشافعي ص469 والأخبار الطوال ص216 وتيسير المطالب في أماني الإمام أبي طالب ص85 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج6 ص122 وراجع: تذكرة الخواص ص178 ويظهر من بعض النسخ أنه هو مختار سبط ابن الجوزي، ووضوء النبي ج1 ص310 والغارات ج2 ص882 وبحار الأنوار ج42 ص338 و 254 ونهج السعادة ج8 ص498 و 499 والعدد القوية ص242 والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج2 ص350 وينابيع المودة ج2 ص422 وفلك النجاة ص356 والصواعق المحرقة ص80 و (ط سنة 1385هـ ق) ص134.

(2) تاريخ مدينة دمشق ج42 ص563 و 564.

(3) العدد القوية ص242 وبحار الأنوار ج42 ص254 وراجع: جواهر المطالب ج2 ص109 ونهج السعادة ج8 ص499 والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج2 ص350 وينابيع المودة ج2 ص422 وفلك النجاة ص356 عن الصواعق المحرقة ص80 و (ط مكتبة القاهرة سنة 1385هـ) ص134

(4) تاريخ اليعقوبي ج2 ص203 وراجع: بحار الأنوار ج42 ص215 و 292 ومستدرك الوسائل ج2 ص268 وفرحة الغري ص33 والنجم الثاقب ج1 ص337 ومستدرك سفينة البحار ج6 ص364.

روي عن عبد الله بن الحارث وعبد الله بن مسعود[1].

وصرح ابن عباس: بأنه كان يكبِّر على أهل بدر سبعاً[2].

وعن أنس: أنه «صلى الله عليه وآله» كبر على أهل بدر تسع تكبيرات، وعلى بني هاشم سبعاً[3].

لكن النص الذي رواه الذهبي والعسقلاني لهذه الرواية هو: سبع تكبيرات لأهل بدر وبني هاشم[4].

ونقول:

1 ـ إن الروايات تصرح: بأن الإمام لا يلي أمره إلا إمام[5].

2 ـ إن تولي الحسنين أمر أبيهما هو الآخر من دلائل إمامتهما.

---

(1) الطبقات الكبرى لابن سعد (ط ليدن) ج3 ص9 و (ط دار صادر) ج3 ص16 ومجمع الزوائد ج3 ص34 و 35 والمعجم الأوسط ج4 ص217 وشرح مسند أبي حنيفة ص131.

(2) نصب الراية ج2 ص269 عن أبي نعيم في تاريخ إصبهان، ومجمع الزوائد ج3 ص35 والإعتبار للحازمي ص125 والمعجم الكبير ج11 ص129 وكتاب المجروحين ج3 ص59 والكامل لابن عدي ج7 ص49 ولسان الميزان ج6 ص146 والدراية في تخريج أحاديث الهداية ج1 ص233.

(3) المجروحون ج3 ص59 ولكن في ميزان الإعتدال ج4 ص243 ولسان الميزان ج6 ص146 وتحفة الأحوذي ج4 ص88 سبع تكبيرات في الموضعين فراجع.

(4) ميزان الإعتدال ج4 ص243 ولسان الميزان ج6 ص146 وراجع: نصب الراية ج2 ص320 وتحفة الأحوذي ج4 ص88 والكامل لابن عدي ج7 ص49.

(5) راجع كتابنا: الصحيح من سيرة الإمام علي «عليه السلام» ج50 ص70 ـ 72.

3 ـ يلاحظ: تصريح الرواية المتقدمة عن الفتوح: بأن ابن الحنفية كان يصب على أيدي الحسنين الماء حين كانا يغسلان أباهما.

4 ـ إن ذكر عبد الله بن جعفر في الرواية الثانية، قد لا يكون جزافاً، فلعله شارك الحسنين «عليهما السلام» بإيصال الماء إليهما، أو بتلبية بعض مطالبهما، كمناولتهما الحنوط، أو إحضار البردة التي أمر علي «عليه السلام» بأن ينشفاه بها، حيث كان قد نشف بها رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وفاطمة «عليها السلام».

5 ـ إنه «عليه السلام» أراد أن يتبرك بآثار رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وآثار فاطمة «عليها السلام»، ولو بهذا المقدار، وذلك يسقط ما يدَّعيه الآخرون، من عدم جواز التبرك بآثار الأنبياء والصالحين..

6 ـ يلاحظ: أنه «عليه السلام» قال: بالبردة التي نشفتم بها رسول الله «صلى الله عليه وآله» وفاطمة «عليها السلام».. فدل بذلك على مشاركة الحسنين «عليهما السلام» في تغسيل رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وتغسيل أمهما، ولو بمقدار تنشيفهما بالبردة، والنبي والزهراء معصومان، لا يغسلهما إلا صدِّيق، وإمام معصوم.

رواية مكذوبة:

قال ابن أعثم: فلما كان يوم السابع والعشرين من شهر رمضان خرجت أم كلثوم إلى عند أبيها، فقال لها علي: أي بنية! أخفي[1] عليك الباب، ففعلت

---

(1) لعل الصحيح: أجيفي. أي أغلقي، والتصحيف من الناسخ.

ذلك.

قال الحسن: وكنت جالساً على باب البيت، فسمعت هاتفاً وهو يقول: ﴿أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آَمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾[1].

قال: وسمعت هاتفاً آخر وهو يقول: توفي النبي «صلى الله عليه وآله»، وتوفي أبو بكر، وعمر فقد قتل، وعثمان قتل، والآن قد قتل علي بن أبي طالب، إذاً تضعضع ركن الإسلام.

قال الحسن: فلم أصبر أن فتحت الباب ودخلت، فإذا أبي فارق الدنيا[2].

ونقول:

لا شك في عدم صحة هذا الكلام..

فأولاً: قالوا: إن حبيب بن عمرو دخل على أمير المؤمنين «عليه السلام»، ولم يخرج من عنده حتى توفي، فكيف تدَّعي هذه الرواية أنه حين قبض كان وحده داخل البيت[3].

---

(1) الآية 40 من سورة فصلت.

(2) الفتوح لابن أعثم ج4 ص281.

(3) الأمالي للصدوق ص396 و 397 وروضة الواعظين ص154 و (منشورات الشريف الرضي) ص138 ومدينة المعاجز ج3 ص50 و 51 وراجع: إثبات الوصية ص164 وأسد الغابة ج4 ص114 وشرح الأخبار ج2 ص434 عن عمر بن زمر. وراجع: الخرائج والجرائح ج1 ص178 وعيون المعجزات ص49 وبحار الأنوار ج42 ص201 و 223 ونهج السعادة ج7 ص128 وغاية المرام ج5 ص121 وينابيع المودة ج2 ص31 وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج18 ص200 وموسوعة

2 ـ زعمت الرواية: أن ركن الإسلام تضعضع لموت أبي بكر وعمر، وعثمان.. ولم ندر سبب ذلك، فإن هؤلاء ليسوا من الأنبياء ولا الأوصياء.

وقد حكمت عائشة على عثمان بالكفر، وأمرت بقتله، وقالت: اقتلوا نعثلاً فقد كفر. كما أن الخلاف بينهم وبين علي كان معلناً وظاهراً، وقد ماتت الزهراء «عليها السلام»، وهي غاضبة على اثنين منهم، وهي التي يغضب الله لغضبها، ويرضى لرضاها.

3 ـ لماذا ترك الإمام الحسن أباه وحيداً، وجلس على باب البيت؟!

4 ـ هل سمع أحد غير الإمام الحسن كلام هذا الهاتف؟! وأين كان الناس عنه، ولاسيما أولاده: ابن الحنفية، وأبو بكر بن علي، وعثمان بن علي، والعباس، وعمر وسائر بناته، وزوجاته، وأبناء أخويه عقيل وجعفر، وسائر بني هاشم؟!

5 ـ إن ما ادَّعته الرواية، من أنه «عليه السلام» مات في السابع والعشرين من شهر رمضان يخالف الرواية المعتمدة، وهي أنه استشهد ليلة إحدى وعشرين، لا سبع وعشرين.

6 ـ كما أن الروايات تقول: إنه استشهد ليلاً، وتدَّعي هذه الرواية: أنه استشهد نهاراً.

إحراق ابن ملجم بالنار:

وأما إحراقه بالنار، فقد ورد في بعض النصوص: أن علياً قال لهم:

الإمام علي بن أبي طالب ج7 ص266.

افعلوا به كما أراد رسول الله برجل أراد قتله، فقال: اقتلوه ثم أحرقوه بالنار[1].

وحسب نص ابن شهرآشوب: «إن هلكت فاصنعوا به كما يصنع بقاتل النبي، فسئل عن معناه، فقال: اقتلوه، ثم احرقوه بالنار»[2].

وبذلك يتضح أن حكم قاتل النبي والوصي يختلف عن حكم قاتل غيرهما: بأنه يجب أن يحرق قاتل النبي والوصي بالنار بعد قتله بالسيف. وهذا ما حصل لابن ملجم، كما صرحت به بعض النصوص. ولكنها قالت: بأن الناس هم الذين قاموا بتنفيذ هذا الحكم فيه، فقد قالوا:

1 ـ إن الحسن «عليه السلام» قدمه فقتله، فأخذه الناس، فأدرجوه في بواري[3]، ثم أحرقوه بالنار[4].

---

(1) مسند أحمد ج1 ص93 ومجمع الزوائد ج9 ص145 وكنز العمال ج13 ص188 وتاريخ مدينة دمشق ج42 ص560 و 561 والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج7 ص363 وكشف الغمة ج2 ص66 وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب ج7 ص287.

(2) مناقب آل أبي طالب ج3 ص311 و 312 و (ط المكتبة الحيدرية) ج3 ص95 والإرشاد للمفيد ج1 ص21 وروضة الواعظين ص134 ومستدرك الوسائل ج18 ص261 والمستجاد من الإرشاد (المجموعة) ص25 وبحار الأنوار ج42 ص239 ونهج السعادة ج7 ص112 وتاريخ الكوفة للبراقي ص314 وإعلام الورى ج1 ص391 وكشف الغمة ج2 ص65 وراجع: تاريخ دمشق ج42 ص554.

(3) البواري: جمع بارية، وهي الحصير المنسوج من القصب.

(4) المناقب للخوارزمي ص280 و (ط جماعة المدرسين) ص387 ومجمع الزوائد ج9 ص142 والمعجم الكبير ج1 ص100 وتاريخ الأمم والملوك ج5 ص148 و (ط

2 ـ ذكروا: أن أم الهيثم بنت الأسود النخعية استوهبت جيفته من الإمام الحسن «عليه السلام»، فوهبها لها، فأحرقتها بالنار[1].

الإفتراء على الحسن والحسين ' أيضاً:

قال ابن حبان: فأخذ عبد الله بن جعفر، والحسن بن علي، (ومحمد ابن الحنفية[2]) عبد الرحمن بن ملجم، فقطعوا يديه ورجليه، فلم يجزع، ولم يتكلم.. ثم كحلوا عينيه بملمول[3] محمى، ثم قطعوا لسانه وأحرقوه بالنار[4].

وحسب نص آخر:

«فاجتمع الناس، وجاؤا بالنفط والبواري، والنار، فقالوا: نحرقه.

الأعلمي) ج4 ص114 وتجارب الأمم ج1 ص567 والكامل في التاريخ ج2 ص435 و 436 و (ط دار صادر) ج3 ص392 والبداية والنهاية ج7 ص331 و (ط دار إحياء التراث) ج7 ص366 ونهاية الأرب في فنون الأدب ج20 ص217.

(1) مناقب آل أبي طالب ج3 ص313 و (ط المكتبة الحيدرية) ج3 ص96 والإرشاد ج1 ص22 ومقاتل الطالبيين ص41 و (نشر المكتبة الحيدرية) ص26 والفصول المهمة لابن الصباغ ج1 ص626 وروضة الواعظين ص135 وإعلام الورى ج1 ص391 وكشف الغمة ج2 ص66 وراجع: الصواعق المحرقة ص134.

(2) في هامش المصدر قال: زيد بناء على الطبقات 3/ 1/ 26.

(3) الململول: المرود الذي يكتحل به.

(4) الثقات لابن حبان ج2 ص303 والأخبار الطوال ص213 والطبقات الكبرى لابن سعد (ط ليدن) ج3 ق1 ص25 و 26 وراجع: أنساب الأشراف ج2 ص495 و 502 و 504 وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج32 ص674 عن السيرة النبوية وأخبار الخلفاء (ط مؤسسة الكتب الثقافية، دار الفكر في بيروت) ص551 وراجع: تاريخ مدينة دمشق ج42 ص560.

فقال عبد الله بن جعفر، وحسين بن علي، ومحمد ابن الحنفية: دعونا حتى نشفي أنفسنا منه.

فقطع عبد الله بن جعفر يديه ورجليه، فلم يجزع ولم يتكلم، فكحل عينيه بمسمار محمى، فلم يجزع، وجعل يقول: إنك لتكحل عيني عمك بملمول مض. وجعل يقرأ: ﴿**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ**﴾(1). إلى آخر السورة كلها. وإن عينيه لتسيلان.

ثم أمر به فعولج عن لسانه ليقطعه، فجزع، فقيل له: قطعنا يديك ورجليك، وسملنا عينيك يا عدو الله فلم تجزع، فلما صرنا إلى لسانك جزعت؟!

فقال: ما ذاك من جزع، إلا أنِّي أكره أن يكون في الدنيا فواقاً لا أذكر الله.

فقطعوا لسانه، ثم جعلوه في قوصرة وأحرقوه بالنار، والعباس بن علي يومئذ صغير، فلم يستأن به بلوغه(2).

ونقول:

ألف: لا شك في أن حديث التمثيل بابن ملجم على يدي الحسن والحسين، وابن الحنفية، وابن جعفر هو حديث مفترى، فإنهما «عليهما السلام»، وابن الحنفية، وابن جعفر لا يخالفون علياً ووصيته لهم.

ب: إن الحسن والحسين «عليهما السلام» إماما مطهران معصومان،

---

(1) آيات سورة العلق.

(2) تاريخ مدينة دمشق ج42 ص560 والطبقات الكبرى لابن سعد ج3 ص39 وأسد الغابة ج4 ص38 وتاريخ الإسلام للذهبي ج3 ص650 والمنتظم في تاريخ الأمم والملوك ج5 ص177 وأنساب الأشراف ج2 ص504 وبحار الأنوار ج42 ص306.

لا يمكن أن يرتكبا أية مخالفة شرعية، مهما كانت، والمثلة محرَّمة شرعاً، وقد رووا عن الإمام الحسين «عليه السلام» أنه قال في خطبته في مكة: «رضى الله رضانا أهل البيت»(1).

ج: لا يمكن أن يدَّعي أحد: أن الحسنين «عليهما السلام» قد يجهلان بحرمة ما فعلاه، لأن آية التطهير وحكم النبي فيما نقل عنه: بأنهما إمامان معصومان يدلان على أن نسبة الجهل إليهما هي محض افتراء وهراء، فإن الجاهل بأحكام الله لا يمكن أن يكون معصوماً، ولا إماماً هادياً.

د: تقدم عن ابن أعثم: أن الحسن «عليه السلام» لم يزد على ضربة واحدة على رأس ابن ملجم، وأن الناس هم الذين بادروا إليه فقطعوه إرباً إرباً.

كما أن عمران بن ميثم قال: إن الناس كانوا ينهشون لحم ابن ملجم بأسنانهم.

هـ: قال البلاذري: يقال: إنه ضرب عنقه، وقال: لا أمثل به(2).

و: إنهم بأكاذيبهم هذه على الحسن يريدون إشاعة معانيَ سلبية، منها:

1 ـ قسوة أبناء أمير المؤمنين «عليهم السلام»، فلا تجد الرحمة سبيلاً إلى قلوبهم.

---

(1) راجع: بحار الأنوار ج44 ص367 والملهوف لابن طاووس ص38 وكشف الغمة ج2 ص239 ومعارج الوصول ص94 ومثير الأحزان ص29 ولواعج الأشجان ص239 و 70 ونزهة الناظر وتنبيه الخاطر ص86 والمجالس الفاخرة للسيد شرف الدين ص207 ومقتل الخوارزمي ج1 ص186.

(2) أنساب الأشراف (ط الأعلمي) ج2 ص505.

2 ـ الطعن في عصمة الحسنين «عليهما السلام»، وأنهما يعصيان الله كما يعصيه أعداؤهم، من بني أمية وغيرهم..

3 ـ إنهم لا يوقرون أباهم، ولا يفون بوعودهم له، ولا يمتثلون أوامره، ولا يحققون رغباته.. وهذا خلل أخلاقي فاضح وواضح.

4 ـ إنهم يريدون ـ كما دلت عليه نصوص أخرى ـ إظهار صلابة ابن ملجم وشجاعته، وصبره على الآلام الممضَّة.

5 ـ إنهم يريدون أن يظهروا شدة يقين ابن ملجم بصحة ما أقدم عليه، وبأنه فعله عن تدين وتقوى، وإخلاص لمبادئه.. وبذلك يكون عمران بن حطان «لعنه الله» صادقاً حين قال:

يا ضربة من تقي ما أراد بها إلا ليبلغ من ذي العرش رضوانا

6 ـ إنهم يريدون تبرئة ابن ملجم من أن يكون قد فعل ما فعل، من أجل مصلحة، أو شهوة شخصية من أجل قطام.. وأنها سقته الخمر، وأنه عاشرها ليلة ارتكابه جريمته.

7 ـ إنهم يريدون الإيحاء: بأن ابن ملجم لا مثيل له في الجرأة، والبطولة والرجولة، وأنه كان منسجماً مع نفسه، ووفياً لقناعاته، فهو يستحق الثناء والإكبار على هذه الصفات والسمات.

8 ـ يريدون تصوير ابن ملجم على أنه الرجل المجاهد، القوي، الصابر، وكل ذلك إسهاماً من هؤلاء في قتل الحق، والفضيلة، والدين، والقيم الإنسانية من خلال تزويرهم التاريخ، ورفع شأن أشقى الأشقياء، والطعن بالإمامة

والأئمة، والتعتيم على جهادهم وتضحياتهم وفضلهم.

هل يرجع علي في آخر الزمان؟!:

عن عمرو بن الأصم: دخلت على الحسن بن علي، وهو في دار عمرو بن حريث، فقلت:

إن ناساً يزعمون: أن علياً يرجع قبل يوم القيامة؟!

فضحك، وقال: سبحان الله، لو علمنا ذلك ما زوجنا نساءه، ولا قسمنا ميراثه(1).

وفي نص آخر عنه: إن هذه الشيعة يزعمون: أن علياً مبعوث قبل يوم القيامة..

فقال: كذبوا، ما هؤلاء بالشيعة، لو علمنا أنه مبعوث، ما زوجنا إلخ..(2).

وعن عاصم بن ضمرة قال: قلت للحسن بن علي: إن الشيعة يزعمون:

---

(1) مجمع الزوائد ج10 ص72 والمعجم الكبير ج3 ص26 و 27 وتاريخ مدينة دمشق ج42 ص588.

(2) تاريخ مدينة دمشق ج13 ص260 وج42 ص588 وترجمة الإمام الحسن من طبقات ابن سعد ص74 وترجمة الإمام الحسن لابن عساكر ص170 والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج8 ص15 و 45 وتاريخ الإسلام للذهبي (الخلفاء الراشدون) ص652 والكامل في التاريخ ج3 ص392 وسير أعلام النبلاء ج3 ص263 وتهذيب الكمال ج6 ص243 وتخريج الأحاديث والآثار ج3 ص164 ومسند ابن الجعد ص366 والمستدرك للحاكم ج3 ص145 وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج33 ص511.

أن علياً يرجع؟!

فقال: كذب أولئك الكذابون، لو علمنا ذلك، ما تزوج نساؤه، ولا قسمنا ميراثه[1].

كما أن محمد بن الحارث يحكي: أن نظير هذه القضية جرى بين ابن عباس، ورجل من أهل الكوفة قال له: تركت الناس يتحدثون بقدوم علي بن أبي طالب.

فقال: فلم نكحنا نساءه، واقتسمنا ميراثه؟![2].

ونقول:

أولاً: إن الرجعة في آخر الزمان، قبل يوم القيامة لجماعة أو جماعات من الناس الأموات عبر التاريخ ثابتة بلا ريب، وفي الروايات: أن علياً «عليه السلام» سوف يرجع أيضاً[3].

ثانياً: إن رجوع من يرجع من الناس في آخر الزمان لايمنع من تقسيم

---

(1) مسند أحمد (ط دار الفكر) ج1 ص148 ومجمع الزوائد ج10 ص22 وتاريخ مدينة دمشق ج42 ص589.

(2) تاريخ مدينة دمشق ج42 ص589 و 587.

(3) راجع: تفسير القمي ج2 ص147 والبرهان (تفسير) ج1 ص721 وج3 ص331 وج4 ص291 ونور الثقلين (تفسير) ج4 ص144 وكنز الدقائق (تفسير) ج10 ص108 والغيبة للنعماني ص234 و (نشر أنوار الهدى) ص239 والخرائج والجرائح ج2 ص848 ومختصر بصائر الدرجات ص17 و 24 و 26 و 28 و 29 و 37 و 44 وبحار الأنوار ج45 ص81 وج52 ص348 وج53 ص39 و 62 و 64 ومستدرك سفينة البحار ج4 ص86 وج7 ص467 والإيقاظ من الهجعة للحر العاملي ص317 وراجع: مدينة المعاجز ج3 ص89 ـ 103.

أموالهم، وتزويج نسائهم، إذ لو كان الأمر كذلك، لكان اللازم تحديد هؤلاء الراجعين بعد الموت، بأشخاصهم، وأسمائهم، والتحذير من تقسيم أموالهم، وتزويج نسائهم، حتى لا يقع الناس في المحذور.

ثالثاً: هل ذلك يعني: أن هذا القول المنسوب للإمام الحسن «عليه السلام» يريد أن يقول ببقاء الزوجية والملكية للميت الذي سيبعثه الله سبحانه بعد آلاف السنين، فيجب الإبقاء على زوجته وأمواله؟! مع أننا نعلم: أن الموت يسقط هذا أو ذاك، وإن بقيت بعض آثار الزوجية لفترة وجيزة تسمح بتغسيل الرجل زوجته، والعكس بعد موت واحدٍ منهما.. ثم تنقطع العلاقة بينهما بصورة تامة.

نعم، لو علم أن هذا الذي مات سيرجع إلى الحياة مباشرة، من دون فاصل زماني معتد به، فلربما كان للأخذ والرد في هذا الموضوع مجال، إذا كان العرف يرى أن هذا المقدار من الموت لا يزيل العلقة الزوجية، حيث يبحث حينئذ في أن الشرع تابع للعرف في هذا الموضوع، أو أن الصحيح هو العكس.. فلا بد من انتظار البيان من الشارع..

رابعاً: إن كان الإمام الحسن «عليه السلام» يريد الرد على هذه المقولة باعتبارها تستبطن الغلو بالإمام، بإضفاء صفة الألوهية عليه، من حيث إنه لا يموت حقيقة.. فإن جواب الإمام الحسن «عليه السلام» بقسمة الأموال، وتزويج النساء، لا يكفي للرد على هذا الزعم، لأن تقسيم الأموال، وتزويج النساء لا يحل الإشكال.. بل يكون الإشكال والعيب والنقص في نفس تزويجه للنساء، لأن ذلك هو الذي ينافي ألوهيته.

خامساً: إن الروايات تدل على أنه لا يجوز تزويج نساء الأنبياء، والأوصياء،

لا قبل الموت ولا بعده.. فقد روي: أن المغيرة بن نوفل خطب أمامة بنت أبي العاص التي كانت زوجة لأمير المؤمنين «عليه السلام»، ثم خطبها أبو الهياج بن سفيان بن الحارث، فروت عن علي «عليه السلام»: أنه لا يجوز لأزواج النبي والوصي أن يتزوجن بغيره بعده.

فلم تتزوج امرأة ولا أم ولد بهذه الرواية[1].

وهذا يكذب ما زعموه، من أن أمامة تزوجت بعد علي «عليه السلام» بالمغيرة بن نوفل، بوصية من علي «عليه السلام» لكي لا يتزوجها معاوية بن بعده[2].

سادساً: يضاف إلى ذلك: أن روايات تزويجها متناقضة في عدة جهات، مثل:

(1) مناقب آل أبي طالب ج3 ص305 و (ط المكتبة الحيدرية) ج3 ص90 وبحار الأنوار ج42 ص92 ومستدرك سفينة البحار ج4 ص336 ونور الثقلين ج4 ص299 وكنز الدقائق ج10 ص428.

(2) الطبقات الكبرى لابن سعد ج3 ص20 و (ط دار صادر) ج8 ص233 ومجمع البحرين ج1 ص109 و (ط الثانية سنة 1362 هـ ش) ج6 ص15 والإصابة (ط دار الكتب العلمية) ج8 ص25 وعيون الأثر ج2 ص364 والإستيعاب (ط دارالجيل) ج4 ص1788 وأسد الغابة ج5 ص400 وراجع: ذخائر العقبى ص161 والمعجم الكبير ج22 ص443 والمعارف لابن قتيبة ص127 والوافي بالوفيات ج9 ص217 وسبل الهدى والرشاد ج11 ص32 وعن تاريخ الأمم والملوك ج5 ص145 ومجمع الزوائد ج9 ص255 والمصنف للصنعاني ج6 ص201 وأنساب الأشراف (تحقيق المحمودي) ج2 ص414 والكنى والألقاب ج1 ص115 والدرجات الرفيعة ص187وقاموس الرجال للتستري ج10 ص201 والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج2 ص452.

1 ـ هل كانت أمامة ولوداً، وقد ولدت للمغيرة يحيى، وهلكت عنده؟![1]. أم كانت عقيماً، كما قاله الزبير بن بكار وغيره؟![2].

2 ـ هل الذي تزوجها هو عبد الله بن أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، أو المغيرة بن نوفل، بن الحارث ابن عم المغيرة؟![3].

3 ـ هل خطبها أبو الهياج، كما تقدم أو أنه تزوجها[4].

(1) راجع المصادر في الهامش السابق.
(2) الإستيعاب (ط دار الجيل) ج4 ص1789 و 1790 وراجع الإصابة ج8 ص26.
(3) أسد الغابة ج5 ص415 وراجع: المعجم الكبير ج22 ص444.
(4) الإصابة (ط دار الكتب العلمية) ج8 ص26 وراجع ج4 ص101 والمعجم الكبير ج22 ص443 وتاريخ مدينة دمشق ج29 ص75.

القسم الرابع

من استشهاد علي × إلى استشهاد الحسن ×..

الباب الأول

الحسن × خليفة وإمام..

الفصل الأول

أيام الخلافة الأولى..

يدفن أباه ويرثيه:

1 - عن الحريث بن مخشي: إن علياً قتل صبيحة إحدى وعشرين من رمضان، قال: فسمعت الحسن بن علي يقول وهو يخطب، وذكر مناقب علي، فقال: قتل ليلة أنزل القرآن، وليلة أسري بعيسى، وليلة قبض موسى.

قال: وصلى عليه الحسن بن علي «عليهما السلام»[1].

2 - الإمام الباقر «عليه السلام»: لما قبض أمير المؤمنين «عليه السلام» قام الحسن بن علي «عليه السلام» في مسجد الكوفة، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي «صلى الله عليه وآله» ثم قال:

أيها الناس، إنه قد قبض في هذه الليلة رجل ما سبقه الأولون، ولا يدركه الآخرون، إنه كان لصاحب راية رسول الله «صلى الله عليه وآله»؛ عن يمينه جبرئيل، وعن يساره ميكائيل، لا ينثني حتى يفتح الله له.

والله ما ترك بيضاء ولا حمراء إلا سبعمائة درهم فضلت عن عطائه، أراد

---

(1) المستدرك على الصحيحين ج3 ص154 و (تحقيق يوسف عبد الرحمن المرعشلي) ج3 ص143 والدر المنثور ج2 ص226 و (ط دار المعرفة) ج2 ص36 والمناقب للكوفي ج2 ص587 عن حريث بن مخشي، وتاريخ مدينة دمشق ج42 ص586 وج47 ص480 ومناقب الإمام أمير المؤمنين للكوفي ج2 ص586 ونهج السعادة ج8 ص502 وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج8 ص802.

أن يشتري بها خادماً لأهله.

والله لقد قبض في الليلة التي فيها قبض وصي موسى يوشع بن نون، والليلة التي عرج فيها بعيسى ابن مريم، والليلة التي نزل فيها القرآن[1].

---

(1) راجع: مقاتل الطالبيين (منشورات المكتبة الحيدرية) ص33 و (ط مصر) ص51 و 52 وشرح الأخبار ج2 ص436 وقاموس الرجال للتستري ج10 ص500 وشرح إحقاق الحق ج4 ص413 وج11 ص189 وج26 ص491 وراجع: الفتوح لابن أعثم ج4 ص282 وراجع: تاريخ مدينة دمشق ج42 ص580 و 581 و 578 و 579 وراجع: حلية الأولياء ج1 ص65 ومسند أحمد (ط دار الفكر) ج1 ص426 و 425 وراجع: مروج الذهب ج2 ص414 وتفسير فرات ص72 و 70 وفي مقتل الحسين للخوارزمي ج1 ص126: أنا ابن نبي الله الخ.. وحياة الصحابة ج3 ص526 ومجمع الزوائد ج9 ص146 وقال: ورواه أحمد باختصار كثير، وإسناد أحمد، وبعض طرق البزار والطبراني في الكبير حسان. وتيسير المطالب ص179 والأمالي الطوسي ص169 والإرشاد للمفيد ص207 وعن الطبقات الكبرى لابن سعد ج2 ص25 وعن جمهرة الخطب ج2 ص7 والفصول المهمة لابن الصباغ (ط النجف) ص146 وكشف الغمة ج2 ص159 وينابيع المودة ص225 و 203 و 270 و 479 و 482 عن ابن سعد في شرف النبوة، والبزار، والزرندي المدني، وغيرهم. وفرائد السمطين ج2 ص120 وذخائر العقبى ص138 و 140 وعن الدولابي في الذرية الطاهرة، ونزهة المجالس ج2 ص186 والمحاسن والمساوئ ج1 ص132 و 133 ومناقب آل أبي طالب ج4 ص11 و 12 والإحتجاج للطبرسي ج1 ص149 وبحار الأنوار ج43 ص362 وإعلام الورى ص208 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج16 ص30 والوافي ج3 ص741 والكافي ج1 ص457 ومرآة العقول ج5 ص310 وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب ج7 ص273.

الإمام الحسن ×: خلافة وإمامة:

هناك من سعى لإثارة الشبهة في خلافة الإمام الحسن «عليه السلام» بعد أبيه، استناداً إلى روايات موضوعة لخدمة أهداف معاوية وحزبه، وتأييد المقولات المناوئة لعلي وأهل بيته، ومنها ما يلي:

1 ـ عن الشعبي، عن أبي وائل قال: قيل لعلي: ألا تستخلف علينا؟!

قال: ما استخلف النبي «صلى الله عليه وآله» فأستخلف! [1].

2 ـ عن عبد الله بن سبع قال: قال علي بن أبي طالب قبل أن يضرب بثلاث: أين شقيكم هذا؟! أَمَ والله لتخضبن هذه من هذا.

قال: فلما ضرب دخلت عليه، فقلت: يا أمير المؤمنين، استخلف.

قال: لا.

قال: فقلت: اتق الله، فما تقول لربك؟!

قال: أقول: تركتهم كما تركهم رسولك.

3 ـ وفي حديث الخطيب: كما تركهم رسول الله «صلى الله عليه وآله»[2]. إن شئت أصلحتهم، وإن شئت أفسدتهم[3].

---

(1) تاريخ مدينة دمشق ج42 ص537.

(2) أي أنه قال ـ حسب رواية الخطيب ـ: أقول: تركتهم كما تركهم رسول الله «صلى الله عليه وآله» إن شئت الخ..

(3) تاريخ مدينة دمشق ج42 ص541 و 537 وكنز العمال (ط مؤسسة الرسالة) ج13 ص188 وتاريخ الإسلام للذهبي ج3 ص646 و 647 والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث) ج7 ص359 والمناقب للخوارزمي ص390.

4 ـ وفي نصوص أخرى: فما تقول لله إذا لقيته؟!

قال: أقول: اللهم تركتني فيهم ما بدا لك، ثم توفيتني. وتركتك فيهم، فإن شئت أصلحتهم، وإن شئت أفسدتهم[1].

5 ـ وفي نص آخر: قال لا. ولكن أترككم إلى ما تركني إليه رسول الله.

قالوا: فما تقول لله إذا لقيته؟!

قال: أقول: اللهم تركتني فيهم الخ.. [2].

6 ـ ونص آخر يقول: قالوا: يا أمير المؤمنين، أفلا تستخلف علينا؟!

قال: لا. ولكن أكلكم إلى ما وكلكم إليه نبيكم.

ونقول:

إن جميع ما تقدم لا قيمة له، فهو محض ترهات وأباطيل، فلاحظ ما يلي:

أولاً: إن بيعة يوم الغدير التي تمت بتدبير وإشراف من النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله» في الثامن عشر من ذي الحجة، قبل وفاة النبي بسبعين يوماً.. إن هذه البيعة وآية: ﴿**إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ**

---

(1) تاريخ مدينة دمشق ج42 ص540 و 538 ومسند أحمد ج1 ص130 ومجمع الزوائد ج9 ص137 ومسند أبي يعلى ج1 ص443 وأمالي المحاملي ص215 ونظم درر السمطين ص139 والبداية والنهاية ج7 ص359 وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج17 ص554.

(2) تاريخ مدينة دمشق ج42 ص540و 537 و 538 و 539 و 542 ومسند أحمد (ط دار الفكر) ج1 ص275 وأمالي المحاملي ص215 وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج32 ص619.

الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾[1]، وآيات كثيرة، ونصوصاً نبوية متواترة تدل كلها على خلافة وإمامة أمير المؤمنين «عليه السلام»، ومنها حديث:

أنت مني بمنزلة هارون من موسى..

وحديث: أنت ولي كل مؤمن بعدي..

وحديث: من كنت مولاه، فعلي مولاه..

والحديث الذي قاله النبي «صلى الله عليه وآله» حين نزل قوله تعالى: **﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾**[2]، وغير ذلك..

إن ذلك يكذب ما زعمته هذه الروايات، من أن النبي مات ولم يستخلف.

ثانياً: إن الحديث عن أن علياً مات ولم يستخلف.. وأنه قد احتجَّ على ذلك بفعل النبي «صلى الله عليه وآله» ـ فيه ـ اتهام لعلي «عليه السلام» بالكذب في دعواه التي ظلَّ يلهج بها في مختلف المناسبات، وهي: أنهم غصبوا حقه، وخالفوا أمر الله ورسوله فيه.. وهل تصح نسبة الكذب إلى من لهج القرآن بتطهيره «عليه السلام» من كل رجس، والكذب من الرجس؟!

ثالثاً: هل كان علي «عليه السلام» يقول بالجبر الإلهي، وأن الله تعالى هو الذي يصلح عباده ويفسدهم؟! أم أن الناس هم الذين يختارون الفساد، ويختارون ارتكاب المعاصي؟!

ويمكن حمله على إرادة معنى: إن شئت وفقتهم للصلاح، وإن شئت

---

(1) الآية 55 من سورة المائدة.

(2) الآية 214 من سورة الشعراء.

خذلتهم.. ففسدوا من عند أنفسهم، من غير أن يكون في شيء من الصلاح والفساد جبر.

رابعاً: أما قوله «عليه السلام»: «أكِلكم إلى ما وكلكم إليه نبيكم».. فالسؤال هو: هل وكلهم نبيهم إلى الفوضى، والحروب، والخلافات، وعدوان بعضهم على بعض؟!

إلا أن يكون مراده بكلامه هذا: أنه ليس هو الذي يختار الخليفة والإمام بعده، بل الله هو الذي يختاره لهم، ورسوله يخبرهم عن الشخص الذي اختاره الله لهم.. فتكون هذه الرواية دليلاً عليهم ، لا لهم.

خامساً: وأخيراً.. فإننا نذكر هنا طائفة من النصوص الدالة على أن الإمام الحسن إمام منصوب من قبل رسول الله «صلى الله عليه وآله» أولاً، ثم هو إمام منصوب للخلافة بعد أبيه، من أبيه «عليه السلام» ثانياً..

والنصوص هي التالية:

ألف: مما ورد عن رسول الله «صلى الله عليه وآله»، نذكر ما يلي:

1 ـ قوله «صلى الله عليه وآله»: «الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا»[1].

---

(1) أهل البيت، تأليف توفيق أبو علم ص307 والإرشاد للمفيد ص220 ومجمع البيان ج2 ص453 وكشف الغمة ج2 ص159 وروضة الواعظين ص156 وحياة الحسن بن علي «عليه السلام» للقرشي ج1 ص42 وبحار الأنوار ج44 ص2 وعلل الشرايع ج1 ص211 وإثبات الهداة ج5 ص142 و 137 و 135 ومناقب آل أبي طالب ج3 ص367 وعبر عنه بالخبر المشهور، وقال ص394: «اجتمع أهل القبلة على أن النبي «صلى الله عليه وآله» قال: الخ..» وسيرة الأئمة

2 ـ وقال لهما «عليه السلام»: أنتما الإمامان، ولأمكما الشفاعة[1].

3 ـ روي أنه «صلى الله عليه وآله» قال للحسين «عليه السلام»: «أنت سيد، ابن سيد، أخو سيد، وأنت إمام، ابن إمام، أخو إمام، وأنت حجة، ابن حجة، أخو حجة، وأنت أبو حجج تسعة، تاسعهم قائمهم»[2].

الاثني عشر للحسني ج1 ص554 و 544 وقال: «بإجماع المحدثين».

(1) نزهة المجالس ج2 ص184 و (ط القاهرة) ج2 ص228 وحياة الحسن بن علي للقرشي ج1 ص42 عنه، وعن الإتحاف بحب الأشراف ص129 وإثبات الهداة ج5 ص52 والمحتضر لابن سليمان الحلي ص179 وكشف الغمة ج2 ص129 والفصول المهمة لابن الصباغ ج1 ص666 وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج9 ص251 وج33 ص292 عن مختصر المحاسن المجتمعة في فضائل الخلفاء الأربعة (ط دار ابن كثير دمشق وبيروت) ص191.

(2) ينابيع المودة ص168 و 445 و (ط دار الأسوة سنة 1416هـ) ج2 ص44 و 316 وج3 ص291 و 394 وراجع: منهاج السنة لابن تيمية ج4 ص209 وإثبات الهداة ج5 ص129 وبحار الأنوار ج36 ص241 و 360 و 290 و 291 وكفاية الأثر ص46 وغاية المرام ج1 ص129 وكشف الأستار ص61 ومقتل الحسين للخوارزمي ص212 ـ 213 وكمال الدين ص262 وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج27 ص99 عن عيون الأخبار (نسخة مكتبة الفاتيكان) ص55 وعن آل محمد للمردي الحنفي ص18 وراجع: الإمامة والتبصرة ص110 والخصال ص475 وكتاب سليم بن قيس ص460 والإختصاص ص207 والإستنصار ص9 والصراط المستقيم ج2 ص119 و 130 ومدينة المعاجز ج3 ص232 وكتاب الأربعين للماحوزي ص214 وإعلام الورى ج2 ص180 والدر النظيم ص791 وكشف الغمة ج3 ص313 والعدد القوية ص85

4 ـ وفي حديث عنه «صلى الله عليه وآله» يقول فيه عن الإمام الحسن «عليه السلام»: «وهو سيد شباب أهل الجنة، وحجة الله على الأمة، أمره أمري، وقوله قولي، من تبعه فإنه مني، ومن عصاه فإنه ليس مني الخ..»[1].

5 ـ بالإضافة إلى أحاديث أخرى تدل على إمامته، وإمامة التسعة من ذرية الحسين «عليه السلام»[2].

ب: ومما ورد عن استخلاف علي «عليه السلام» ووصيته بالأمر إلى الإمام الحسن «عليه السلام» نذكر ما يلي:

1 ـ قول الإمام الحسن «عليه السلام» في كتابه لمعاوية: «وبعد.. فإن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب لما نزل به الموت ولّاني هذا الأمر بعده»[1].

والنجم الثاقب ج1 ص482.

(1) الأمالي للصدوق ص101 و (ط مؤسسة البعثة سنة 1417هـ) ص176 و 177 وفرائد السمطين ج2 ص35 وبحار الأنوار ج28 ص39 وج44 ص148 وراجع: المحتضر لابن سليمان الحلي ص198 و موسوعة أحاديث أهل البيت للنجفي ج9 ص12 وبشارة المصطفى ص308 وغاية المرام ج1 ص172.

(2) فرائد السمطين ج2 ص35 والأمالي للصدوق ص101 وحول ما يثبت إمامة الإمام الحسن «عليه السلام» راجع: ينابيع المودة ص441 و 442 و 443 و 487 عن المناقب، وفرائد السمطين ج2 ص140 و 134 و 153 و 259 وفي هوامشه عن المصادر التالية: غاية المرام ص39 وكفاية الأثر (المطبوع في آخر الخرائج والجرائح) ص289 وعيون أخبار الرضا، باب 6 ص32 وبحار الأنوار ج3 ص303 وج36 ص283 وج43 ص248 وأمالي الصدوق ص359 المجلس رقم63 .

(1) راجع: مقاتل الطالبيين ص55 و 56 والفتوح لابن أعثم ج4 ص151 ومناقب

2 - وقال ابن عباس، بعد استشهاد أمير المؤمنين «عليه السلام»: «هذا ابن بنت نبيكم، ووصي إمامكم، فبايعوه»[1].

3 ـ عن الهيثم بن عدي، قال: «حدثني غير واحد ممن أدركت من المشايخ: أن علي بن أبي طالب «عليه السلام» أصار الأمر إلى الحسن»[2].

4 - وقال ابن أبي الحديد المعتزلي الحنفي عن أمر الخلافة: «وعهد بها إلى الحسن «عليه السلام» عند موته»[1].

5 ـ وذكروا: أن جندب بن عبد الله دخل على علي «عليه السلام»، فقال:

آل أبي طالب ج4 ص31 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج16 ص36 ـ 40 وبحار الأنوار ج44 ص64 عن كشف الغمة، وحياة الحسن بن علي «عليه السلام» للقرشي ج2 ص29 وراجع: هامش أنساب الأشراف (بتحقيق المحمودي) ج3 ص31 وفي بعض المصادر «ولّاني المسلمون الأمر».

(1) الفصول المهمة لابن الصباغ ص46 و (ط دار الحديث سنة 1422هـ) ص717 وإعلام الورى ص209 و (مؤسسة آل البيت لإحياء التراث 1417هـ) ج1 ص407 والإرشاد للمفيد ص207 و (مؤسسة آل البيت لتحقيق التراث سنة 1414هـ) ج2 ص8 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج16 ص30 وبحار ج43 ص362 وكشف الغمة ج2 ص164 ومقاتل الطالبيين ص34 و 52 وحياة الإمام الحسن للقرشي ج2 ص10 وعن إثبات الهداة ج5 ص139 و 134 و 136 والمستجاد من الإرشاد (المجموعة) ص145 وكشف الغمة ج2 ص156 و 161.

(2) العقد الفريد ج4 ص474 و 475 وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج32 ص671 عن تاريخ الأحمدي (ط بيروت سنة 1408هـ) ص211 عن ابن عبد ربه.

(1) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج1 ص57.

يا أمير المؤمنين، إن فقدناك فلا نفقدك، فنبايع الحسن؟!

قال: نعم[1].

6 - **وقال ابن كثير:** «الخلفاء الأربعة: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي. خلافتهم محققة، بنص حديث سفينة: الخلافة بعدي ثلاثون سنة..

ثم بعدهم الحسن بن علي، كما وقع، لأن علياً أوصى إليه، وبايعه أهل العراق الخ..»[2].

7 - وعند أبي الفرج، وغيره: أنه لما أتى أبا الأسود نعي أمير المؤمنين، والبيعة للإمام الحسن «عليه السلام»، قام أبو الأسود خطيباً، فكان مما قال:

«وقد أوصى بالإمامة بعده إلى ابن رسول الله، وابنه، وسليله، وشبيهه في خلقه وهديه الخ..» [3].

8 - **وعند المسعودي:** أن أمير المؤمنين «عليه السلام» قال: «وإني أوصي إلى الحسن والحسين؛ فاسمعوا لهما، وأطيعوا أمرهما»[1].

---

(1) المناقب للخوارزمي ص278 و (ط جماعة المدرسين) ص384 ونهج السعادة ج7 ص150.

(2) البداية والنهاية ج6 ص249 و (ط دار إحياء التراث) ج6 ص279.

(3) راجع: تيسير المطالب ص179 وقاموس الرجال ج5 ص172 والأغاني ج6 ص121 و (ط دار إحياء التراث العربي) ج12 ص503 ونهج السعادة ج8 ص510 وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج18 ص258 عن مهذب الأغاني لابن منظور (ط الدار المصرية بالقاهرة) الجزء الثاني. وفي الخرائج والجرائح ما يدل على ذلك.

(1) إثبات الوصية ص152 والخرائج والجرائح ج1 ص183 ومدينة المعاجز ج2 ص177

9 ـ وعن علي «عليه السلام»: أنت يا حسن وصيي، والقائم بالأمر بعدي[1].

وفي نص آخر: يا بُنيَّ، أنت وليُّ الأمر، وولي الدم[2].

10 ـ وفي نصٍّ آخر: الحسن والحسين في عترتي، وأوصيائي، وخلفائي[3].

11 ـ **وقالوا:** إن الشيعة أطبقت: على أن علياً نص على ابنه الحسن[1].

12 ـ **ويفهم من رواية ذكرها ابن سعد:** أن أمر الوصاية قد اشتهر عن آل علي، في عهد التابعين، فراجع.

وبحار الأنوار ج41 ص296 وج42 ص87.

(1) إثبات الهداة ج5 ص140 والصراط المستقيم ج2 ص160 والأنوار البهية ص79 ونهج السعادة ج2 ص740 وج8 ص398 والدر النظيم ص377.

(2) الكافي ج1 ص299 ودعائم الإسلام ج2 ص348 ومن لا يحضره الفقيه ج4 ص189 وتهذيب الأحكام ج9 ص176 ووسائل الشيعة (آل البيت) ج29 ص128 و (الإسلامية) ج19 ص96 ومستدرك الوسائل ج18 ص256 ومصباح البلاغة (مستدرك نهج البلاغة) ج3 ص39 والوافي للفيض الكاشاني ج2 ص329 وكتاب سليم بن قيس ص445 والغيبة للطوسي ص194 وبحار الأنوار ج42 ص213 و 250 ومرآة العقول ج3 ص293 ونهج السعادة ج7 ص160 و 165 وج8 ص308 والدر النظيم ص379 وإثبات الهداة ج5 ص126.

(3) إثبات الهداة ج5 ص139 وراجع: الإحتجاج للطبرسي ج1 ص88.

(1) إثبات الهداة ج5 ص126 وأصول الكافي ج1 ص299 وصلح الحسن ج1 ص52 وإعلام الورى ج1 ص404 وج2 ص154 وراجع: النجاة في القيامة لابن ميثم ص168.

وكانوا يتّقون الناس في إظهارها[1].

إلى غير ذلك مما لا مجال لتتبعه واستقصائه..

خطبة الإمام الحسن × في اليوم الأول:

قالوا:

فلما كان الغد أذَّن الحسن وأقام، وتقدم فصلى بالناس صلاة الفجر، ثم وثب فصعد المنبر [وعند ابن عساكر: وعليه جبة وعمامة سوداء، ليس عليه قميص]، فحمد الله وأثنى عليه، وقال:

[أيها الناس!] لقد قبض [دفن] في هذه الليلة رجل لم يسبقه الأولون بعمل [بعلم]، ولا يدركه الآخرون بعمل [بحلم]، ولقد كان يجاهد مع رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فيقيه بنفسه، ولقد كان يوجهه برايته، فيكتنفه جبرئيل عن يمينه، وميكائيل عن يساره، فلا يرجع حتى يفتح الله عليه.

ولقد توفي في هذه الليلة التي عرج فيها بعيسى بن مريم، ولقد توفي فيها يوشع بن نون وصي موسى، [ولقد صعد بروحه في الليلة التي صعد فيها بروح يحيى بن زكريا].

[أيها الناس! إنه ما] وما خلف صفراء ولا بيضاء إلا سبعمائة درهم بقيت من عطائه، أراد أن يبتاع بها خادماً لأهله، [لأختي أم كلثوم خادماً، وقد أمرني أن أردها إلى بيت المال]. ثم خنقته العبرة، فبكى وبكى الناس معه.

ثم قال: أيها الناس، من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني [عرفته

(1) راجع: الطبقات الكبرى لابن سعد (ط ليدن) ج5 ص239.

باسمي، على أن الناس بي عارفون]، فأنا الحسن بن محمد «صلى الله عليه وآله»، أنا ابن البشير، أنا ابن النذير، أنا ابن الداعي إلى الله عز وجل بإذنه، وأنا ابن السراج المنير، وأنا من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، والذين افترض الله مودتهم [طاعتهم] في كتابه إذ يقول: ﴿وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا﴾(1)..

فاقتراف الحسنة مودتنا أهل البيت(2).

---

(1) الآية 23 من سورة الشورى.

(2) راجع: مقاتل الطالبيين (منشورات المكتبة الحيدرية) ص33 و (ط مصر) ص51 و 52 وشرح الأخبار ج2 ص436 وقاموس الرجال ج10 ص500 وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج4 ص413 وج11 ص189 وج26 ص491 والفتوح لابن أعثم ج4 ص282 وتاريخ مدينة دمشق ج42 ص580 و 581 و 578 و 579 وحلية الأولياء ج1 ص65 ومسند أحمد (ط دار الفكر) ج1 ص426 و 425 ومروج الذهب ج2 ص414 وتفسير فرات ص72 و 70 وفي مقتل الحسين للخوارزمي ج1 ص126: أنا ابن نبي الله الخ.. وحياة الصحابة ج3 ص526 ومجمع الزوائد ج9 ص146 وقال: ورواه أحمد باختصار كثير، وإسناد أحمد، وبعض طرق البزار والطبراني في الكبير حسان. وراجع: تيسير المطالب ص179 والأمالي للطوسي ص169 و (ط أخرى) ص276 والإرشاد للمفيد ج2 ص7 و 8 و (ط أخرى) ص207 وعن الطبقات الكبرى لابن سعد ج2 ص25 وعن جمهرة الخطب ج2 ص7 والفصول المهمة لابن الصباغ (ط النجف) ص146 وكشف الغمة ج2 ص159 وينابيع المودة ص225 و 203 و 270 و 479 و 482 عن ابن سعد في شرف النبوة، والبزار، والزرندي المدني، وغيرهم. وفرائد السمطين ج2 ص120 وذخائر العقبى ص138 و 140 وعن الدولابي في الذرية الطاهرة، ونزهة المجالس ج2

وفي نص آخر ـ رواه الحاكم في المستدرك ـ: «أيها الناس، من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا الحسن بن علي، وأنا ابن النبي، وأنا ابن الوصي»(1).

وهناك نص آخر يختلف عما تقدم، سنذكره فيما يأتي، أن شاء الله تعالى.

وقد بويع «عليه السلام» بعد أبيه، يوم الجمعة، الحادي والعشرين من شهر رمضان، في سنة أربعين(2).

ونقول:

إختلاف نصوص الخطبة:

كثيراً ما يقع الاختلاف بين الرواة في نقلهم للنصوص المطولة، لأن الإعتماد يكون على الذاكرة، لا على الكتابة المباشرة، كما أن المجلس العام الذي تلقى فيه هذه الخطب على الحشود الكثيرة قد يكون فيه من الهمهمة واللغط العالي ما يمنع من سماع الناقل لبعض الفقرات أو الكلمات، فينقل خصوص ما سمعه.. إما بمعناه، أو بلفظه، إن أمكنه ذلك. كما أن بعض الرواة قد يتعلق غرضه بنقل فقرات معينة، فيقتصر عليها.

ولأجل ذلك نجد مسحة من هذا الواقع على نصوص أول خطبة عامَّة

ص186 والمحاسن والمساوئ ج1 ص132 و 133 ومناقب آل أبي طالب ج4 ص11 و 12 والإحتجاج ج1 ص149 وبحار الأنوار ج43 ص361 و 362 وإعلام الورى ص208 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج16 ص30.

(1) مستدرك الحاكم ج3 ص172 وذخائر العقبى ص138 عن الدولابي، وكشف الغمة ج2 ص173 عن الجنابذي على ما يظهر.

(2) مناقب آل أبي طالب ج3 ص191 وبحار الأنوار ج43 ص363 والعوالم ج16 ص141.

للإمام الحسن «عليه السلام» بعد استشهاد أبيه، وفي أول يوم من أيام خلافته بعده.

وحيث إن استقصاء نصوص هذه الخطبة المباركة والمقارنة بينها في المصادر المختلفة أمر متعسر، بل يتعذر بالنسبة إلينا، فقد آثرنا الإكتفاء بالجمع بين رواية ابن أعثم، ورواية أبي الفرج، ورواية أخرى، ولاسيما في الأمور البارزة منها.. وحاولنا التعويض ـ ولو جزئياً ـ عن ذلك ببعض الايضاحات لفقرات من هذه الخطبة، وذلك كما يلي:

يفديه بنفسه:

قال «عليه السلام» في خطبته المتقدمة: إن علياً «عليه السلام» كان يفدي النبي «صلى الله عليه وآله» بنفسه..

ونقول:

قد يكون هناك من يقتحم الأخطار الجسام في سبيل حفظ من يحب، لكن ذلك يصاحبه وجود احتمال ـ ولو كان ضعيفاً ـ إمكانية تجاوز ذلك الخطر العظيم، وحصول ذلك بالفعل، فيصح أن يقال: إنه فداه بنفسه.

وقد يتعاظم الخطر إلى حد يصبح احتمال تجاوزه غير معقول ولا مقبول عند العقلاء، أو يكون تجاوزه متعذراً، إلا بكرامة ربانية.. كما كان الحال في حديث اقتلاع باب خيبر، ورميه بعيداً.. ومبيت علي على فراش النبي ليلة الغار، وحديث مواجهة علي «عليه السلام» جيش حنين، وهم ألوف، وجيش المشركين في أحد، وهم ألوف أيضاً، وهو «عليه السلام» تصدى لهم وحده،

دفاعاً عن رسول الله..

فهذا الإقدام في هذه المواطن فداء حقيقي للنبي بنفسه، لأن العقلاء لا يرون له فرصة للنجاة مهما كان احتمالها ضئيلاً.

وهذا يؤكد لنا جريان قاعدة تقديم الأهم على المهم.. حتى في بذل الأرواح مثل: نجاة النبي والوصي، وحفظ الدين، فيقدم حفظه، ويضحي بروحه، وكل غالٍ ونفيس من أجله، ولا يلام من بذل نفسه لحفظ ما هو أعظم وأهم.

لم يسبقه الأولون ولا يدركه الآخرون:

إن كان المراد بالأولين، هم: الخلفاء، أو الناس من الصحابة الذين سبقوا علياً «عليه السلام» منذ وفاة النبي «صلى الله عليه وآله» إلى حين شهادته «عليه السلام»، فهو وإن دلَّ على أن الخلفاء الذين كانوا قبله لا يملكون أي ميزة توجب سبقهم له «عليه السلام».. لكنه معنى بعيد، لأن المعهود من استعمال الناس لكلمتي: «الأولين والآخرين» هو إرادة الأمم السالفة، والأمم اللاحقة.

ونستفيد من ذلك: أنه لا أحد من الأمم السالفة من آدم «عليه السلام» وإلى النبي الخاتم «صلى الله عليه وآله» أفضل من علي «عليه السلام»، بما فيهم الأنبياء والمرسلون، فضلاً عن غيرهم من الأمم أجمعين..

كما أن الآخرين لا يدركون مقامه، مهما جدوا واجتهدوا..

ويستفاد من هذين الأمرين:

أولاً: أنه «عليه السلام» اكتفى بالقول بعدم وجود من هو أفضل من علي «عليه السلام» في علمه، ولم يقل: إنه أفضل أو أعلم منهم، بل سكت عن

ذلك، وأبقى الأمر مبهماً، ومعلقاً من هذه الناحية، ربما لأنه لا يريد أن يصرح بأعلميته عليهم، لكي لا يثير جدلاً حول هذا الموضوع، قد ينتهي إلى إثارة شبهات لا يحسن إثارتها، أو توجب إثارتها تضييع المقصود الأهم الذي يريد بيانه للناس..

ولكن بما أن رسول الله هو أعلم الأولين والآخرين، وعلي هو نفس الرسول «صلى الله عليه وآله»، فيكون «عليه السلام» أعلم من الأولين والآخرين، ما عدا رسول الله «صلى الله عليه وآله».. وليكن هذا قرينة على المراد من قوله: «لم يسبقه الأولون، ولم يلحقه الآخرون».

وثانياً: قد دلَّ هذا الكلام على أن الإمام الحسن «عليه السلام» كان يعرف مستويات وحدود علم جميع الأنبياء والمرسلين، والأمم السابقة.. ولو من نص قرآني، أو إخبار نبوي، أو غير ذلك من وسائل تلقي المعارف التي منحه الله إياها.. فمثلاً إذا كان علي «عليه السلام» هو نفس رسول الله بنص آية المباهلة، وكان رسول الله «صلى الله عليه وآله» أفضل من جميع الأنبياء، وأعلم، وأحكم، فعلي كذلك..

وثالثاً: إنه «عليه السلام» قد حكم بأن أحداً من الآخرين لن يدرك علياً «عليه السلام»، مهما جد واجتهد.. وهذا إخبار غيبي عن أمر لم يتحقق، ولم يوجد أهله بعد، فهو لا يعرف إلا بالتلقي من عالم الغيب والشهادة، أو ممن هو متصل به، كالنبي الأعظم «صلى الله عليه وآله».. لأن الآخرين لا يزالون في ضمير الغيب، لا يعرف إلا الله ما يكون منهم، وما يمكن أن يصلوا إليه، ويحصلوا عليه.

وبذلك يعلم السبب في أنه «عليه السلام» لم يقل: ولم يدركه، بل قال: لا يدركه.. ليدل على نفي حصول ذلك في جميع الأزمان، لا في خصوص الزمن الماضي.

جبرئيل وميكائيل عن يمين علي وشماله:

وهنا إخبار غيبي آخر أطلقه الإمام الحسن «عليه السلام»، ويفترض أنه تلقاه من رسول الله أيضاً، وهو أنه حين كان النبي «صلى الله عليه وآله» يرسل علياً برايته إلى حرب أعدائه، كان جبرئيل عن يمينه، وميكائيل عن يساره..

وهذا يشير إلى:

ألف: مدى اخلاص وخلوص علي «عليه السلام» في جهاده.

ب: يشير أيضاً إلى أن ما ينعم به المسلمون من منعة وقوة، وماهم من عظمة، وما هم فيه من نعم في الأمن، والنفوذ، والقوة الإقتصادية، والتماسك على صعيد العلاقات، والإنسجام الإجتماعي هو من ثمرات جهاد، وتضحيات، وإخلاص علي «عليه السلام».

ج: إن هذا يدل على أن الناس الذين تلكأوا عن نصرته، أو لم يبذلوا غاية الوسع فيها، فإنما فرطوا في حظهم، وحرموا أنفسهم من الخير العميم، والثواب العظيم، والنعيم المقيم.

د: إن كون جبرئيل عن يمينه، وميكائيل عن يساره إنما هو تكريم له «عليه السلام»، وتعبير عن الرضا الإلهي، والتسديد والتأييد، والحفظ الرباني الذي استحقه «عليه السلام» بخلوص نواياه، وبتضحياته الجليلة.

هـ: إن الإمام الحسن «عليه السلام» حين يخبر: أن جبرئيل وميكائيل،

عن يمين ويسار علي «عليه السلام» قد لا يكون إخبارا بالواسطة، إذ يمكن أن يكون «عليه السلام» كان يراهما مع أبيه.. لأن الأئمة الطاهرين كانوا يرون الملائكة أيضاً ويعرفونهم، وكانت الملائكة تختلف إلى بيوتهم.

ويحتمل أن يكون قد تلقَّى ذلك من جده النبي «صلى الله عليه وآله».. وهذا لا ينقص من قيمة هذا النقل، بل هو تكريم آخر لأمير المؤمنين «عليه السلام»، لأن نفس اهتمام النبي «صلى الله عليه وآله» بالتعريف بهذا الأمر يعطيه المزيد من القيمة والإعتبار.

و: إن انضمام جبرائيل وميكائيل إلى علي «عليه السلام»، وكلاءتهما له ـ كما ذكر الإمام الحسن «عليه السلام» ـ كان يحصل حين كان يوجهه النبي «صلى الله عليه وآله» برايته، سواء في الغزوات التي كان «صلى الله عليه وآله» حاضراً فيها، أو في السرايا التي كانت بقيادة علي «عليه السلام».

ولأجل ذلك كان النصر ملازماً له في جميع الحروب والمنازلات التي خاضها «عليه السلام»..

في حين كان غيره يفشل، وينهزم في غياب رسول الله «صلى الله عليه وآله» وفي حضوره، بل كانوا ينهزمون عن رسول الله، ولا يبقى معه سوى أمير المؤمنين، كما جرى في أحد، وحنين، وسواهما.. ولا نريد التذكير بخيبر، وقريظة، وغير ذلك.

وهزائمهم في هذه الحروب وسواها قد جرَّ على الإسلام مصائب وبلايا، ولكن أمير المؤمنين وحده كان يأتي بالنصر المبين، بعد انهزام الآخرين من المدَّعين والطامحين.

توافقات بين علي والأنبياء ^:

وقد ذكر «عليه السلام»: أن أمير المؤمنين «عليه السلام» قد قتل في ليلة توافق فيها مع ثلاثة من الأنبياء والأوصياء، وهم:

1 ـ عيسى بن مريم «عليهما السلام»، وهو من أولي العزم.. الذي رفعه الله في مثل هذه الليلة.

2 ـ يوشع بن نون وصي موسى «عليه السلام».. الذي توفي في مثل هذه الليلة أيضاً.

3 ـ نبي الله يحيى بن زكريا «عليهما السلام».. وقد استشهد في مثل هذه الليلة كذلك.

ولهذا التوافق إيحاءات، وإشارات إلى لطائف:

فأولاً: بالنسبة لعيسى نلاحظ: أن الخصوصية الظاهرة فيه أن الله تعالى حين أرادوا قتله رفعه إليه..

ونقول:

1 ـ يلاحظ: أن الروايات تحدثت أيضاً عن رفع جسد رسول الله «صلى الله عليه وآله»، إلى السماء بعد دفنه بثلاثة أيام[1].

---

(1) بحار الأنوار ج18 ص298 وج26 ص303 وج97 ص131 وكنز الفوائد ص258 وراجع: مستدرك سفينة البحار ج9 ص517 والكافي ج4 ص567 والمزار للمفيد ص189 و (ط دار المفيد) ص221 وبصائر الدرجات ص465 وكامل الزيارات ص329 و 330 ومن لا يحضره الفقيه ج2 ص345 وتهذيب الأحكام ج6 ص106

وحين استشهد أمير المؤمنين «عليه السلام» ودفن ألحقه الله بنبيِّه..

فمن الروايات الدالة على ذلك نذكر:

ألف: إن مما أوصى به الإمام علي ولده الإمام الحسن «عليهما السلام»، قوله: «فإذا أردت الخروج من قبري، فافتقدني، فإنك لا تجدني، وإني لاحق بجدك رسول الله «صلى الله عليه وآله».

واعلم يا بني، ما من نبي وإن كان مدفوناً بالمشرق، ويموت وصيه بالمغرب، إلا ويجمع الله عز وجل بين روحيهما، وجسديهما، ثم يفرقان فيرجع كل واحد منهما إلى موضع قبره، إلى موضعه الذي حط فيه، الخ..»[1].

ب: عن الإمام الصادق «عليه السلام»: ما من نبي ولا وصي يبقى في الأرض بعد موته أكثر من ثلاثة أيام حتى ترفع روحه وعظمه، ولحمه إلى السماء.. وإنما تؤتى مواضع آثارهم، ويبلغهم السلام من بعيد، ويسمعونه في مواضع آثارهم من قريب[2].

ونور الثقلين (تفسير) ج5 ص119 ومنتقى الجمان ج1 ص318 وجامع أحاديث الشيعة ج12 ص259 وبحار الأنوار ج11 ص67 وج22 ص550 وج27 ص299 و 300 وج97 ص129 و 130 ووسائل الشيعة (الإسلامية) ج10 ص254.

(1) بحار الأنوار ج42 ص292.

(2) الكافي ج4 ص567 والمزار للمفيد ص189 و (ط دار المفيد) ص221 وبصائر الدرجات ص465 وكامل الزيارات ص329 و 330 ومن لا يحضره الفقيه ج2 ص345 وتهذيب الأحكام ج6 ص106 ونور الثقلين (تفسير) ج5 ص119 ومنتقى الجمان ج1 ص318 وجامع أحاديث الشيعة ج12 ص259 وبحار الأنوار ج11 ص67 وج22 ص550 وج27 ص299 و 300 وج97 ص129

ج: روي عن حذيفة بن اليمان: أنه قال: قال رسول الله « صلى الله عليه وآله»: «الأوصياء مع الأنبياء حيث كانوا.. لو أن نبياً مات بالمغرب، ومات وصيه بالمشرق، لأمر الله تعالى الأرض أن تنقله إليه»(1).

د: ورووا أيضاً: أن جسد أمير المؤمنين «عليه السلام» قد ألحق بجسد رسول الله «صلى الله عليه وآله»، حيث جاء فيها على لسان ذلك الهاتف: «أمير المؤمنين «عليه السلام» كان عبداً صالحاً، فألحقه الله بنبيه.. وكذلك يفعل بالأوصياء بعد الأنبياء، حتى لو أن نبياً مات في المشرق، ومات وصيه في المغرب، لألحق الله الوصي بالنبي»(1).

2 ـ وإن الخصوصية الأخرى الظاهرة من عيسى: هي أنه ولد من غير أب، وهي ولادة يكتنفها الإعجاز الإلهي، وتشير إلى أن له «عليه السلام» شأناً عظيماً..

وهذا بالذات هو ما ظهر في ولادة أمير المؤمنين «عليه السلام»، حيث انشق

و 130 ووسائل الشيعة (الإسلامية) ج10 ص254 .

(1) المزار للمفيد ص193 و (دار المفيد) ص224 وكنز الفوائد للكراجكي ص258 حديث 16 وبحار الأنوار ج97 ص131 وج18 ص298.

(1) تهذيب الأحكام ج6 ص106 وفرحة الغري (منشورات الرضي) ص30 و (نشر مركز الغدير) ص60 كلاهما عن سعد الإسكاف، وروضة الواعظين ص136 والإرشاد ج1 ص23 وبحار الأنوار ج42 ص217 و 214 و 236 ومدينة المعاجز ج3 ص49 والمستجاد من الإرشاد (المجموعة) ص27 وإعلام الورى ج1 ص393 وإرشاد القلوب ج2 ص435 وعن مناقب آل أبي طالب ج1 ص482 و 483 والمزار للمفيد ص192 وإثبات الهداة ج5 ص2.

جدار الكعبة لأمه فاطمة بنت أسد، فدخلت إليها ثم التأم، لتلده في الكعبة التي هي أقدس مكان، وهي بيت الله الحرام، وبقيت في داخلها ثلاثة أيام.

وهذا أيضاً يعطينا: أن لهذا المولود شأناً عظيماً، وله رعاية واصطفاء رباني ظاهر..

3 ـ أما فيما يرتبط بإحياء عيسى للموتى، وإبراء الأكمه والأبرص بإذن الله الذي هو من الخصوصيات التي عُرف بها عيسى «عليه السلام»، فنجد له شواهد، ودلائل في حياة أمير المؤمنين «عليه السلام» أيضاً.

ثانياً: بالنسبة ليوشع «عليه السلام»، الذي كان وصي موسى، فإن موارد الإلتقاء بينه وبين أمير المؤمنين «عليه السلام» كثيرة جداً، وقد ذكرنا في كتابنا: «الإمام علي ويوشع» «عليهما السلام» ستة وستين مورداً من ذلك، فراجع.

ثالثاً: بالنسبة ليحيى بن زكريا، نقول: إن التوافق بين ليلتي استشهاد علي و استشهاد يحيى «عليهما السلام»، لا يقف عند هذا الحد، فإن يحيى قتل، لأن امرأة طلبت من ذلك الرجل أن يقتل يحيى «عليه السلام»[1]، وقتل أمير المؤمنين لأن امرأة اسمها قطام، طلبت من ابن ملجم قتله.

يضاف إلى ذلك: أن قاتل يحيى كان ابن بغي، وقاتل أمير المؤمنين كان ابن بغي، أيضاً، كما روي عن الإمام الباقر «عليه السلام»[2].

---

(1) بحار الأنوار ج14 ص180 ـ 181 والمستدرك للحاكم ج2 ص290 والدر المنثور ج2 ص13 وفتح القدير ج1 ص328 وقصص الأنبياء للراوندي ص219 والنور المبين للجزائري ص400.

(2) بحار الأنوار ج14 ص182 وج42 ص303 وقصص الأنبياء للراوندي ص222.

لا صفراء، ولا بيضاء:

ثم إن علياً «عليه السلام» قد بقي ربع قرن، بل بقي طول عمره وهو يكدّ ويتعب، ويحفر الآبار، ويستنبط المياه، ويغرس الشجر، حتى أصبحت زكاة أمواله تعد بألوف الدنانير، ولكنه قد وقف جميع ذلك على الفقراء والأيتام، وأبناء السبيل، الحجاج، وغيرهم.. ولم يخلف لأبنائه وبناته، وزوجاته ما يرثونه من بعده..

وإنما يعادي الناس حكامهم، أو يوالونهم من أجل الأموال في أكثر الأحيان، حيث يرون شدة شره أولئك الحكام إليها، واستئثارهم بها، وعامة الناس يعانون الأمرَّين في سبيل الحصول على لقمة العيش..

في حين أنهم يرون أمير المؤمنين «عليه السلام» كان لا يقيم لحطام الدنيا وزناً، بل هو لو كان عنده بيت من تبر وبيت من تبن لأنفق تبره قبل تبنه(1)، وقد رقع مدرعته حتى استحيا من راقعها، وراقعها هو الإمام الحسن «عليه السلام»(2)..

---

(1) شرح الأخبار ج2 ص99 وتاريخ مدينة دمشق ج42 ص414 وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج31 ص539 وبحار الأنوار ج33 ص254 وكشف الغمة ج2 ص48 وكشف اليقين ص475 وراجع: ينابيع المودة ج1 ص450 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج1 ص22 والإمامة والسياسة (تحقيق الزيني) ج1 ص101 و (تحقيق الشيري) ج1 ص134 وكتاب الأربعين للشيرازي ص417 والصراط المستقيم ج1 ص162 وبحار الأنوار ج33 ص254 وج41 ص144 ومناقب أهل البيت للشيرواني ص225.

(2) الدرة النجفية (طبعة حجرية) ص303 و (ط دار المصطفى لإحياء التراث) ج4

بل إن علياً «عليه السلام»، وهو خليفة المسلمين يخرج إلى السوق ليبيع سيفه، ويقول: لو كان عندي ثمن عشاء ما بعته[1].

في حين أن الناس في الكوفة التي كان سكانها يعدّون بعشرات، وربما بمئات الألوف، كانوا في بحبوحة من العيش، فقد روى عبد الله بن أحمد بن حنبل، عن أبيه، عن أبي معاوية، عن ليث، عن مجاهد، عن عبد الله بن سخبرة، عن علي «عليه السلام» قال:

ص85 ومستدرك سفينة البحار ج3 ص272 وج4 ص181 ونهج البلاغة (بشرح عبده) ج2 ص60 و 61 والأمالي للصدوق ص718 و 719 ومصباح البلاغة (مستدرك نهج البلاغة) ج1 ص216 ومكارم الأخلاق للطبرسي ص10 ومناقب آل أبي طالب ج1 ص370 وعيون الحكم والمواعظ ص405 وشرح نهج البلاغة لابن ميثم ج3 ص281 وحلية الأبرار ج2 ص202 وج40 ص346 وج41 ص160 وج63 ص320 وج74 ص392 وسنن النبي للطباطبائي ص12 ومستدرك سفينة البحار ج3 ص361 وج4 ص181 والإمام علي بن أبي طالب للهمداني ص619 وميزان الحكمة ج2 ص899 ومنهاج البراعة ج2 ص112 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج9 ص233 وغوالي اللآلي ج4 ص130 ومجمع البيان ج9 ص147 والبرهان (تفسير) ج5 ص46 ونور الثقلين ج5 ص16 وكنز الدقائق ج12 ص191 وربيع الأبرار ج5 ص343 والتذكرة الحمدونية ج1 ص87 وكشف الغمة ج1 ص71 وإرشاد القلوب ج1 ص19 وجواهر المطالب ج2 ص140 وينابيع المودة ج1 ص437.

(1) مناقب آل أبي طالب (ط المكتبة الحيدرية) ج1 ص346 وكشف المحجة لابن طاووس ص124 وبحار الأنوار ج41 ص26 ومستدرك سفينة البحار ج9 ص478 وأنساب الأشراف (ط الأعلمي) ج2 ص117.

«ما أصبح بالكوفة أحد إلا ناعماً، إن أدناهم منزلةً ليأكل من البر، ويجلس في الظل، ويشرب من ماء الفرات»[1].

إعادة السبع مئة درهم إلى بيت المال:

نحن نعلم: أن علياً «عليه السلام» كان ينفق على نفسه، ويهيئ طعامه وهو في العراق من ماله بينبع[1].

وأما عطاؤه، فكانت له مصارف أخرى، مثل قضاء حاجات الناس،

---

(1) فضائل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب لابن حنبل ص33 و 30 وكتاب الزهد لابن حنبل ص130 وأسد الغابة ج4 ص24 وكنز العمال ج13 ص184 وج14 ص172 والسنن الكبرى للبيهقي ج5 ص330 وجامع المسانيد والمراسيل ج16 ص279 و 361 وفضائل الصحابة (ط دار الكتب العلمية) ج1 ص532 و 531 ومعرفة السنن والآثار ج4 ص367 وأعيان الشيعة ج1 ص346 وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج8 ص294 وج17 ص587. وراجع: المستدرك للحاكم (تحقيق يوسف عبد الرحمن المرعشلي) ج2 ص445 و (ط دار الكتب العلمية) ج2 ص482 وعن فضائل علي للخوارزمي ج1 ص368. وراجع: مناقب آل أبي طالب ج1 ص368 وبحار الأنوار ج40 ص327 والمصنف لابن أبي شيبة ج8 ص157.

(1) راجع: تاريخ مدينة دمشق ج42 ص482 وأسد الغابة ج4 ص24 والكامل في التاريخ ج3 ص401 والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج8 ص4 والمناقب للخوارزمي ص118 وحلية الأبرار ج2 ص239 و غاية المرام ج6 ص341 وفضائل الخمسة من الصحاح الستة ج3 ص10 وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج8 ص247 و 248 وج17 ص617 وج32 ص252 وشعب الإيمان للبيهقي ج5 ص60 وروى نظيره أحمد في فضائل الصحابة ج1 ص536.

وفي الصدقات، وغير ذلك.

وها هو يحاول أن يمد يد العون لأهله بشخص ابنته أم كلثوم بشراء خادم لها تكرماً منه في أمر ليس من مسؤولياته، ولا هو من الواجبات عليه، بل أراد تخفيف بعض التعب والعناء عنها، فيرصد سبع مئة درهم لهذا الغرض، لا لكي ينفقه على نفسه، وعلى مصالحه..

ولكنه حين لم يمهله الأجل لم يترك هذه الدراهم اليسيرة ليتقاسمها ورثته، بل أعادها إلى بيت مال المسلمين لتنفق في مصالحهم.

ولعل الوجه الذي دعاه إلى ذلك: هو أن عطاءه إنما كان في مقابل عمل لمدة معينة، وبعد أن ضربه ابن ملجم، فإن المدة التي يفترض إنجاز العمل فيها، لم تكن قد انتهت بعد، فهذه السبع مئة درهم لم ينجز عمل في مقابلها، فلا بد من إرجاعها لأهلها، وهذا ما حصل بالفعل.

ملاحظتان:

1 ـ وهذه دقة متناهية في أمر الأموال ينبغي تعميمها على العاملين، كقاعدة عمل، يعتمدونها في حساباتهم لتكون ذممهم بريئة..

2 ـ إن تقديم الإمام الحسن «عليه السلام» هذا الكشف المالي من شأنه أن يدفع الناس إلى المقارنة بين الحاكم العادل وبين غيره، وليعرفوا أن الحكم خدمة، ومعاناة، وتضحية، ومسؤولية، وليس امتيازاً.. ولا يمنح الحاكم حقاً بالتحكم بالناس، وفرض الإرادة الشخصية عليهم، وقهرهم، وتسخيرهم في مصالحه، ولا يبرر الاستيلاء على أموال بيت المال، ولا غير ذلك مما نعرفه من الحكام الدنيويين.

أنا الحسن بن محمد:

ثم انتقل الإمام الحسن «عليه السلام» في خطبته إلى التعريف بنفسه، فقال: من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا الحسن بن محمد، أنا ابن البشير، أنا ابن النذير الخ..

وفي بعض نصوص الخطبة قوله: «على أن الناس بي عارفون».

فهنا أمور عديدة تحتاج إلى بيان، وهي التالية:

أولاً: هنا سؤال يقول: ما الحاجة إلى تعريف الإمام الحسن بنفسه، لاسيما إذا كان، كما قال «عليه السلام»: «إن الناس بي عارفون»، فهو ابن بنت نبيهم، وابن خليفتهم، ووصي نبيهم.. الشهيد الذي يأتي إليه الناس لتعزيته به.

ونجيب:

ألف: لقد أراد أولاً أن يثير اهتمام الناس بالإيحاء لهم: بأنه سيقول أمراً في غاية الأهمية، فعليهم أن يلتفتوا إليه، ويدققوا النظر في ما يقول، ولا يتعاملوا معه على أنه كلمات في خطاب عابر اقتضته المناسبة.

ب: إنه «عليه السلام» يريد أن يقطع الطريق على أي دغدغة، أو شبهة مهما كان حجمها ضئيلاً، تثار حول كلامه للتملص من تبعاته، وإثارة الريب في مضمونه، من خلال تجهيل القائل، وإدخال الناس في متاهات جدال عقيم.. يصرف النظر عن المقاصد الحقيقية للكلام.

ثانياً: ثم جاء تعريفه «عليه السلام» بنفسه صادماً، وغير متوقع، وعلى غير العادة، فإن من يعرف نفسه إنما يذكر اسمه واسم أبيه، ولا يذكر اسم جده. فالعدول إلى هذا الأمر غير المألوف لا بد أن يثير لدى السامع سؤالاً

ملحاً بطلب الإجابة عليه عن السبب في هذا كله.

وقد ذكرنا في كتابنا: سيرة الحسين «عليه السلام» في الحديث والتاريخ ج8 ما يفيد في معرفة بعض أسباب هذا الأمر..

غير أننا نقول هنا ما يلي:

1 ـ إن عظمة أمير المؤمنين «عليه السلام» في الناس، ومواقفه الجهادية وتضحياته بنفسه في سبيل الله، وكسره عنفوان وجبروت قريش بقتله عتاتها، وفراعنتها على الشرك نصرة للدين أمر مشهود، ولاسيما مع نزول الآيات بحقه، وثناء الرسول المتكرر عليه، ثم بيعة الغدير له، وظهور تميزه على غيره في العلم والتقوى، والسياسة، والعقل، والحكمة، والتدبير، وفي الأخلاق الحميدة، والفضائل المجيدة، وغير ذلك مما لا يمكن لأحد إنكاره.

ثم كانت أحقاد، ومناوأة، وعداوة قريش، وأكثر العرب له، ثمرة من ثمرات هذا التباين، وتجلى ذلك في السقيفة، وفي ضرب الزهراء «عليها السلام»، وإسقاط جنينها، ومحاولة حرق بيته عليه وعليها، وعلى أولادهما، وربما احترق مسجد النبي «صلى الله عليه وآله»، حيث كان بيت علي في ضمنه، ثم استيلائهم على فدك، وسواها، وغير ذلك من ضروب الظلم والأذى الذي ساموهم إياه.

وحين بايعه الناس بعد قتل عثمان، شن عليه هؤلاء الأعداء حروباً طاحنة، تهدف إلى قتله، وقتل ولديه الحسن والحسين وسائر أبنائه وشيعته، واقتلاعهم من الوجود، وإبادة خضرائهم.

أما الإمام الحسن «عليه السلام»، فلم يكن لقريش ولا للعرب ثارات

عنده، في عهد الرسول، ولا فيما بعد ذلك، وهو سبط الرسول، وابن وصيه، وأمه سيدة نساء العالمين، وهو سيد شباب أهل الجنة، وهو من أهل الكساء، ومن أهل البيت الذين نزلت فيهم آية التطهير، وكان أحد أركان آية المباهلة، التي نصت على أنه ابن رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ولم يكن في واجهة الأحداث في عهد الخلفاء بعد رسول الله «صلى الله عليه وآله».

غير أن الإمام الحسن.. وإن كان سبط، وابن رسول الله «صلى الله عليه وآله».. وكان علي «عليه السلام»، ابن عم النبي، إلا أن هذه الخصوصية للإمام الحسن لم تسلم من تسلل النظرة الجاهلية إليها، فإن حياة أهل الجاهلية كانت تتعرض للغزو والسطو، والسبي للنساء والذرية، وقد أرهقتهم الطعون والشوائب التي كانت تثار باستمرار حول أنسابهم.

وقد انعكس ذلك على نظرتهم للمرأة، حتى ضاقوا بها ذرعاً وصاروا يحاولون التخلص منها.. إما طلباً للسلامة من العار، أو للتخفف من عبء مؤنتها، فيدفنونها في التراب وهي على قيد الحياة، بالرغم من حاجتهم إليها كأم وكزوجة، ولتحمُّل أعباء الخدمة، أو توفير حماية للعصبية العشائرية، التي كانت مؤثرة في النصرة، وفي مواجهة الأعداء.

وقد ساعد ذلك على نشوء شعور لديهم بالحاجة إلى النأي بأنفسهم عن انتساب ذريتها إليهم، حتى قال قائلهم:

بنونا بنو أبنائنا وبناتنا ... بنوهن أبناء الرجال الأباعد

ولهذا سهل عليهم التخلص من المرأة بالقتل لأدنى شبهة. وحرموا أبناء البنات من الإمتيازات حتى التي قررها الشرع الشريف لهم.. فحرموهم من

الميراث، ولم يشركوهم في الوصية[1]، ولا في الوقف[2].

ولأجل ذلك نجدهم يحرصون على إنكار أن يكون الحسنان ابني رسول الله «صلى الله عليه وآله».. وقد تشدد حكام بني أمية في هذا الأمر، وهو نفي بنوة الحسنين «عليهما السلام» للنبي «صلى الله عليه وآله»، وعاقبوا من خالفهم في ذلك بأشد العقوبات، وكان للإمام الحسن «عليه السلام» دور في إبطال هذه المزاعم المخالفة للقرآن، ولقول وفعل رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فلاحظ النصوص التالية:

1 ـ عن ذكوان، مولى معاوية، قال: قال معاوية: لا أعلمنَّ أحداً سمى هذين الغلامين[1] ابني رسول الله «صلى الله عليه وآله».

ولكن قولوا: ابني علي «عليه السلام».

قال ذكوان: فلما كان بعد ذلك، أمرني أن أكتب بنيه في الشرف.

قال: فكتبت بنيه وبني بنيه، وتركت بني بناته.. ثم أتيته بالكتاب، فنظر فيه، فقال: ويحك، لقد أغفلت كُبر بني!

فقلت: من؟!

---

(1) خزانة الأدب ج1 ص300 و (ط دار الكتب العلمية) ج1ص424 وأحكام القرآن للجصاص ج2 ص19 وحقائق التأويل ص115.

(2) الجامع لأحكام القرآن ج7 ص31 (وط دار أحياء التراث العربي) ج4 ص105 وتفسير القرآن العظيم ج2 ص55 و (ط دار المعرفة) ج2 ص160 والغدير ج7 ص123 و121.

(1) الغلام: الكهل. والطّارّ الشارب، فهو من الأضداد. راجع: أقرب الموارد ج2 ص484.

فقال: أما بنو فلانة ـ لابنته ـ بَنيَّ.. أما بنو فلانة ـ لابنته ـ بنيَّ..

قال: قلت: الله!! أيكون بنو بناتك بنيك، ولا يكون بنو فاطمة بني رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟!

قال: ما لك؟! قاتلك الله! لا يسمعنَّ هذا أحد منك؟!(1).

2 - عن الشعبي، قال: كنت عند الحجاج، فأُتِيَ بيحيى بن يعمر، فقيه خراسان، من بلخ، مكبلاً بالحديد فقال له الحجاج: أنت زعمت: أن الحسن والحسين من ذرية رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟!

فقال: بلى.

فقال الحجاج: لتأتيني بها واضحة بيّنة من كتاب الله (!!)، أو لأقطعنَّك عضواً عضواً.

فقال: آتيك بها بيّنة واضحة من كتاب الله يا حجاج.

قال: فتعجبت من جرأته بقوله: يا حجاج.

فقال له: ولا تأتني بهذه الآية: ندع أبناءنا وأبنائكم.

فقال: آتيك بها بيّنة واضحة من كتاب الله، وهو قوله: ونوحاً هديناه من قبل، ومن ذريته داود وسليمان.. إلى قوله: وزكريا، ويحيى، وعيسى. فمن كان أبو عيسى، وقد ألحق بذرية نوح؟!

قال: فأطرق الحجاج ملياً، ثم رفع رأسه فقال: كأني لم أقرأ هذه الآية

---

(1) كشف الغمة ج2 ص176 و (ط دار الأضواء) ج2 ص172 وبحار الأنوار ج33 ص257 و 258.

من كتاب الله، حلُّوا وثاقه الخ..[1].

وفي نور القبس: أنَّ الحجاج طلب منه أن لا يعود لذكر ذلك، ونشره.

3 - لسعيد بن جبير قصة مع الحجاج شبيهة بقصة يحيى بن يعمر، فلا نطيل بذكرها[1].

4 - سأل هارون الرشيد الإمام الكاظم «عليه السلام»، فقال له: كيف قلتم: إنَّا ذرية النبي، والنبي لم يعقب، وإنما العقب للذكر لا للأنثى، وأنتم ولد البنت، ولا يكون له عقب؟!

فسأله «عليه السلام» أن يعفيه، فلم يقبل، فاحتج عليه، «عليه السلام»: بأن القرآن قد اعتبر عيسى من ذرية إبراهيم في آية سورة الأنعام، مع أنه ينتسب إليه عن طريق الأم. ثم احتج عليه بآية المباهلة، حيث قال الله تعالى فيها: ﴿أَبْنَاءَنَا﴾»[2].

---

(1) التفسير الكبير للرازي ج2 ص194 والمستدرك للحاكم ج3 ص164 وفضائل الخمسة من الصحاح الستة ج2 ص247 و 248 والدر المنثور ج3 ص28 عن ابن أبي حاتم، وأبي الشيخ، والحاكم، والبيهقي، والغدير ج7 ص123 عن تفسير القرآن العظيم ج2 ص155 ومقتل الحسين للخوارزمي ج1 ص89 وراجع: العقد الفريد ج5 ص20 ونور القبس ص21 و 22 والكنى والألقاب ج1 ص12.

(1) مقتل الحسين للخوارزمي ج1 ص89 و 90.

(2) نور الأبصار ص148 و 149 وعيون أخبار الرضا ج1 ص84 و 85 و (ط الأعلمي) ج1 ص80 ونور الثقلين ج1 ص289 و 290 والميزان (تفسير) ج3 ص230 وبحار الأنوار ج48 ص128 وج93 ص240 والبرهان (تفسير) ج1 ص289 و (ط مؤسسة البعثة) ج1 ص635 وج2 ص718 ونور الثقلين (تفسير)

5 - إن عمرو بن العاص أرسل إلى أمير المؤمنين «عليه السلام» يعيبه بأشياء، منها: أنه يسمي حسناً وحسيناً ولَدَيْ رسول الله «صلى الله عليه وآله».

فقال لرسوله: قُلْ للشانئ ابن الشانئ: لو لم يكونا ولديه لكان أبتر، كما زعم أبوك[1].

6 - قال الحسين «صلوات الله وسلامه عليه» في كربلاء: «اللهم إنا أهل بيت نبيك، وذريته وقرابته، فاقصم من ظلمنا، وغصبنا حقنا، إنك سميع قريب.

فقال محمد بن الأشعث: أي قرابة بينك وبين محمد؟!

فقال الحسين: اللهم إن محمد بن الأشعث يقول: ليس بيني وبين محمد قرابة، اللهم أرني فيه هذا اليوم ذلاً عاجلاً، فاستجاب الله دعاءه الخ..»[2].

7 ـ جاء عن الإمام الحسن «عليه السلام» محتجاً على معاوية قوله: «فأخرج رسول الله «عليه السلام»[3] من الأنفس معه أبي، ومن البنين أنا وأخي، ومن

ج1 ص743 وكنز الدقائق (تفسير) ج4 ص383 والدرر النجفية للبحراني ج3 ص36 واللمعة البيضاء للتبريزي ص37 وغاية المرام ج3 ص227 وأعيان الشيعة ج2 ص8 .

(1) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج20 ص334.

(2) مقتل الحسين للخوارزمي ج1 ص249 ومقتل الحسين للمقرم ص278 عنه، ومناقب آل أبي طالب ج4 ص57 و (ط الأعلمي) ج3 ص215 ومدينة المعاجز ج3 ص476 وبحار الأنوار ج45 ص302 والعوالم، الإمام الحسين ص615.

(3) إن الإمام الحسن «عليه السلام» لا يصلي على النبي «صلى الله عليه وآله» الصلاة

النساء فاطمة أمي، من الناس جميعاً، فنحن أهله، ولحمه ودمه، ونفسه، ونحن منه وهو منا»[1].

8 - قد أوضح الإمام الباقر «عليه السلام» لنا: أن سياسات الآخرين كانت تقضي بنفي بنوة الحسنين «عليهما السلام» للنبي «صلى الله عليه وآله»، فراجع كلامه «عليه السلام» في ذلك[1].

9 - قال الرازي: ويقال: إن أبا جعفر الباقر استدل بآية المباهلة عند الحجاج بن يوسف[2].

وكل ما تقدم يفسر لنا ما أشار إليه، ودل عليه الإمام الحسن «عليه السلام»

البتراء. فلعل الرواة قد بدلوها في هذا المورد.

(1) الأمالي للطوسي ج2 ص172 و (ط دار الثقافة سنة 1414هـ) ص564 وبحار الأنوار ج10 ص141 وج69 ص154 وينابيع المودة ص479 عن الزرندي المدني، وص482 و 52 والبرهان (تفسير) ج2 ص286 و (مؤسسة البعثة) ج1 ص630 وج2 ص830 وج4 ص456 وحلية الأبرار ج2 ص75 وكتاب الولاية لابن عقدة ص186 وغاية المرام ج3 ص206 و 223 وج6 ص267.

(1) راجع: الكافي ج8 ص317 وبحار الأنوار ج43 ص232 وج93 ص239 وشجرة طوبى ج2 ص379 ومرآة العقول ج26 ص428 و 429 وتفسير القمي ج1 ص209 والبرهان (تفسير) ج2 ص52 و 446 ونور الثقلين (تفسير) ج1 ص348 و 461 و 472 وكنز الدقائق ج4 ص384 و 385 والدرر النجفية ج3 ص32 والعدد القوية ص40 واللمعة البيضاء ص36.

(2) التفسير الكبير للرازي ج13 ص66 وعنه في فضائل الخمسة من الصحاح الستة ج1 ص247.

في قوله في أول خطبة له بعد استشهاد أبيه: «أنا الحسن بن محمد».

فهو تثبيت لحقيقة نطق بها القرآن، وتجلت وتبلورت بالبيانات الشفوية والعملية للنبي الأكرم «صلى الله عليه وآله»، وهو إبطال لكيد الضالين، والظالمين، الساعين لإطفاء نور الله، والله متم نوره، ولو كره المنحرفون، والظالمون، والضالون.

ابن البشير النذير.. والسراج المنير:

ولا بد أن نشير ـ ولو على سبيل الإجمال ـ إلى بقية ما عرَّف به الإمام الحسن «عليه السلام» نفسه، فإنه وصف النبي «صلى الله عليه وآله» بأوصاف: البشير، ليدل على أن سعادة الناس، وفوزهم، وفلاحهم، ونجاحهم، وتكاملهم المطرد كان من أولى اهتماماته التي جاء لإنجازها لهم، واعتبرها من البشارات التي تمنح البهجة والرضا، للناس كل الناس..

وهو «صلى الله عليه وآله» نذير لهم أيضاً، مهتم بصيانتهم، وأمنهم، وراحة بالهم، وإبعاد أي مكروه عنهم.

وهو أيضاً داع إلى الله بإذنه، مما يعني:

ألف: أنه لا يفعل شيئاً من تلقاء نفسه على سبيل الإقتراح والإبتداء، بل هو يعمل بأمر من الله تعالى.

ب: إنه لا يتجاوز حدود ما أذن الله تعالى له بإبلاغه أو فعله.

ج: إنه لا يريد أن يجعل من دعوته هذه وسيلة للوصول إلى أهداف خاصة، أو نيل رغبات أو شهوات شخصية.

د: إنه «صلى الله عليه وآله» سراج ينير الطريق للآخرين، ويكشف الأغشية

عن أعينهم، والظلمات عن وجدانهم، ليختاروا هم لأنفسهم، ما يروق لهم، من دون إكراه أو إجبار، أو تحكم بمصير، أو استلاب قرار من أحد منهم..

فإذا كان «عليه السلام» وهو ابن محمد الذي له هذه الصفات، فلا بد أن يكون قد اكتسب من صفاته هذه ما يوظِّفه في حياته العملية، وفي تعامله مع الناس.. ويفيد في هدايتهم، وفي إنجاح مسيرتهم، وفي إسعادهم، وحفظهم من الأسواء والأرزاء، والأعراض، والأمراض.

من أي أهل بيت؟!:

1 ـ ثم إنه «عليه السلام» قرر أنه من أهل بيت أذهب الله عنهم الرجس، وطهرهم تطهيراً، وهذا يؤكد: أن سيرته ومسيرته ستكون على الصراط المستقيم، ولنفس الغايات الفضلى، والأهداف المثلى التي تحقق رضا الله.

وعصمته، وطهارته ستكون هي الضمانة لعدم حصول أي حيف أو زلل، أو خطأ، أو خطل.

2 ـ ثم أشار إلى أنه يجب على الأمة تجاه أهل بيت العصمة والطهارة، الطاعة والمودة، لأن معصية المعصوم هي الهلاك والبوار، والمودة له تكون ببذل الجهد في معونة أهل هذا البيت على تحقيق أهدافهم، التي لا يمكن أن تكون إلا نبيلة وجميلة وجليلة.

وأنا ابن الوصي:

وتقدم في رواية الحاكم في المستدرك وغيره: أنه «عليه السلام» قال أيضاً: «وأنا ابن الوصي». وهذا يشير إلى أن الذي رحل عنهم لم يكن طالب حكم وسلطة، بل هو وصي نبيهم. والوصي ليس من الذين يطلبون الدنيا، بل هو

يطلب رضى الله، وإقامة شرعه، وتنفيذ رغبات الأنبياء، في الصلاح والإصلاح، والرعاية والهداية، ولا يعمل بالنزوات والخطرات، والقرارات الطائشة، ولا يرتجل الأمور، ولا ينقاد للأهواء، ولأجل ذلك كان علي «عليه السلام» يعمل فيهم بالعلم، والحلم والرفق.

لماذا لم يشتر الخادم بعد ضربته؟!:

إن الإمام الحسن «عليه السلام» أشار إلى أن أباه «عليه السلام» ما ترك صفراء ولا بيضاء سوى سبع مئة درهم بقيت من عطائه، كان يريد أن يشتري بها خادماً لأهله، فلما ضربه ابن ملجم أمر «عليه السلام» أبناءه بأن يردوها إلى بيت المال.

مع أنه كان يمكنه أن يشتري بها خادماً لأهله في الفترة التي فصلت بين الضربة والإستشهاد، وهذا الإجراء يحقق المعونة التي توخاها (لابنته أم كلثوم)، ولعل الذي منعه من ذلك: أن بعض الناس يرون، أو سوف يشيعون: أنه قد تصرف في مرض موته بما لا يحق له التصرف به، فهناك كلام حول نفوذ منجزات المريض في مرض موته وعدمه..

وبذلك يكون هذا سبباً في ظهور شبهة في هذا الأمر، تدعو إلى أن يتصرف المرضى في حالات مرضهم مرض الموت، استناداً إلى هذا الفعل من أمير المؤمنين «عليه السلام»، وربما كان ذلك سبباً في نشوء نزاعات لا يصح التسبب بنشوئها، ولو بهذا المقدار، فإن الكثيرين قد لا يمكنهم القبول بوجود فرق في هذه المسألة بين الإمام المعصوم، الذي لا يحابي، ولا يجهل، ولا يحصل له أي اختلال في إدراكه، أو قدراته، ولا يؤثر مرضه على صوابية تصرفاته، وبين

غيره من سائر الناس.

يضاف إلى ذلك: أنه لا يريد أن يتوهم متوهم: أن علياً حريص على حل مشكلات أبنائه.. ولذا آثر ابنته أم كلثوم بها فضل عن عطائه، ولم يعط منه سائر الفقراء شيئاً.

بالإضافة إلى أن إرجاع هذا المبلغ إلى بيت المال قد يكون لأجل أنه «عليه السلام» يرى أن العطاء مقابل عمل، وقد منعته الضربة من إنجاز العمل في المدة المتبقية التي يفترض أن يؤدي فيها ما يقابل هذا المبلغ، فلا بد من إرجاعه إلى بيت المال، على ما كنّا احتملناه سابقاً.

الفصل الثاني

خطبة الإمام × برواية الخزاز..

الخطبة برواية الخزاز:

عن الحسين بن محمد بن سعيد الخزاعي، عن الجلودي، عن الجوهري ، عن عتبة بن الضحاك ، عن هشام بن محمد، عن أبيه، قال: لما قتل أمير المؤمنين «عليه السلام» رقى الحسن بن علي «عليهما السلام» المنبر، فأراد الكلام فخنقته العبرة، فقعد ساعة، ثم قام فقال:

الحمد لله الذي كان في أوليته وحدانياً، وفي أزليته متعظماً بالإلهية، متكبراً بكبريائه وجبروته، ابتدأ ما ابتدع، وأنشأ ما خلق على غير مثال كان سبق مما خلق.

ربنا اللطيف بلطف ربوبيته، وبعلم خبره فتق، وبأحكام قدرته خلق جميع ما خلق، فلا مبدل لخلقه، ولا مغير لصنعه، ولا معقب لحكمه، ولا رادّ لأمره، ولا مستراح عن دعوته.

خلق جميع ما خلق، ولا زوال لملكه، ولا انقطاع لمدته، فوق كل شيء علا، ومن كل شيء دنا، فتجلى لخلقه من غير أن يكون يُرى، وهو بالمنظر الأعلى.

احتجب بنوره، وسما في علوه، فاستتر عن خلقه، وبَعث إليهم شهيداً عليهم، وبعث فيهم النبيين مبشرين ومنذرين، ليهلك من هلك عن بيِّنة، ويحيى من حيي عن بينة، وليعقل العباد عن ربهم ما جهلوه، فيعرفوه بربوبيته بعد

ما أنكروه.

والحمد لله الذي أحسن الخلافة علينا أهل البيت، وعنده نحتسب عزانا في خير الآباء رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وعند الله نحتسب عزانا في أمير المؤمنين، ولقد أصيب به الشرق والغرب.

والله ما خلف درهماً ولا ديناراً إلا أربعمأة درهم، أراد أن يبتاع لأهله خادماً.. ولقد حدثني حبيبي: جدي رسول الله «صلى الله عليه وآله»: أن الأمر يملكه اثنا عشر إماماً من أهل بيته وصفوته، ما منا إلا مقتول أو مسموم.

ثم نزل عن منبره، فدعا بابن ملجم «لعنه الله»، فأُتي به، قال: يا ابن رسول الله، استبقني، أكن لك، وأكفيك أمر عدوك بالشام.

فعلاه الحسن «عليه السلام» بسيفه، فاستقبل السيف بيده فقطع خنصره، ثم ضربه ضربة أخرى على يافوخه فقتله «لعنة الله عليه»(1)..

ونقول:

إختلافات نصوص الخطبة:

قد يبدو: أن هذه الخطبة هي نفس الخطبة التي تحدثنا عنها في الفصل السابق، ولكنها تكفلت ببيان تام لما أثنى به «عليه السلام» على الله، مشيراً إلى بعثة النبيين، وإلى هدف هذه البعثة، وإلى النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله»، وشهادته على الخلق، وفضله على سائر الأنبياء والمرسلين، والخلق أجمعين.

---

(1) كفاية الأثر ص160 وبحار الأنوار ج43 ص363 والعوالم ج16 ص140 و 141 ونهج السعادة ج8 ص505.

ثم ذكر عِظَم المصاب بموت أمير المؤمنين «عليه السلام».. وأشار إلى الأئمة الطاهرين «صلوات الله عليهم»، وما يجري عليهم، مع اختصار شديد، واقتصار على نصوص مقتضبة ما عدا كلامه «عليه السلام» في الثناء على الله تبارك وتعالى.

موارد الإختلاف:

غير أن الملاحظ: أن هذا النص أشار إلى أمور أخرى لم نجدها في غيره من المصادر التي ذكرت الخطبة التي تقدم نصها، وهي الأمور التالية:

ألف: ذكرت الخطبة المتقدمة في الفصل السابق: أنه «عليه السلام» خلَّف سبع مئة درهم، وأنه «عليه السلام» أمر بردها إلى بيت المال.

ولكن رواية الخزاز ذكرت: أن مقدار ما خلَّفه «عليه السلام» هو أربع مئة درهم، وسكتت عن إرجاعها إلى بيت المال..

وربما جاز لنا ترجيح رواية الخزاز فيما يرتبط بمقدار ما تركه، وسبب ترجيحنا هنا: أن علياً «عليه السلام» يقتصر في قضاء الحاجات للناس على مقدار ما تندفع به الضرورة، وقد كان للنقود في تلك الفترة قيمة كبيرة.

ويشهد لذلك ما يلي:

1 ـ أن معاوية يقول لعقيل: تجتزئ بجارية قيمتها خمسون درهماً[1].

---

(1) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج11 ص251 ـ 252 وبحار الأنوار ج42 ص116 ـ 117 وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج27 ص165 عن جمهرة رسائل العرب ج2 ص24 وعقيل بن أبي طالب للأحمدي الميانجي ص63.

2 ـ اشترى معاذ بن عفراء خمس جواري بألف وخمس مئة درهم[1]. علماً بأن الأثمان تتفاوت بملاحظة الميزات التي تزيد في الرغبة، لموافقتها للغرض من الشراء.

3 ـ ذكروا: أن النبي «صلى الله عليه وآله» اشترى ضميرة ببكر من الأبل وأعتقه[2]. والبكر هو الفتي من الأبل..

وإذا أخذنا بمبدأ النسبية في المقارنة، فإن الديَّة هي عشرة آلاف درهم، أو مئتا بقرة، أو مئة جمل، فإذا قارنَّا بين هذه الأمور، فإن ثمن البكر سوف لا يزيد على مئة درهم، وحتى لو كان بثلاثة أضعاف هذا الرقم، فإن السبع مئة درهم تزيد عن ثمن الخادم بالضعف على أبعد تقدير.

4 ـ إن يوسف «عليه السلام» هو من أنبياء الله، قد بيع ﴿**بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ**﴾[3]..

وتقول الروايات: إنه بيع بعشرين درهماً[4]، أو بثمانية عشر درهماً[5].

---

(1) صفة النبوة ج1 ص188 وحياة الصحابة ج2 ص318.

(2) السيرة النبوية لابن كثير ج4 ص628.

(3) الآية 20 من سورة يوسف.

(4) علل الشرايع ج1 ص63 وتفسير العياشي ج2 ص182 و183 وتفسير القمي ج1 ص342 والبرهان (تفسير) ج4 ص177 و173 و166 وبحار الأنوار ج12 ص300 و 275 و 222 و 223 وج10 ص4 وج101 ص430.

(5) تفسير العياشي ج2 ص183 وتفسير القمي ج2 ص342 والبرهان (تفسير) ج4 ص177 و 173 وبحار الأنوار ج12 ص300 و 222 و 223.

وقيل: باثنين وعشرين درهماً[1].

5 ـ ذكروا: أن زيد بن حارثة كان لخديجة اشتراه لها حكيم بن حزام بسوق عكاظ بأربع مائة درهم، فوهبته لرسول الله «صلى الله عليه وآله»[2].

6 ـ ويذكر هنا: أن مسكيناً بصر بالخضر وهو يمشي في أحد أسواق بني إسرائيل، فطلب منه صدقة، وأقسم عليه بوجه الله، ولم يكن عند الخضر «عليه السلام» ما يعطيه إياه، فطلب الخضر من المسكين أن يبيعه، فباعه في السوق بأربع مئة درهم[3].

ب: ذكر «عليه السلام» حسب رواية الخزاز: أن الشرق والغرب أصيب بأمير المؤمنين «عليه السلام»، وعموم المصيبة يقتضي أن لا يعتبر أحد أن قتله «عليه السلام» يصب في مصلحته، ويمنحه راحة، وربحاً، ومكسباً، فحتى أهل الشام لم يربحوا، وليس الخاسر هم فقط بنو هاشم، أو شيعة علي، أو أهل العراق والحجاز، واليمن، وفارس، ومصر، وغير ذلك.. بل الجميع خاسرون، فإن الجرأة على قتل الأوصياء، والعلماء، والأتقياء، وأقدس المخلوقات، تعطي الجرأة والرغبة في قتل غيرهم من سائر الناس، ولاسيما إذا كان يعرف أن ذلك الغير لا يملك امتيازاً، بل هو فاسق، أو ظالم غاشم، أو جاهل، أو مجرم، أو لا دين له، أو لا يرى لأحد حرمة ولا قيمة..

ج: إنه «عليه السلام» قد نقل عن جده النبي مباشرة حديث إمامة الأئمة

---

(1) بحار الأنوار ج12 ص223 وقيل: أربعين درهماً.

(2) إعلام الورى ج1 ص286 وبحار الأنوار ج22 ص262.

(3) بحار الأنوار ج13 ص321 عن أعلام الدين ص350.

الإثني عشر، مع أنه حين استشهد جده الرسول كان عمره حوالي سبع سنوات.

وقد يكون الهدف من هذا:

أولاً: إبراز مدى رعاية النبي «صلى الله عليه وآله» للإمام الحسن «عليه السلام»، واهتمامه به، والتعريف بموقعه «عليه السلام» منه، وبأنه نشأ في بيت النبوة، ومهبط الوحي، والتنزيل، فهو قد تلقى معارفه من النبي «صلى الله عليه وآله» مباشرة، وبلا واسطة.. وكان أهلاً لذلك، بالرغم من حداثة سنِّه.. وعدم إنكار أحد من الحاضرين عليه «عليه السلام» يؤكد هذا المعنى.

ثانياً: إن صغر سنه «عليه السلام» في حياة النبي «صلى الله عليه وآله» لا يوجب الإخلال ولو جزئياً بما يتلقاه من جده «صلى الله عليه وآله». وهذه ميزة لهم «عليهم السلام»، كرسها قوله «صلى الله عليه وآله» عن أهل بيته: إنهم لا يقاس بهم أحد[1].. بالإضافة إلى آية المباهلة، وآية المودة في القربى، وآية

---

(1) معاني الأخبار ص179 ومستدرك سفينة البحار ج3 ص435 والدرجات الرفيعة ص237 وراجع: علل الشرائع للشيخ الصدوق ج1 ص177 وعيون أخبار الرضا ج1 ص71 ووسائل الشيعة (آل البيت) ج10 ص312 و (الإسلامية) ج7 ص226 وشرح الأخبار ج2 ص202 ونوادر المعجزات ص124 والإختصاص للمفيد ص13 وعيون المعجزات ص73 وذخائر العقبى ص17 ومدينة المعاجز ج4 ص430 وج5 ص121 وبحار الأنوار ج22 ص406 وج22 ص407 و ج26 ص269 وج46 ص278 و ج65 ص45 وكنز العمال (ط مؤسسة الرسالة) ج12 ص104 وسبل الهدى والرشاد ج11 ص7 وينابيع المودة ج1 ص459 وج2 ص68 و 83 و 114 و 117 وإحقاق الحق (الملحقات) ج9 ص378 و 379 عن ذخائر العقبى، وعن منتخب كنز العمال (بهامش مسند أحمد) ج5

التطهير، وغير ذلك..

ثالثاً: إنه «عليه السلام» اختار حديث إمامة الأئمة الإثني عشر بعد رسول الله «صلى الله عليه وآله».. ويلاحظ: أنه «عليه السلام» قال: إن الأمر يملكه اثنا عشر إماماً. مع أن سائر الروايات تتحدث عن أنه سيكون بعد النبي «صلى الله عليه وآله» إثنا عشر إماماً..

فالحديث عن ملك الأمر في هذا النص، يدل على أن الإمامة التي يتحدث النبي «صلى الله عليه وآله» عنها تتضمن الملك أيضاً، وعلى أنها هي غير الخلافة، وإن كانت الخلافة من شؤون الإمامة.. مما يعني: أن الإمامة حقيقة ثابتة، حتى مع منع الإمام من تسلم زمام الحكم، بل حتى لو لم يبايع الإمام أحد، فإن ذلك لا يضر بإمامته، ولا يسقطها.. لأنها ليس للناس فيها خيار ولا اختيار، بل هي تفرض عليهم بالنص من الله ورسوله، كما تفرض النبوة، فلو أقصي النبي عن الحكم، فإن ذلك لا يخلّ بنبوته، وكذلك الإمام.. وقد قال تعالى: **﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾**(1).

رابعاً: إنه «عليه السلام» كشف عن أمر متمحض في الغيب، وهو أن الأئمة الإثني عشر سوف يموتون قتلاً، إما بالسم أو بالسيف.

ومعلوم: بأن خبراً كهذا من شأنه أن يربط على قلوب المؤمنين، لأنه يدلهم

ص94 وعن كنوز الحقائق للمناوي ص165 وعن ينابيع المودة ص178 ـ 181 و152 وأرجح المطالب ص330 وعن مفتاح النجا للبدخشي.

(1) الآية 54 من سورة النساء.

على أن ما يقوله الإمام «عليه السلام» ليس كلاماً إنشائياً، لا يستند إلى أساس، بل هو حقائق مأخوذة من ذي علم، وبذلك تحل السكينة على القلوب، وتتأكد الثقة ويترسخ اليقين في النفوس، وتتأكد القوة في الموقف، والاعتماد والسداد والرشاد والثبات في الممارسة العملية، والتخطيط للمستقبل.

د: أظهر هذا النص للخطبة ابن ملجم على حقيقته، فهو جبان ومهزوم، وليس شجاعاً كما تحاول بعض المجعولات أن تدّعيه.. ويتضح ذلك بطلبه من الإمام الحسن «عليه السلام»: أن يستبقيه، ويتعهد بأن يقتل له عدوه في الشام ـ أعني معاوية ـ ويعود إليه ليكون معه..

وهذا يدل على عدم صحة ما يُدَّعى، من أنه اتفق مع اثنين آخرين على قتل علي ومعاوية، وعمرو بن العاص في ساعة واحدة.. إذ كيف يتعهد بقتل معاوية، وهو يعلم أن صاحبه قد قتله.. إلا إن كان قد علم بعدوله عن ذلك مسبقاً.. وهذا غير معقول، لأن المفروض: أن الرجل الآخر ـ حسب روايتهم ـ قد نفَّذ مهمته في معاوية، ولكنه فشل في إيصاله إلى حدّ القتل، ولا يعقل أن يأتي الخبر من الشام إلى العراق بنجاة معاوية في غضون ثلاثة أيام، أو أن هذا الأمر بعيد جداً على الأقل..

هـ: كما أن هذا النص للخطبة يدل على أن ابن ملجم لم يقدم على قتل سيد الوصيين عن دين وقناعة، بدليل أنه يسعى لإبرام صفقة مع الإمام الحسن الذي هو نسخة طبق الأصل عن أبيه علي «عليه السلام»، ولا يختلف عنه في فكره، أو عقائده، أو سياساته، أو سائر حالاته..

ولا يصح ما يقال عنه من كلام متعجرف، أو يظهر فيه قوته وصبره،

واهتمامه بذكر الله إلى آخر لحظة في حياته..

وكم كان هذا الرجل غبياً حين ظن أنه يستطيع أن يخدع الإمام الحسن «عليه السلام» حين ادَّعى له: أنه إن عفا عنه، فسوف يكفيه أمر معاوية بالشام. فهل يمكن لأحد أن يثق بمن يقتل أئمة الدين، والأوصياء، والعلماء الأتقياء، لداعي الهوى والشهوة، ومن دون أي سبب مقبول أو معقول.. يثق به بأن يفي بوعده، ويعود لتسليم نفسه لمن قتل أباه؟!

و: تقدم: أن الإمام الشهيد قد أوصى ولده الإمام الحسن «عليه السلام» بأن يقتل هذا المخذول بضربة واحدة، لتكون جزاء له على ما صدر منه.

وهذا ما حصل بالفعل فقد اختار الإمام الحسن «عليه السلام» قتل هذا الخبيث بضربة واحدة أوردها على رأسه.. وأراد أن تكون في الرأس.. وعلى اليافوخ بالذات تماماً كما كانت ضربة ذلك المجرم لعلي «عليه السلام» على يافوخه.

ز: ذكرت رواية الخزاز أمراً آخر، أورده ابن ملجم على نفسه، وكان هو السبب فيه، وهو ان الإمام الحسن «عليه السلام» حين علا ابن ملجم بالسيف استقبل السيف بيده، فقطع السيف خنصره.

ح: أما إحراق ابن ملجم بالنار بعد قتله، فلم يكن له أثر ظاهر عليه من حيث التسبب بزيادة آلامه، بل هذا كان تنفيذاً لحكم شرعي في من يقتل نبياً، أو وصياً.. لاسيما وأن هذه العقوبة تفيد في تعريف الناس بأن الجرائم إنما تقدر بحسب حجم الخسارة التي تنشأ عنها.

كما أن مستوى الردع الذي يجب أن تأتي به العقوبة لا بد أن يتناسب مع

فظاعة الجرم، ومدى ما ترك من آثار.. فإذا كان يصيب بأثره من في شرق الدنيا وغربها، فلا بد من تغليظ العقوبة عليه إلى الحد الذي لا يبقي لذلك المجرم أي أثر يمكن أن تكون له فيه سلوة أو مطمع، أو أن يدغدغ خاطره: بأن يكون له أي نوع من الميل، أو الحنين إليه، مهما كان هذا الميل هزيلاً وضئيلاً.. وليسد الطريق بذلك على من يريد أن يتخذ من قبره نقطة ارتكاز لشحذ نفوس أهل الضلال، ويمنحهم الرغبة، أو القدرة على إعادة الإرتباط ولو بنسبة ضئيلة بفكره أو بنهجه، ومساره.

الثناء على الله سبحانه:

ويلاحظ: أن القسم الأول من هذه الخطبة تضمن ما يلي:

1 ـ وضع النقاط على الحروف، ورسم صورة دقيقة وعميقة لمسيرة الكون، وحركة الحياة في الدنيا، وامتدادها إلى الآخرة من البداية إلى النهاية، وأظهرت حتمية المسار، والتبلور لهذه المراحل بصورة دقيقة في لوحة بيانية رائعة ومذهلة.

2 ـ إن ما أثنى به الإمام الحسن «عليه السلام» على الله سبحانه، قد حمل معه من الدقائق واللطائف الكثير والغزير في لمحاته وإشاراته، الأمر الذي يصعِّب على الباحث استخلاص الكثير منها، وتقديم صورة ذات ملامح وسمات كافية، ووافية عنها.. فلا بد له من الإقتصار على شتات ضئيل منها، والضئيل من هذه الدقائق كثير وكبير، وفائق الأهمية في جلاله وجماله وعظمته.

من أجل ذلك نكتفي هنا بباقة تؤسس لفهرسة موجزة جداً لهذا المسار، ولكنها فوَّاحة بشذا المعارف الحسنية، العابقة بالحكمة، والمعرفة العميقة والدقيقة.

3 ـ إن هذا الثناء على الله، قد جاء ليضع ركائز وأسساً لفهم أعمق وأرقى، وأوثق، وأقدر على وضع الأمور في أصغر جزئياتها وتفاصيلها في سياق الأهداف الإلهية الكبرى، والسياسات الربانية الجليلة، والهادية، التي توصل كل شيء إلى كماله المنشود، وتضعه في موضعه الطبيعي، والجدير به في سياق الحركة العامة للحياة..

4 ـ نلاحظ: أنه «عليه السلام» قد بدأ كلامه بالحديث عن معنى الألوهية، والتفرد في الوحدانية الأبدية والأزلية..

5 ـ ذكر: أن الألوهية تتجلى في العزة والكبرياء، والجبروت، والعظمة، والهيمنة، والإحاطة.

6 ـ إن الألوهية تعني بتجلياتها هذه أن يكون الله سبحانه هو الفاعل المختار، المتصرف، القادر، والقاهر، والخالق المبدع، المنشئ للخلق على غير مثال..

7 ـ وتبدأ من هنا فصاعداً تجليات معنى الربوبية، حيث إن الخلق على غير مثال، والإبداع من العدم يعني فقر المخلوقات، ثم حاجتها إلى الهداية والرعاية من موقع الرحمة، والرأفة، والكرم، والعطاء.. ثم التدبير من موقع الحكمة والقدرة، وأن يكون تعالى هو الودود الحميد، المنعم المتفضل، الرازق والحافظ، والشافي، والغافر، واللطيف، والعالم القادر، إلى آخر ما هنالك.. من صفات الفعل التي أشير إليها في القرآن الكريم، وعلى لسان النبي العظيم، وأهل بيته الطيبين الطاهرين.

8 ـ والألوهية والوحدانية التي تتجلى بالعظمة والكبرياء، والجبروت

والقدرة، والهيمنة، والإحاطة، والإختيار، والتصرف الإرادي، الذي يتجلى بالإبتداع، والخلق على غير مثال.

وهو مستتبع بعد ذلك لتجليات معنى الربوبية حسبما تقدم..

إن ذلك كله يفرض حقيقة الثبات والإستمرار، وعدم عروض أي تبديل لخلقه، أو تغيير في صنعه سبحانه وتعالى.

9 ـ وهذا الثبات كما هو قائم في الخلق والصنع يقتضي: أن تجري الأمور على نسق واحد.. الأمر الذي يمنح المخلوقات الأمل والقدرة على التوقع والتخطيط للمستقبل، وأن يكون لها سنن ونظام يحكم ويهيمن، ويعطي القدرة على استشراف المستقبل، فيتوقع من يفترض به أن يعمر الكون للزرع أن ينبت، وللشجر أن يثمر، وللحيوانات أن تلد وتنتج.. وأن يتوقع المطر، ويتحاشى الخطر، ويدفع الضرر.

10 ـ ثم أشار «عليه السلام» إلى أن هذا الثبات لا يختص بأمور التكوين، بل هناك الثبات أيضاً في الحاكمية والقرار، والسلطة والهيمنة، والعجز الدائم عن نقض الحكم الإلهي، لأن الحاكمية هي لله الواحد الأحد، الفرد الصمد، كما أن أحداً لا يستطيع أن يردّ أمره وقضاءه، لأنه تعالى هو القوي، والغني، والحاكم، والمهيمن..

كما أن ملكه تعالى لا يزول، وليس محدوداً بمكان أو زمان.

11 ـ وذلك كله يفيد:

أولاً: أن عدم وجود حاكمية لغير الله، وكون الأمور بيده، ولا أمد لملكه، وظهور ذلك كله في كل حركة وسكون، وفي كل التحولات والمستجدات ـ

إن ذلك ـ يؤكد هذا الثبات والتفرد المطلق، كما أنه يوجب تيسير المعرفة بالله، كأوضح وأجلى ما يكون، بالرغم من أنه تعالى لا يرى.. مع أنه بالمنظر الأعلى، الذي يفترض أن يتيح الرؤية.. ولكن عدم الرؤية لا يعني المعرفة له من خلال النظر إلى ملكوته وحكمته، وقدرته، وسائر ما نشاهده من بديع صنعه، ورؤية آثاره في كل لمحة، ولمسة، وآن ومكان..

وهذه المعرفة لا بد أن تفرض نفسها على السلوك والتصرف، والموقف، والممارسة، وعلى المشاعر والحالات الروحية والنفسية، وعلى الفكر والعقل، وكل شيء.

وهذا يفسر لنا كيف أن الله تعالى احتجب بنوره، ونحن نعلم أن النور لا يخفى، بل يكشف الديجور، ويظهر المستور.

ثانياً: إن هذا يحتِّم أن يكون الله العالم بالأسرار والخفيات، والمبدع للمخلوقات، وواضع السنن لتحديد مسار الكائنات ـ يحتِّم أن يكون ـ هو المتولي للهدايات والدلالات على كيفيات التعامل مع ذلك كله، وهو الذي يرعى ويدبر ويحكم ويقرر بعلمه وجبروته، وقدرته، وحكمته، ووحدانيته، وتدبيره، ورحمته، وكرمه، وسائر ما يوصل إليه ويدل عليه..

وهذا ما يقتضي بعث الأنبياء والمرسلين، وتحديد الأئمة والأوصياء الصالحين، لكي يبلغوا الناس رسالاته، وليتلوا عليهم آياته، ويدلّوهم على الحق والصواب والخطأ، ويبعدوهم عن الخطل والزلل في القول والعمل، ليهلك من هلك عن بينة، ويحيى من حيّ عن بينة.. وليعقل العباد عن ربهم ما جهلوه، فيعرفوه بربوبيته بعد ما أنكروه.

ثالثاً: إن ذلك كله يبين لنا كيف أن قتل أمير المؤمنين «عليه السلام» كان مصيبة للشرق والغرب، بكل ما فيه وما يحويه من كائنات، وما يطرأ عليه من حالات، ولا يختص بالبشر، أو بالشجر والحجر، بل يشمل حتى الخطرات، والفِكر، وما لا يخطر على قلب بشر.

رابعاً: ثم تتوالى الإمتدادات في الآثار المباشرة والإرتدادات المتناثرة، لتتجاوز الحياة الدنيا، وتقتحم عالم الآخرة.. الذي هو الحياة الأعمق، والأكمل والأتم، والأشمل والأعم.. قال تعالى: ﴿**وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ**﴾[1].

وبذلك يظهر: أن خطبة الإمام الحسن «عليه السلام» بعد قتل أبيه، وقبل البيعة له قد تكون تعرضت للتجزئة والتقطيع، والإختصار، فذكر الخزاز قسماً منها، ولاسيما القسم الأول منها، واختصر القسم الآخر منها، مع وجود بعض الإختلاف، حسبما بيَّناه.. فيمكن تتميم هذه الخطبة بالخطبة الأخرى المعروفة التي ذكرها المفيد وغيره..

إرث ابن الحنفية:

وحيث إن الحديث في خطبة الإمام الحسن «عليه السلام» قد تطرق إلى ما تركه علي «عليه السلام» من مال لورثته، وظهر أنه لا يوجد له مال لكي يورث، فإن من المناسب أن نشير هنا إلى مطالبة محمد ابن الحنفية بحصته من إرث أبيه، ولكنه إرث من نوع آخر، تركه أبوه، وهو إرث العلم..

---

(1) الآية 64 من سورة العنكبوت.

1 ـ فقد نقل ابن أبي الحديد المعتزلي عن الإسكافي(1): أنه قد صحت الرواية عندهم عن أسلافهم، وعن غيرهم من أرباب الحديث: أنه لما مات علي أمير المؤمنين «عليه السلام» طلب محمد ابن الحنفية من أخويه الحسن والحسين «عليهما السلام» ميراثه من العلم، فدفعا إليه صحيفة، لو أطلعاه على غيرها لهلك.

وكان في الصحيفة ذكر لدولة بني العباس.

فصرح ابن الحنفية لعبد الله بن العباس بالأمر، وفصَّله له.

والظاهر: أن تلك الصحيفة انتقلت منه لولده أبي هاشم، وعن طريقه وصلت إلى بني العباس.

ويقال: إنها ضاعت منهم أثناء حربهم مع مروان بن محمد الجعدي، آخر خلفاء بني أمية(2).

وقد ذكرت هذه الصحيفة في كلمات بني العباس وخلفائهم كثيراً. وذكرها المأمون في رسالته للعباسيين.. وكان العباسيون يسمونها صحيفة الدولة.

2 ـ وعن إبراهيم المرتضى قال: سمعت الرضا «عليه السلام» يقول: سمعت أبي موسى الكاظم «عليه السلام» يقول:

سمعت أبي جعفر بن محمد «عليه السلام» يقول: سمعت أبي محمد بن

---

(1) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج7 ص149 و150 وبحار الأنوار ج42 ص103 والكنى والألقاب ج1 ص176 و177 وإثبات الهداة ج5 ص43.

(2) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج7 ص149.

علي «عليهما السلام» يقول: وقد سُئل عن أبي(1) العباس، هل عندهم من علم شيء؟!

فقال: نعم، عندهم صحيفة صفراء، كانت لأمير المؤمنين «عليه السلام»، وذلك أنه لما قُتِلَ أمير المؤمنين «عليه السلام»، وطعن الحسن «عليه السلام»، وقدم معاوية الكوفة، وصالح الحسن «عليه السلام»، فانصرف الحسن والحسين «عليهما السلام» ومحمد ابن الحنفية إلى المدينة.

فانطلق محمد ابن الحنفية، فدخل إلى الحسن والحسين «عليهما السلام»، فقال: إنّكما ورثتما أبي دوني، فإن لم يكن رسول الله «صلى الله عليه وآله» ولدني، فقد ولدني أبوكما، ولكما لعمري عليّ الفضل، ولكن أعطوني ما أتحمل به من أبي، فقد عرفتما حُبّه لي.

فقال الحسن للحسين «عليهما السلام»: يا أخي، هو أخونا وابن أبينا، فأعطه شيئاً من علم أبيه.

قال: فأعطياه صحيفة صفراء، فيها رايات السود متى تكون، ومن يقوم بها، ومتى زمانها.. لم يعطياه شيئاً غيرها، ولم يكن فيها غير هذا.

وكانت عند ابن الحنفية، حتى إذا حضره الموت دفعها إلى ولده عبد الله أبي هاشم، وكانت عنده، حتى إذا حضره الموت دفعها إلى محمد بن علي بن عبد الله بن العباس، وكان له صفياً، وكانت عنده حتى حضره الموت(1).

---

(1) لعل الصحيح: بني.

(1) راجع: أخبار الدولة العباسية (ط دار الطليعة ـ دار صادر) ص184 و 185 والأصيلي

ونقول:

1 ـ إن محمد ابن الحنفية أجلّ من أن يطلب من أخويه إرثاً مالياً، وهو يعلم: أن أباه لم يترك صفراء ولا بيضاء سوى سبع (أو أربع) مئة درهم من عطائه أمر أبناءه بردها إلى بيت المال.. وقد أعلن الإمام الحسن «عليه السلام» هذه الحقيقة في خطبة عامة حين استشهاد أبيه.

وأما البغيبغة، وعين أبي نيزر، فابن الحنفية يعلم أن أباه قد حبس غلتها على خصوص الحسن والحسين «عليهما السلام»، ولعله خصصهما بذلك لموقعهما في الإمامة التي تحمل الناس على الرجوع إليهما في حاجاتهم، وحل مشكلاتهم، ويُعْمَلُ في مثل هذه الموارد، وفق ما قرره صاحب المال..

وسائر العيون التي استنبطها «عليه السلام» في المواضع المختلفة قد وقفها على فئات، وشؤون بعينها، فليست هي مما يرثه الأبناء أو غيرهم.

وكان ابن الحنفية يعرف ذلك ويراه، ولا شيء يخفى عنه ليطالب بإظهاره، أو باعطائه نصيبه منه.

2 ـ وبذلك يعلم: أن مراد ابن الحنفية من قوله لأخويه: «إنكما ورثتما أبي دوني» هو وراثة العلم والفضل، والفقه، والمقام، ولو كان المراد: إرث المال، فهو غير صحيح، لأنه يتضمن اتهاماً منه لأخويه بمخالفة أحكام الله تعالى، مع علمه بأنهما ممن حكمت آية التطهير بعصمته، وعدله، وصحة معرفته بالدين وأحكامه، فلا يصح اتّهامها، أو إساءة الأدب معهما، أو رفع الصوت في حضرتهما.

لابن الطقطقي 323 ـ 324 و 334.

3 ـ أضف إلى ذلك: أن ابن الحنفية لو كان يقصد إرث المال، فلا يصح قوله لهما: «ورثتما أبي دوني»، لأنها تدل على أنهما هما الوارثان، لأبيهما وليس له هو حق في إرثه. إذ لو كان له حق بالإرث، لكان عليه أن يقول: استأثرتما بحصتي من الإرث دوني، كما أن رواية المعتزلي عن الإسكافي قد صرحت: بأنه «رحمه الله» طلب من أخويه ميراثه من العلم.

4 ـ إن قوله: «ولكن أعطوني ما أتحمل به من أبي، فقد عرفتما حبه لي». يراد به: تحمُّل روايته من أبيه، على أنه ربما كان الصحيح فيه: «أتجمل به».. وقد صحَّفها الكتَّاب أو القرَّاء، فصارت «أتحمَّل». وهذا يعني: أنه لا يطالبهما بأمر مالي، بل بأمر معنوي يكون له فيه: جمال وزينة، ورفعة شأن.

5 ـ إن الذي منحه الحسنان «عليهما السلام» لابن الحنفية لم يكن من المال، بل كان من موجبات الجمال الإجتماعي والمعنوي.. فقد منحاه ورقة فيها شيء من علم أبيه، ولم يعطياه شيئاً غيرها.. بعد أن مهد هو لذلك بتذرعه لهما بحب أبيهما له، وأنه ولده كما ولدهما، وتذرع أيضاً لهما بالإعتراف بفضلهما عليه.. وهذا يعطي: أنه لا يطالب بحق مالي، ولأجل ذلك لم يعترض على ما أعطياه إياه، ولم يرفضه، ولم يطالبهما بعد ذلك بغيره. ولم يظهر منه أي امتعاض أو أسف، بل كان نعم المعين والنصير لهما سراً وجهراً.

6 ـ إن التعبير بكلمة ميراث العلم تعبير مجازي، لأن العلم ليست له حقيقة مادية تبقى بعد وفاة العالم لكي توزع بعده.. وأما الكتب التي كتبها علي عن رسول الله، أو حازها بإذن منه «صلى الله عليه وآله» فليست ملكاً له، بل هي ذخائر وودائع تكون عند النبي والإمام، ليستفيد منها في خدمة مقام

النبوة والإمامة، وليس له أن يهبها أو أن يبيعها، أو أن يصالح عليها أو يقسمها في ورثته، من أبناء، وبنات وزوجات، وغير ذلك.

وهناك كتب ونفائس، وذخائر، ورثها الأنبياء وأوصياؤهم عن الأنبياء السابقين، مثل خاتم سليمان، وعصا موسى، وإنجيل عيسى، وتوراة موسى، وزبور داود، وصحف إبراهيم، ومصحف فاطمة، وغير ذلك، وهي شارات، وعلامات النبوة والإمامة، وهي ودائع عندهم لا تباع، ولا توهب، ولا تورث.

7 ـ ظهر مما تقدم: أن الصحيفة الواحدة الصفراء، التي أعطيت لابن الحنفية، لم تكن من جملة هذه الذخائر.. وربما استنسخت هذه الورقة من تلك الذخائر، ثم أعطيت لمحمد ابن الحنفية تشريفاً، وتكريماً، وتجليلاً له «رحمة الله عليه».. ولا دليل على أنهم أعطوه نفس ما خطه أبوه «عليه السلام».

الإمامة، وحفظ الشريعة:

وروى الصدوق «رحمه الله» بإسناده عن عبيد الله بن المغيرة، عن سالم، عن أبي عبد الله «عليه السلام» قال: أوصى رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى علي «عليه السلام»، وأوصى علي إلى الحسن والحسين «عليهما السلام» جميعاً، فكان الحسن «عليه السلام» إمامه.

فدخل رجل يوم عرفة على الحسن «عليه السلام»، وهو يتغدَّى، والحسين «عليه السلام» صائم.

ثم جاء بعد قبض الحسن «عليه السلام»، فدخل على الحسين «عليه السلام» يوم عرفة وهو يتغدَّى وعلي بن الحسين «عليه السلام» صائم.

فقال الرجل: إني دخلت على الحسن «عليه السلام»، وهو يتغدَّى، وأنت

صائم. ثم دخلت عليك، وأنت مفطر؟!

فقال: إن الحسن «عليه السلام» كان إماماً، فأفطر لئلا يتخذ صومه سنة، وليتأسى به الناس. فلما أن قبض كنت أنا الإمام، فأردت أن لا يتخذ صومي سنة، فيتأسى الناس بي(1).

ونقول:

أولاً: إن الإمامة هي منصب إلهي تخوِّل الإمام تدبير شؤون الأمة وهدايتها، وصيانة معارفها، حين تصل إمامته إلى مرحلة الفعلية، لكن جعل الإمامة للحسن والحسين «عليهما السلام» بعد أبيهما، من قبل رسول الله «صلى الله عليه وآله» لا يجعلهما وصيين للرسول، بل وصي الرسول هو علي.

وذلك لأن الوصي هو من يتصرف بشؤون من سبقه، بأمر منه.. وقد تولى علي «عليه السلام» التصرف في شؤون النبي بعد موته، فكان هو الذي غسله، وكفنه، وصلَّى عليه، ودفنه.. وإشراكه الحسنين في التغسيل والصلاة عليه «صلى الله عليه وآله» إنما هو بقرار من علي «عليه السلام»، فتوليا ما كان يكله «عليه السلام» إليهما.

وبالنسبة لعلي «عليه السلام»، فإنه قد يجعل الحسن وصياً له، وقد يشرك الحسين «عليه السلام» معه في ذلك، وقد لا يشرك أحداً معه.

---

(1) من لا يحضره الفقيه ج2 ص53 و (ط جماعة المدرسين) ج2 ص87 وعلل الشرايع ج1 ص386 وإقبال الأعمال ج2 ص59 ودعائم الإسلام ج1 ص335 وج2 ص344 وبحار الأنوار ج94 ص123 ووسائل الشيعة (آل البيت) ج10 ص467 و (الإسلامية) ج7 ص345.

كما أنه يمكن أن يجعل وصيَّه الحسين ولا يشرك الحسن معه. وقد يفهم من الرواية عن الإمامين الباقر والصادق: أنه «عليه السلام» لما أصيب قال للحسن والحسين: غسلاني وكفناني، وحنطاني ثم نشفاني بالبردة..

إلى أن قال: واحملاني على سريري الخ.. [1].

ولكن الوصية فيما يرتبط بتولي شؤون الأمة، كانت تراتبية، فعلي إمام بعد النبي «صلى الله عليه وآله»، وتكون إمامته فعلية.. أما الحسن، فإمامته الفعلية تنتقل إليه من أمير المؤمنين، وإمامة الحسين الفعلية تنتقل إليه من الإمام الحسن، وإمامة السجاد الفعلية يتلقاها من الحسين، وهكذا.. وهذا يفهم من رواية الإمام الباقر المتقدمة[2].

ثانياً: ظهر: أن لتشارك الحسن والحسين «عليهما السلام» في تبليغ الأحكام نظاماً يفرض الحفاظ عليها في أذهان الناس سليمة عن الخلط والوهم وكانا «عليهما السلام» يراعيانه بدقة، وهو يرتبط أيضاً بمقام الإمامة، وبلوغها

---

(1) تهذيب الأحكام ج6 ص106 وفرحة الغري (منشورات الرضي) ص30 و (نشر مركز الغدير) ص60 كلاهما عن سعد الإسكاف. وروضة الواعظين ص136 والإرشاد ج1 ص23 وبحار الأنوار ج42 ص217 و 214 و 236 ومدينة المعاجز ج3 ص49 والمستجاد من الإرشاد (المجموعة) ص27 وإعلام الورى ج1 ص393 وإرشاد القلوب ج2 ص435 وعن مناقب آل أبي طالب ج1 ص482 و 483 والمزار للمفيد ص192 وإثبات الهداة ج5 ص2.

(2) الكافي ج1 ص298 و 299 ومرآة العقول ج3 ص292 و 293 وراجع: دعائم الإسلام ج2 ص348 ومن لا يحضره الفقيه ج4 ص189 وتهذيب الأحكام ج9 ص176 وبحار الأنوار ج42 ص250 والدر النظيم ص378 و 379.

مرحلة الفعلية، وقد ظهرت معالم هذا النظام أو الضابطة في مسألة الصوم، فإن إفطار الإمام الحسن «عليه السلام» يوم عرفة، في أيام تصديه لمقام الإمامة، مع صوم الحسين «عليه السلام» لذلك اليوم آنئذٍ يدفع توهم وجوب صومه على الناس، وصوم الإمام الحسين له يثبت بقاء صوم هذا اليوم على صفة الرجحان.

وحين أصبح الحسين «عليه السلام» هو القائم بالأمر بعد الإمام الحسن صار يفطر هذا اليوم، ليدل على عدم وجوب صومه، وكان السجاد يصومه ليدل على استحباب أو رجحان صومه.

وهذا يدلنا على أن الأئمة «عليهم السلام» كانوا يراعون حقيقة: أن الناس يراقبون أقوالهم وأفعالهم، ويأخذون منهم «عليهم السلام» بصفتهم وحدة منسجمة ومتكاملة، وكأنهم شخص واحد، لا يختلف واحدهم مع الآخر في شيء، ويستدلّون بأقوالهم وأفعالهم على هذا الأساس، فيضمون بعضها إلى بعض في مقام الإستنباط، وكأنها صدرت عن شخص واحد، فيخصص أو يعمم، أو ينسخ بعضه بعضاً، وما إلى ذلك.

إن للماء أهلاً وسكّانا:

محمد بن يحيى، عن حمدان بن سليمان النيسابوري، عن محمد بن يحيى بن زكريا، وعدة من أصحابنا، عن أحمد بن أبي عبد الله، عن أبيه جميعاً، عن محمد بن سنان، عن أبي الجارود، عن أبي سعيد عقيصا التيمي قال:

مررت بالحسن والحسين «عليهما السلام»، وهما في الفرات مستنقعان في إزارين.

فقلت لهما: يا ابني رسول الله «صلى الله عليه وآله»، أفسدتما الإزارين.

فقالا لي: يا أبا سعيد، فساد الإزارين أحب إلينا من فساد الدين. إن للماء أهلاً وسكاناً كسكان الأرض.

ثم قالا لي: أين تريد؟!

فقلت: إلى هذا الماء.

قالا: وما هذا الماء؟!

فقلت: أريد دواءه، أشرب من هذا الماء المر لعلَّةٍ بي أرجو أن يخف له الجسد، ويسهل له البطن.

فقالا: ما نحسب أن الله جعل في شيء قد لعنه شفاء.

قلت: ولم ذاك؟!

قالا: إن الله تبارك وتعالى لما آسفه قوم نوح فتح السماء بماء منهمر، وأوحى إلى الأرض، فاستعصت عليه عيون منها، فلعنها، وجعلها ملحاً أجاجاً.

وفي رواية حمدان بن سليمان: أنهما قالا «عليهما السلام»: يا أبا سعيد تأتي ما ينكر ولايتنا في كل يوم ثلاث مرات..

إن الله عز وجل عرض ولايتنا على المياه، وما قبل ولايتنا عذب وطاب، وما جحد ولايتنا جعله الله عز وجل مرّاً، وملحاً أجاجاً[1].

---

(1) بحار الأنوار ج43 ص320 وراجع ج63 ص480 وج11 ص318 والكافي ج6 ص390 و 391 ومرآة العقول ج22 ص242 ووسائل الشيعة (آل البيت) ج25 ص269 و (الإسلامية) ج17 ص213 وكنز الدقائق (تفسير) ج12 ص536 و 536 ونور الثقلين (تفسير) ج5 ص178.

ونقول:

تدلنا هذه الرواية وسواها على أمور، نذكر منها:

1 ـ إن الناس يحسبون: أن بعض، أو أكثر ما يدور من حولهم، أمور عادية وواضحة، لا تخفي سراً وراء وضوحها، ولا حركة وراء سكونها، وثباتها.

وهذا فهم ساذج وسطحي، بل خاطئ أيضاً، فهناك أسرار وأسرار، وأحوال وأطوار، وراء هذا كله، وما نظنه خاوياً أو جاهلاً، أو عقيماً، أو ساكناً، أو جماداً، أو واهناً، أو واهياً، يخفي وراءه قدرات وطاقات، وعقلاً ومشاعر، وطاعة، ومعصية، ويملك قراراً واختياراً، ويثاب ويعاقب، ويؤثر بغيره، ويتأثر به، وما إلى ذلك..

وهذا من الغيب الذي لا يعلمه إلا الله، ولا يظهر الله على غيبه إلا من ارتضى من رسول، ومن خلالهم يُعَرِّف الله أولياءه، وصفوته من خلقه بما شاء من ذلك.

والشواهد والأمثلة على هذه الحقيقة كثيرة، وفي القرآن، وفي كلمات الرسول الأعظم «صلى الله عليه وآله» والأئمة الطاهرين الشيء الكثير الذي يتعذر جمعه، واحصاؤه.

2 ـ وفي هذا الحديث المتقدم شاهد على ذلك أيضاً، فقد ذكر أن للماء أهلاً وسكاناً كسكان الأرض..

كما أن بعض الروايات حذَّرت من البول في الماء الراكد، لأن للماء سكاناً، ويخشى على من يفعل ذلك من أن يصاب بالجنون.. ولم يكن ليعلم ذلك إلا من إخبار نبي أو وصي، لأن هذه الأمور ليست في متناول ايدي

الناس العاديين، ولا يتوصل إليها مما لديهم من وسائل.

3 ـ إن من يعرف أن الله تعالى يريد من عباده أن يستروا عوراتهم عن سكان المياه، كما يجب سترها عن سكان الأرض هم الأنبياء والأوصياء، الذين يتلقون معارفهم عن الله تعالى، بوسائل يسرها الله تعالى لهم.

كما أن من يعرف أن الولاية تعرض على المياه، وعلى العيون والأشجار، وسائر المخلوقات كما دلت عليه الروايات المختلفة، أو أن الماء الذي يقبل الولاية يكون عذباً، والذي يجحدها يصير مراً، وملحاً أجاجاً هم الأنبياء والأوصياء من خلال صلتهم بمصدر الغيب.. وكذلك الحال بالنسبة للبقاع، والوحوش التي تحشر للحساب في الآخرة، والعقاب على العدوان الذي مارسته في الدنيا، وعلى إنكار الولاية.

كما أن الشجر والنبات، وكل شيء يقرّ بالولاية يكون سوياً صحيحاً، والذي ينكرها لا يكون كذلك.

4 ـ وكل ذلك يشير إلى محورية الولاية، ويؤكد معنى الإمامة والولاية، ويدعو إلى تلمس علمها الخاص الذي حبا الله تعالى به أئمة الخلق، والحسن والحسين، من هؤلاء الأئمة، بالإضافة إلى الدلالات المختلفة التي حفل بها القرآن الكريم.

5 ـ وذكرت رواية عقيصا عن الحسنين «عليهما السلام»: أن الله قد لعن العيون التي استعصت، وامتنعت عن الإقرار.

ومن المعلوم: أن اللعن هو الطرد من الحضرة الإلهية، والحرمان من الرحمات الربانية، والتعرض للغضب الإلهي، لأنه معصية وتمرد على الله.

فعلم بذلك: أن للعيون أيضاً طاعة ومعصية، وقرباً من الله، وبعداً عنه.
وقد قال تعالى للسماء والأرض: ﴿**ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ**﴾[1]. مستفيداً في الحديث عنها من ضمير العاقل.. بالإضافة إلى تصريح الآيات بأن كل شيء يسبح بحمد الله، فقد قال تعالى: ﴿**وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ**﴾[2].

6 ـ لكن الشأن هو في تحديد مظاهر البعد عن الرحمة الإلهية، وعن الرضا الإلهي، ومظاهر القرب والرضا، وكيفية تجلي هذا وذاك في مثل هذه المخلوقات، فإن ذلك يحتاج إلى تأمل، وتتبع للنصوص المشيرة إلى ذلك.

كما أننا لا نعرف كيفية إنكار هذه المخلوقات للولاية، وكيفية تفاعلها معها، لكن مما لا شك فيه: أن النصوص المشار إليها تؤكد على وجود درجة من الشعور والإدراك لدى جميع المخلوقات، وأن ثمة مسؤوليات تنشأ عن ذلك.

وأن عرض الولاية عليها يتجاوز مرحلة الشعور والإدراك، ليؤثر في حياتها وطبيعتها، وقيمتها، ويترك آثاراً قابلة للتلمس من البشر، من خلال الشعور بعذوبة الماء مثلاً، أو الشعور بالمرارة، أو الملوحة، أو ما إلى ذلك..

كما أن الماء الذي يصير ملعوناً يفقد صلاحيته للشفاء، ويصبح عقيماً، ويتحول إلى عبء يفرض تغيير نمط التعاطي معه.

7 ـ وآخر ما نذكره هنا: ان رواية عقيصا عن الحسنين «عليهما السلام»

---

(1) الآية 11 من سورة فصلت.

(2) الآية 44 من سورة الإسراء.

قد تضمنت تقريراً لقاعدة الأهم والمهم، القاضية بإنه إذا دار الأمر في مقام الإمتثال بين أمرين.. أحدهما أهم من الآخر، ولم يمكن امتثالهما معاً، فلا بد من أخذ جانب الأهم، وقد ظهر ذلك من قولهما «عليهما السلام»:

«فساد الإزارين أحب إلينا من فساد الدين».

سبع ديات لتخليص قاتل:

قال العلامة الحلي «رحمه الله»:

«ومن صالح عما يوجب القصاص بأكثر من ديته أو أقل جاز، وقد روي: أن الحسن، والحسين، وسعيد بن العاص بذلوا للذي وجب له القصاص على هدبة بن خشرم سبع ديات، فأبى أن يقبلها»(1).

وهدبة هذا شاعر معروف بالشجاعة، والنجدة، والجلادة، والصبر، والمروءة(1).

ومجمل ما جرى له: أن زيادة بن زيد، زوج أخت هدبة تحرش بفاطمة أخت هدبة، وهدبة يسمع.. فجرت بينه وبين زيادة مشادة.. ثم التقيا بعد ذلك، فقتل هدبة زيادة وهرب.

وكان ذلك في أيام ولاية سعيد بن العاص على المدينة من قبل معاوية. فقبض سعيد على هدبة وأودعه السجن بأمر من معاوية إلى أن يبلغ المسور

---

(1) تذكرة الفقهاء ج2 ص194 وراجع: المجموع ج8 ص443.

(1) راجع: شعراء النصرانية (ط سنة 1890م) ج8 ص96 وتزيين الأسواق في أخبار العشاق للأكمه (ط1 سنة 1413هـ) ج2 ص45.

بن زيادة الحلم، لكي يختار إما قتل هدبة، أو أخذ الدية، فبقي في السجن ست سنين، وقيل: أقل من ذلك.

وجعل القرشيون يكلمون عبد الرحمان أخا زيادة بقبول الدية، حتى بلغت عشر ديات، وقيل: ست.. وكان منهم: مروان وسعيد بن العاص، وعبد الله بن عمر، وعمرو بن عثمان، والحسنان «عليهما السلام»، وقيل غير ذلك.. ومات عبد الرحمان، ومال المسور إلى قبول الدية، فمنعته أمه من ذلك، فاختار القصاص، وقتل هدبة[1].

ونقول:

ذكرنا بعض ما يرتبط بهذه القصة في كتابنا: سيرة الحسين «عليه السلام» في الحديث والتاريخ ج8 ص329 ـ 330.

ونقتصر هنا على اللمحات التالية:

1 ـ لم تذكر لنا الروايات السبب الذي دعا قريشاً على اختلاف آرائها، وبرغم التباعد فيما بينها إلى بذل هذه الديات الكثيرة لنجاة هدبة؟!

هل كان هدبة من العلماء، أو من الأتقياء، أو من ذوي الفضل، أو من الأسياد والوجهاء العاملين في صلاح الناس، وحل مشاكلهم، ورفع الضيم عنهم؟!

ولكن لو أن هؤلاء العلماء والعقلاء، قد قتلوا النفس المحترمة.. فهل

---

(1) مختصر تاريخ مدينة دمشق ج27 ص70 ـ 74 والإشتقاق ص547 وهامش ص328 من سيرة الإمام الحسين ج8.

يستحقون بذل عشر ديات، لكي يفلتوا من القصاص؟! وأليس هذا تعطيلاً لحدود الله وأحكامها؟!

وقد يقال: إن شجاعة هدبة ومروءته، وصبره، وغير ذلك هي التي دعتهم إلى هذا البذل، ولنا أن نسأل هذا القائل: هل حدث هذا البذل والإهتمام لصرف القتل عن كل قاتل، إذا كان شجاعاً صابراً، ذا مروءة، وغير ذلك؟!

2 ـ ذكرت بعض المصادر بذل الإمام الحسين أيضاً، إعطاء دية، بهدف نجاة هدبة من القصاص، ولم تذكر الإمام الحسن «عليه السلام»، وسؤالنا هو: أليس الإمام الحسن الأخ الأكبر الذي كان خليفة للمسلمين لمدة ستة أشهر؟! وكان إماماً للإمام الحسين «عليه السلام»، وشارك في ميزاته وخصائصه الفضلى؟! إلا إذا فرض أن الإمام أقدم على ذلك من غير علم أخيه!! وأن الإمام الحسن لم يكن قادراً على بذل هذا المقدار من المال.

3 ـ ألا يمكن أن يقال: إن سبب تدخل الحسن والحسين لإطلاق سراح هدبة: هو أنهما كانا يريان أنه لا يستحق العقوبة بالقتل، لاسيما إذا كان الحاكم به عليه هم أئمة الظلم، والجبارون، أو لعلهما «عليهما السلام» يريان أن زيادة هو المعتدي، وأن هدبة كان يدافع عن عرضه وشرفه، حين أقدم على التلاسن الحاد مع زيادة، ثم لما التقيا بعد ذلك في مكان آخر، وجرى بينهما قتال.. لم يعلم من البادئ به، ومن الذي دافع عن نفسه، ولم يقض في هذا الأمر قاض عالم وعادل، وعارف بالأحكام.

ومجرد قوة الشبهة على أحدهما لا تعني أن يكون الحكم على القاتل هو القصاص، فلعل الحكم بالدية هو الأقرب أو الأصوب.

وقد يكون ما ذكروه من أن سعيد بن العاص كره الحكم في قضية هدبة، وأحالهم على معاوية يؤيد أن القضية لم تكن واضحة بما يكفي لاصدار الحكم.

بل إن ما استند إليه معاوية في حكمه على هدبة، واعتبره إقراراً منه بالقتل لا يصلح مستنداً لذلك الحكم، بل هو يشي ببراءة هدبة: فإن معاوية استند إلى قول هدبة:

رُمينا فرامَيْنا فصادف رمينا ... منايا رجال في كتاب وفي قدْرِ(1)

فإن هذا البيت قد تضمن: أن زيادة كان هو البادئ بالرمي، فأجابه هدبة على الرمي بمثله، فقتل زيادة صدفة، ولم يكن هدبة قاصداً قتله بهذا الرمي.

فإن هذا، وإن كان اعترافاً من هدبة بالقتل، ولكنه اعتراف بقتل يوجب الدية لا القصاص، لاسيما مع تصريحه: بأن البادئ بالرمي هو المقتول، وأن الرد على الرمي كان دفاعاً عن النفس، وهو لا يعني: القصد إلى القتل.. لاسيما وأن المقتول هو زوج أخت هدبة أيضاً.

فلعله قصد مجرد جرح مهاجمه ليردعه، أو ليسجل نصراً عليه، فيكون القتل من شبه العمد، والدية فيه على العاقلة، ولا قود فيه. فمعاوية قد أخطأ في حكمه، وخلط وخبط بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير.

وبذلك يظهر: أن تدخل الحسن والحسين «عليهما السلام»، وبذلهما الدية لذوي زيادة كان يهدف إلى نجاة إنسان مظلوم من حاكم غاشم وظالم، وآثم، لا يعرف أحكام الله، ويفتي بغير ما أنزل الله.

---

(1) راجع: الأغاني ج21 ص172 وخزانة الأدب ج9 ص341 والوافي بالوفيات للصفدي ج34 ص197.

وقد أظهر تدخل الحسنين «عليهما السلام» أن المصالحة على الأقل والأكثر من مقدار الدية جائزة في هذا المورد أيضاً..

ما أخذ عن الحسنين من الفقه:

1 ـ عن أبي علي الأشعري، عن محمد بن عبد الجبار، عن صفوان بن يحيى، عن إسحاق بن عمار، عن أبي الحسن «عليه السلام» قال: ما رأيت الناس أخذوا عن الحسن والحسين «عليهما السلام» إلا الصلاة بعد العصر، وبعد الغداة في طواف الفريضة [1].

2 ـ روى أحمد بن محمد بن عيسى، عن محمد بن إسماعيل بن بزيع قال: سألت الرضا «عليه السلام» عن صلاة طواف التطوع بعد العصر؟!

فقال: لا.

فذكرت له قول بعض آبائه «عليهم السلام»: إن الناس لم يأخذوا عن الحسن والحسين «عليهما السلام» إلا الصلاة بعد العصر بمكة.

فقال: نعم. ولكن إذا رأيت الناس يقبلون على شيء، فاجتنبه.

فقلت: إن هؤلاء يفعلون.

فقال: لستم مثلهم[1]. وسند الرواية صحيح.

---

(1) الكافي ج4 ص424 والإستبصار ج2 ص236 وتهذيب الأحكام ج5 ص142 ووسائل الشيعة (آل البيت) ج13 ص435 و (الإسلامية) ج9 ص487 ومنتهى المطلب ج2 ص692 وروضة المتقين ج5 ص254 والوافي ج13 ص908 والدروس للشهيد الأول ج1 ص286.

(1) راجع: مناهج الأخيار في شرح الإستبصار، للسيد أحمد بن زين العابدين العلوي

ونقول:

1 ـ يبدو لنا: أن المقصود بالناس، وما أخذوه عن الحسنين «عليهما السلام» هو عامة الناس، ممن يوالون المناوئين لأهل البيت «عليهم السلام»..

وربما كان قول الإمام الرضا «عليه السلام» لابن بزيع عندما ذكر له قول بعض آبائه «عليهم السلام»: «إن الناس لم يأخذوا عن الحسن والحسين «عليهما السلام» إلا الصلاة بعد العصر بمكة.

فقال له الإمام الرضا «عليه السلام»: نعم، ولكن إذا رأيت الناس يقبلون على شيء، فاجتنبه»[1].

يدل على أن الحسن والحسين كانا يصليان تطوعاً بعد صلاة العصر، لإظهار جواز ذلك، وإن منع عمر بن الخطاب عن هذه الصلاة لا مبرر له.

وبعد أن شاع ذلك وذاع، وامتاز الحق من الباطل، ولم يعد بالإمكان طمس الحق، ولم تعد هناك ضرورة لمواصلة الشيعة للصلاة بعد العصر، لأن المناوئين للشيعة صاروا يتخذون ذلك ذريعة لإلحاق الأذى بالأئمة «عليهم السلام» وبالشيعة.

العاملي ج3 ص495 والوافي ج13 ص911 وروضة المتقين ج5 ص254 و 255 وتهذيب الأحكام ج5 ص142 والإستبصار ج2 ص237 ووسائل الشيعة (آل البيت) ج13 ص436 و 437 و (الإسلامية) ج9 ص488 ومسند الإمام الرضا للعطاردي ج2 ص230 و 231 ومنتقى الجمان ج3 ص272.

(1) تهذيب الأحكام ج5 ص142 ومنتقى الجمان ج3 ص272 ووسائل الشيعة (آل البيت) ج13 ص436 و (الإسلامية) ج9 ص488 ومسند الإمام الرضا ج2 ص230.

أي إن إجازه الحسنين «عليهما السلام» لصلاة التطوع بعد العصر هو الذي نقض المنع الذي أصدره عمر بن الخطاب، الذي كان يضرب من صلى بعد العصر(1)، ودلت صلاتهم تلك على مشروعيتها..

وبعد أن علم ذلك أصبح استمرار الشيعة على فعلها من موجبات إيذاء مناوئيهم لهم، ولأجل ذلك قال الإمام الرضا «عليه السلام» لشيعته: «لستم مثلهم»، وقال لذلك الرجل: «إذا رأيت الناس يقبلون على شيء فاجتنبه»، لأن المقصود بالناس هم: المخالفون للشيعة، والذين كانوا يتسامحون مع بعضهم، ولكنهم حين يرون الشيعة يفعلون ذلك، فإنهم يؤذونهم.

2 ـ إن العمل بالتقية إنما يجب حين لا تكون هناك مصلحة في العمل بمرّ الحق، فإن كان العمل بالتقية يوجب طمس الأحكام وتضييعها، فإنه يحرم العمل بها، ويجب تحمُّل الأذى إلى أن يتميز الحق من الباطل، ويتضح الحق.. فإن كان التعرض للأذى بلا فائدة ولا عائدة أصلاً، ولا يؤدي إلى حفظ التشريع، فإنه يجوز العمل بالتقية في هذه الحالة أيضاً.

---

(1) المصنف للصنعاني ج2 ص429 و430 و 432 و 433 وكتاب الآثار للشيباني، وكنز العمال ج4 رقم4800 و (ط مؤسسة الرسالة) ج8 ص49 و 180 و 181 و 183 و 187 والموطأ ج1 ص221 والمصنف لابن أبي شيبة ج2 ص245 و 246 ومسند أبي يعلى ج7 ص43 والسنن الكبرى للبيهقي ج2 ص475 والتاريخ الكبير للبخاري ج5 ص85 والمعجم الأوسط ج8 ص296 والمعجم الكبير ج2 ص58 وج5 ص228 وبغية الباحث ص82 وسير أعلام النبلاء ج2 ص448 وتاريخ الإسلام للذهبي ج3 ص617 والإحكام لابن حزم ج5 ص821 ومسند أحمد ج4 ص115 ومجمع الزوائد ج2 ص222 و 223 وفتح الباري ج2 ص53.

الفصل الثالث

البيعة للإمام الحسن ×..

البيعة بعد الخطبة:

قالوا: إنه بعد أن انتهى الإمام الحسن «عليه السلام» من خطبته قام ابن عباس، وقال: هذا ابن نبيكم، ووصي إمامكم، فبايعوه.

فقال الناس: ما أحبه إلينا، وأوجب حقه علينا، وأحقه بالخلافة فبايعوه، ثم نزل عن المنبر[1].

وقال ابن قتيبة: «..وذكروا أنه لما قتل علي بن أبي طالب، ثار الناس إلى الحسن بن علي بالبيعة..

فلما بايعوه قال لهم: تبايعون لي على السمع والطاعة، وتحاربون من حاربت، وتسالمون من سالمت.. فلما سمعوا ذلك ارتابوا، وأمسكوا أيديهم، وقبض هو يده.

فأتوا الحسين، فقالوا له: ابسط يدك نبايعك على ما بايعنا عليه أباك، وعلى

---

(1) مقاتل الطالبين ص52 و (ط المكتبة الحيدرية) ص33 والإرشاد للمفيد ج2 ص8 و 9 والفصول المهمة لابن الصباغ ج2 ص717 والمستجاد من الإرشاد (المجموعة) ص145 وبحار الأنوار ج43 ص362 وموسوعة أحاديث أهل البيت للنجفي ج7 ص55 وكشف الغمة ج1 ص532 و (ط دار الأضواء) ج2 ص161 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج16 ص30 وإعلام الورى ج1 ص407.

حرب المحلين الضالين، أهل الشام.

فقال الحسين: معاذ الله أن أبايعكم ما كان الحسن حياً.

قال: فانصرفوا إلى الحسن، فلم يجدوا بداً من بيعته، على ما شرط عليهم الخ..»[1].

وقالوا أيضاً: إن أول من بايعه قيس بن سعد بن عبادة، فقال: ابسط يدك على كتاب الله، وسنة رسوله، وقتال المخالفين..

وفي نص ابن خلدون: الملحدين. (الصحيح: المحلين، كما في الطبري وغيره).

فقال الحسن: على كتاب الله وسنة رسوله، فإنهما ثابتان.

[أو قال: فإنهما يأتيان على كل شرط].

وبايعه الناس، وكان الحسن يشترط: أنهم سامعون مطيعون، تسالمون من سالمت، وتحاربون من حاربت، فارتابوا وقالوا: ما هذا لكم بصاحب، وما يريد القتال[2].

---

(1) الإمامة والسياسية ج1 ص163 و (تحقيق الزيني) ج1 ص140 و (تحقيق الشيري) ج1 ص184.

(2) تتمة المختصر في أخبار البشر لابن الوردي ج1 ص250 وتاريخ الأمم والملوك ج5 ص162 و (ط الأعلمي) ج4 ص123 والكامل في التاريخ ج3 ص402 والعبر وديوان المبتدأ والخبر (تاريخ ابن خلدون) ج1 ص186 و (ط الأعلمي) ج2 ق2 ص186 والمختصر في أخبار البشر (تاريخ أبي الفداء) ج1 ص182 ونهاية الأرب ج20 ص224 وترجمة الإمام الحسن لابن عساكر ص174 والمستدرك للحاكم ج3 ص173 وتاريخ مدينة دمشق ج13 ص263 وتهذيب

وكانت البيعة له «عليه السلام» في يوم الجمعة، الحادي والعشرين من شهر رمضان، سنة أربعين من الهجرة.. فرتب العمال وأمَّر الأمراء، وأنفذ عبد الله بن العباس «رحمه الله» إلى البصرة، ونظر في الأمور[1].

وبعدما تقدم نقول:

متى كانت البيعة؟!:

1 ـ قال المسعودي: إن الإمام الحسن «عليه السلام» بويع بالكوفة بعد وفاة أمير المؤمنين «عليه السلام» بيومين[2].

وهذا يخالف ما ذكره عامة المؤرخين، ولعل المسعودي قصد أنه «عليه السلام» بويع بعد الضربة التي أوردها ابن ملجم على أبيه، فكانت سبب شهادته بيومين.

2 ـ زعم محمد فريد وجدي: أنه «عليه السلام» بويع قبل وفاة والده، ولما انتهت البيعة توفي والده[3]. وهذا مما تفرد به هذا الرجل، ولا نعلم له مستنداً.

الكمال ج6 ص245.

(1) الإرشاد للمفيد ج2 ص9 وبحار الأنوار ج43 ص362 والمستجاد من الإرشاد (المجموعة) ص145 وموسوعة أحاديث أهل البيت للنجفي ج7 ص55 وكشف الغمة ج2 ص161.

(2) مروج الذهب ج2 ص426 والتنبيه والإشراف ص260.

(3) حياة الإمام الحسن للقرشي ج2 ص39 عن دائرة المعارف لوجدي ج3 ص443 وعن كنز العلوم واللغة ص380.

بيعة شاملة وعامة:

وكانت بيعة الناس للإمام شاملة، وعامة لجميع العباد في مختلف البلاد، فالعراق كله قد بايعه، وتقدم: أن أهل مكة والمدينة قد بايعوه أيضاً على يد جارية بن قدامة، وكذلك الحال في سائر بلاد الحجاز، واليمن، وبلاد فارس وسواها. باستثناء بلاد الشام، فإن الناس فيها كانوا لا يجرؤون على إظهار المخالفة لمعاوية الذي بلغ في بغيه شأواً بعيداً، فقد حارب علياً «عليه السلام»، مع علمه بأن النبي قد أخبر عن هذه الحرب، وأدانها، وبيّن أنها حرب بغي وظلم.

فعدم بيعة أهل الشام لعلي «عليه السلام» في هذه الحال لا تخل ببيعة سائر أقطار العالم الإسلامي له «عليه السلام»، كما هو ظاهر..

ويؤكد ذلك: قول النبي «صلى الله عليه وآله»: الحسن والحسين إمامان.

وفي نص آخر: أنه «صلى الله عليه وآله» قال للحسنين: أنتما الإمامان ولأمكما الشفاعة..

بالإضافة إلى سائر النصوص على الأئمة الإثني عشر «عليهم السلام»، وغير ذلك مما تقدم وسيأتي إن شاء الله تعالى..

فظهر أن قول الخضري: إن بيعته «عليه السلام» ليست كبيعة أبيه، لأنها ليست عامة، ولكنها قاصرة على شيعتهم من أهل العراق[1]. بعيد جداً عن الإنصاف والموضوعية.

---

(1) إتمام الوفاء ص225.

كما أن قول طه حسين: إن قيس بن سعد دعا الناس إلى بيعة الإمام الحسن «عليه السلام»، ثم أخرجوه فبايعوه[1]. غير دقيق، فقد تقدم: أنه «عليه السلام» خطب الناس، ثم تكلم قيس، فبايع الناس الإمام الحسن «عليه السلام»، ثم نزل عن المنبر.

لماذا هذا الإشتراط؟!:

وتقدم: أن الإمام الحسن «عليه السلام» اشترط على الناس حين البيعة له: أن يبايعوه على السمع والطاعة، وأن يسالموا من سالم، ويحاربوا من حارب، فارتابوا وأمسكوا أيديهم، وقبض هو يده.

والسؤال هو: لماذا هذا الشرط منه «عليه السلام»؟! ولماذا ارتاب الناس؟!

ونجيب:

1 ـ إنه «عليه السلام» قد طرح هذا الشرط بالخصوص. لأنه هو الذي يلامس ما يدور في أذهانهم بصورة واضحة، حتى كأنه وضع أصبعه على جرحهم، وأثار كوامن نفوسهم.

2 ـ إن هذا الشرط هو لبّ اللباب في البيعة، وبه قوامها، وعليه مدارها وقرارها. ولو استل مضمون هذا الشرط منها، فإنها لا تكون بيعة ولا يمكن العثور حتى على اسمها في المجالات العملية..

3 ـ وسبب ذلك أن البيعة التي يريدونها إنما يتوخون منها أن تمنحهم هم حق الإختيار، والقرار أي أن يكونوا هم الخلفاء، ومن يبايعونه هو الرعية

---

(1) علي وبنوه ص195.

والتابع، والبيعة له هي التي تغلّ يديه، وتلزمه بأن يأتمر بأمرهم.

4 ـ فاشتراط الإمام الحسن «عليه السلام» هذا الشرط عليهم كان ضرورياً، لأنه استخرج من ضمائرهم ما يكون نقضاً للبيعة، وليس عقداً لها، وما يكون إفراغاً لها من معناها ومغزاها.

5 ـ ومن الواضح: أن بيعةً هذا هو حالها ومآلها، ستكون مثار جدل واختلاف، وفتنة، وانحدار إلى دركات الهلاك والبوار، بدلاً من أن تكون سبباً في تكريس الوفاق، والإلفة، والقوة والسداد، والنجاح والرشاد.

6 ـ إن هذا الاشتراط قد تكفل ببلورة مفهوم البيعة، الذي هو من أكثر المفاهيم حساسية وأهمية، وأثراً في استقامة حياة الناس، وفتح أبواب السعادة أمامهم، وهو ثمرة وضع النقاط على الحروف، وكشف الظلمات بنور الحقائق من دون تمويه أو تشويه واستغلال.

7 ـ وواضح أن الذي مكن الإمام الحسن من إطلاق هذا الشرط هو معرفته بمكنونات الضمائر، وتقدير نتائجه، ومعرفة آثاره، فكانت هذه المعرفة هي السبب في فضح ما أخفوه وكشف ما ستروه.

وهذا ولا ريب من دلائل بصيرته، ووضع المعالجة الصحيحة التي أسهمت في بلورة نظرته النافذة، وإمامته الراشدة «صلوات الله وسلامه عليه».

ثانياً: إن هذا الاشتراط والموقف منه يعطي: أن الناس لم يتعاملوا مع الإمام الحسن «عليه السلام» من منطلق الوعي لمنطق الإمامة في مغزاها، ومعناها وتجلياتها في الواقع العملي، وموقعها من النظام الاسلامي ومرتكزاتها وأدواتها وطرائق عملها، وسائر حالاتها وشؤونها.

بل تعاملوا معه كحاكم يمكن الجمع والطرح معه، وبيعتهم له، لا تعدو كونها مجرد تعهّد والتزام، ومقايضة وتبادل مصالح، يمكن التقليم والتطعيم في مفرداتها، وتطبيقاتها..

ويرون أيضاً: أن لهم الحرية في قبول البيعة ورفضها، وفي صورة الرفض، فإن ذلك يعفيهم من أي التزامات كانت قد ترتبت عليها.. فهي بنظرهم ليست عهداً مع الله، لتكون بيعة يجب الوفاء بها ويمنع من التملص منها، والتخلص من تبعات نكثها.

ثالثاً: وقد يدور بخلد البعض: أن شروط الإمام الحسن «عليه السلام»، قد دعت أولئك القوم إلى أن يرتابوا ويمسكوا أيديهم، وأن يقبض «عليه السلام» يده، فدعاهم ذلك إلى عرض بيعتهم وطاعتهم على الإمام الحسين «عليه السلام». ولا شك في أن الإمام الحسن «عليه السلام» كان يعلم: أن الإمام الحسين «عليه السلام» سيرفض طلبهم. وهذا يجعلهم أمام خيارات:

أحدها: أن يرضوا بشروط الإمام الحسن، ويعودوا إليه ويبايعوه.

الثاني: أن يحاولوا ايجاد بديل آخر يبايعونه، وهذا يوقظ حالة الجشع والطمع، ويكثر الدوافع ويثور النزاع، وتنطلق الشياطين لشحن النفوس، وتحريك العصبيات وتثور الفتن والصراعات على السلطة.

الثالث: أن يتركوا الأمور على عواهنها، وتنتشر الفوضى، ويأكل الناس بعضهم بعضاً، ولا يعود هناك أمن ولا قانون سوى شريعة الغاب، ونتيجة ذلك هي الدمار والبوار. ويكون بطن الأرض خيراً لهم من ظهرها.

الرابع: وهنا يلوح لنا شبح الخيار الرابع الذي يفرض نفسه، يقول النص

المتقدم: «فانصرفوا إلى الحسن، فلم يجدوا بداً من بيعته على ما شرط عليهم..».

خطأ قيس بن سعد:

وتقدم: أن قيس بن سعد قال للإمام الحسن «عليه السلام»: أبسط يدك على كتاب الله وسنة رسوله، وقتال المحلين..

فقال الحسن «عليه السلام»: على كتاب الله وسنة رسوله، فإنهما ثابتان..

وواضح: أن ما قاله الإمام الحسن «عليه السلام» هو الصواب الذي لا مرية فيه، ولا شبهة تعتريه، فإن كلمة «فإنهما ثابتان» قد حسمت الأمر، وكرست القاعدة التي تقول: إن من الأحكام ماهو ثابت بملاحظة ثبات موضوعاتها، فكلما تحقق ذلك الموضوع لحقه ذلك الحكم.. وهذا هو حال الأحكام التي وردت في القرآن لموضوعات ثابتة ومحددة..

وهناك أحكام تثبت لموضوعاتها في حالة دون أخرى.. فمثلاً: وجوب قتال المحلين من أهل الشام الذين يظهرون الإسلام، وبغوا على إمامهم ليس ثابتاً على كل حال، بل بشرط إذن الإمام، وبشرط أن يحفظ بحربهم الإسلام وأهله، وبشرط أن يكون عدم حربهم سبباً في إشاعة الضلالات والترهات.. وقد يجب ترك الحرب لمدة معيَّنة، إلى أن يتم فضح الباطل، وأهله.. وقد.. وقد..

فلا معنى للإلتزام بحرب توجب اضعاف الدين وإهلاك رموزه وحماته، وإضعاف أهله وذهاب ريحهم، لأن وجوب حربهم ليس على نحو الإطلاق، بل هو مشروط بشروط قد توجد وقد تفقد. على أن اشتراط الرعية على ولي

الأمر يخالف أمر الله لهم بإطاعته.

وقد ظن قيس بن سعد: أن حكم أمير المؤمنين «عليه السلام» بقتال أهل الشام من الثوابت التي تنسحب على من يأتي بعده.. مع أنه حكمٌ تابع للأحوال والشرائط المستجدة، ويتبدل بحسبها، فلما بيَّن الإمام الحسن «عليه السلام» له هذه الحقيقة بخع وخضع..

عبيد الله، أم عبد الله:

وتقدم: أن ابن عباس قام بعد خطبة الإمام الحسن في مسجد الكوفة، وحرَّض الناس على البيعة له «عليه السلام».

وقد صرَّحت النصوص: بأن عبد الله بن عباس هو الذي فعل ذلك.. لكن البعض بدَّل كلمة عبد الله بكلمة عبيد الله[1].

ولعل سبب هذا التبديل: أنه صدَّق بما ادَّعي زوراً على ابن عباس، من أنه سرق أموال البصرة حين ولِّيها من قبل علي «عليه السلام»، وفرَّ إلى مكة.

بل زعموا: أنه حين بلغه بيعة الناس للإمام الحسن «عليه السلام» كتب إليه من مكة ـ كما يقول طه حسين ـ يحضّه على جهاد عدوه، وكان ابن عباس قد أخذ من البصرة مالاً، ولحق بمكة قبل مقتل علي «عليه السلام»[2].

مع أنه تقدم:

(1) راجع: حياة الإمام الحسن للقرشي ج2 ص33 و40.

(2) تتمة المختصر في أخبار البشر لابن الوردي ج1 ص250.

تصريح الشيخ المفيد في الإرشاد، وكذلك غيره: بأن الذي دعا الناس إلى بيعة الإمام الحسن هو عبد الله بن عباس، لا عبيد الله[1].

وتقدم: أن علياً حين استشهد كان عبد الله بن عباس والياً على البصرة من قِبَله «عليه السلام»، وحين بويع الحسن جعله «عليه السلام» أيضاً على البصرة وأنفذه إليها[2].

ومن المفارقات التي تذكر هنا: أن البعض الذي زعم أن ابن عباس قد سرق أموال البصرة، وفارق علياً، وذهب إلى مكة[3].

يعود هو نفسه ليقول بعد صفحتين: «توفي علي رضي الله عنه، وعلى البصرة عبد الله بن عباس، وعلى قضائها أبو الأسود الخ..»[4].

وقد ذكرنا في كتابنا: «ابن عباس وأموال البصرة».. ولاسيما (ط سنة 2018 م. ش 1439 هـ. ق). مؤاخذات كثيرة على ادِّعاء، سرقة ابن عباس أموال بيت مال البصرة، فنكتفي بإحالة القارئ الكريم إلى ذلك الكتاب.

---

(1) الإرشاد ج2 ص8 ـ 9 وبحار الأنوار ج43 ص362 والعوالم ج16 ص137 والمستجاد من الإرشاد (المجموعة) ص145 وإعلام الورى ج1 ص406 ـ 407 وكشف الغمة ج2 ص155 ـ 156 و 160 ـ 161 وصلح الحسن لآل ياسين ص58.

(2) العوالم ج16 ص168 ومناقب آل أبي طالب ج2 ص319 وبحار الأنوار ج44 ص54 والإرشاد للمفيد ج2 ص9.

(3) ديوان المبتدأ والخبر (ط دار الفكر سنة 1417هـ ق) ج2 ص644 و 645.

(4) المصدر السابق ج2 ص647.

كما أن من بدَّل عبد الله بعبيد الله لأنه ظن: أن عبد الله ذهب بالأموال إلى مكة، هو نفسه يذكر: أن عبد الله كان عاملاً على البصرة من قبل الإمام الحسن «عليه السلام»(1).

رسالة الإمام الحسن × لابن جندب:

في تفسير فرات الكوفيّ قال:

حدّثني عليّ بن الحسين [معنعناً]: عن الأصبغ بن نباتة! قال: كتب عبد الله بن جندب إلى عليّ بن أبي طالب «عليه السلام»: جعلت فداك إنّي [ب: إنّ] فيَّ ضعف، فقوّني.

قال: فأمر عليّ الحسن ابنه أن اكتب إليه كتاباً..

قال: فكتب الحسن:

إنّ محمّداً «صلى الله عليه وآله» كان أمين الله في أرضه، فلمّا أن قبض محمّد «صلى الله عليه وآله» وكنّا أهل بيته، فنحن أمناء الله في أرضه، عندنا علم المنايا والبلايا، وإنّا لنعرف الرّجل إذا رأيناه بحقيقة الإيمان وحقيقة النّفاق، وإنّ شيعتنا لمعروفون [المعروفون] بأسمائهم وأنسابهم، أخذ الله الميثاق علينا وعليهم [ر: منّا (ظ) ومنهم] يردون مواردنا، ويدخلون مداخلنا، ليس على ملّة أبينا إبراهيم غيرنا وغيرهم، إنّا يوم القيامة آخذين (آخذون) بحجزة نبيّنا، وإنّ نبيّنا آخذ بحجزة [ربه والحجزة. ب] النّور، وإنّ شيعتنا آخذين

(1) حياة الإمام الحسن للقرشي ج2 ص47 و49.

(آخذون) بحجزتنا.

من فارقنا هلك، ومن اتّبعنا [ر: تبعنا] لحق بنا، والتّارك لولايتنا كافر، والمتّبع لولايتنا مؤمن، لا يحبّنا كافر، ولا يبغضنا مؤمن، ومن مات وهو محبّنا كان حقّاً [ر، أ: حقيق!] على الله أن يبعثه معنا.

نحن نور لمن تبعنا، وهدى لمن اقتدى بنا، ومن رغب عنّا فليس منّا، ومن لم يكن منّا فليس من الإسلام في شيء.

بنا فتح الله الدّين، وبنا يختمه، وبنا أطعمكم الله عشب الأرض، وبنا منّ الله عليكم [ب: أمنكم الله] من الغرق، وبنا ينقذكم الله في حياتكم وفي قبوركم، وفي محشركم، وعند الصّراط والميزان، وعند ورود [كم. ب، ر] الجنان.

وإنّ مثلنا في كتاب الله كمثل المشكاة، والمشكاة هي [ر، أ: هو] القنديل، وفينا المصباح، والمصباح محمّد «صلى الله عليه وآله» وأهل بيته، والمصباح في زجاجة [نحن. أ] ﴿**الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ**﴾ عليّ بن أبي طالب «عليه السلام». ﴿**لاَّ شَرْقِيَّةٍ وَلاَ غَرْبِيَّةٍ**﴾، معروفة لا يهوديّة ولا نصرانيّة، ﴿**يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ**﴾[1].

وحقيق [ب: حق] على الله أن يأتي وليّنا يوم القيامة مشرقاً وجهه، نيّراً برهانه، عظيمة عند الله [تعالى. ر] حجّته.

---

(1) الآية 35 من سورة النور.

وحقيق [ب: حق] على الله أن يجعل وليّنا رفيق الأنبياء والشّهداء، والصّدّيقين والصّالحين، وحسن أولئك رفيقاً.

وحقيق [ب: حق] على الله أن يجعل عدوّنا والجاحد لولايتنا رفيق الشّياطين والكافرين، وبئس أولئك رفيقاً.

ولشهيدنا فضل على شهداء غيرنا بعشر درجات، ولشهيد شعيتنا فضل على شهيد [ب، ر: الشهداء] غير شيعتنا بسبع درجات.

فنحن [أ: نحن] النّجباء، ونحن أفراط الأنبياء ونحن خلفاء [الله في. ب] الأرض، ونحن المخصوصون [ب: المخلصون] في كتاب الله، ونحن أولى النّاس بنبيّ الله، ونحن الّذين شرع الله لنا الدّين، فقال في كتابه: ﴿**شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلاَ تَتَفَرَّقُوا فِيهِ**﴾، وكونوا على جماعة محمّد «صلى الله عليه وآله» ﴿**كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ**﴾(1)»(2).

ونقول:

لا يتسع المجال في هذا الكتاب لشرح هذه الرسالة الرائعة، والمشحونة بالحقائق والدقائق، فلا محيص لنا عن الإكتفاء بفهرسة موجزة ومحدودة، على أمل أن يوفِّق الله تبارك وتعالى من يقوم بهذه المهمة الجليلة، فنقول:

---

(1) الآية 13 من سورة الشورى.

(2) تفسير فرات ص285 وبحار الأنوار ج23 ص313 ح20 وراجع: تفسير القمي ج2 ص104 وتأويل الآيات الظاهرة ج1 ص360 عن الإمام الرضا «عليه السلام».

1 ـ إن أول ما يطالعنا في هذه القضية هو الخطأ الذي أشار إليه العلامة الجليل الشيخ على الأحمدي الميانجي «رحمه الله»، وهو: أن الصحيح هو جندب بن عبد الله، لا عبد الله بن جندب، لأن عبد الله بن جندب من أصحاب الإمام الكاظم «عليه السلام»[1]، ولا يوجد في أصحاب علي «عليه السلام» من اسمه عبد الله بن جندب[2].

2 ـ إن جندب قد التفت إلى نفسه، فأدرك ما بها من ضعف، فسعى لمعالجة هذا الضعف من باب مدينة علم النبوة، ومن مصدر العلم والمعرفة، والهداية وهذا توفيق يغبط عليه، ويرجى له به الخير والفضل من الله تبارك وتعالى.

3 ـ يلاحظ: أن أمير المؤمنين أحال أمر الجواب إلى ولده الإمام الحسن «عليه السلام»، فكتب هذا الكتاب الفريد والعتيد.

أمناء الله في أرضه:

وقد ذكر «عليه السلام» في رسالته هذه: أن محمداً «صلى الله عليه وآله» وأهل بيته من بعده، أمناء الله تعالى في أرضه، وورد في زيارة أمين الله قوله «عليه السلام»: «السلام عليك يا أمين الله في أرضه، وحجته على عباده». وفي الزيارة الجامعة الكبيرة: «وأمناء الرحمن».

فكيف نفهم أمانتهم التي ذكرت في هذا الكتاب، وفي تلك الزيارة؟!

وكيف نجمع بينه وبين قوله تعالى: ﴿**إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ**

---

(1) راجع: قاموس الرجال ج2 ص299.

(2) مكاتيب الأئمة ج3 ص11 هامش رقم 2.

وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا لِيُعَذِّبَ اللهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾؟![1].

فهل يكون النبي والأئمة الطاهرون مشمولين بهذه الآية أيضاً، وهم أفضل الخلق، وأعلمهم بما يريده الله، وأحبهم إليه؟!

ويجاب بما يلي:

1 ـ قد يقال: بأن المراد: بإباء السماوات، والأرض والجبال المذكور في هذه الآية المباركة، هو الإباء التكويني، بملاحظة أحوال هذه المخلوقات، وصفاتها، وسماتها، وعجزها عن القيام بهذه المهمة.

وإذا كانت الآيات والروايات تدل على أن لدى جميع الموجودات درجة من الإدراك والشعور.. فإن المراد بإبائها عن حمل الأمانة: هو ظهور عجزها وقصورها عن ذلك، وأنها تشفق وتحاذر، وتخشى تضييع الأهداف الإلهية، لو أوكلت إليها هذه المهمة، لعدم قدرتها على القيام بفروض الأمانة، كما هو حقها.

وهذا الإشفاق والخشية، والخوف هو حالة نفسية وشعورية، وإدراكية، ناشئة عن المقارنة بين ما تمتلك من قدرات، وحجم وطبيعة ونوع ما يعرض عليها من مهمات ومسؤوليات.

2 ـ قد يقال: إن عطف الجبال على الأرض في الآية من باب عطف

(1) الآيتان 72 و73 من سورة الأحزاب.

الخاص على العام، لبيان أهمية ذلك الخاص..

وقد يقال: بل هو عطف مغاير..

وقد يؤيد هذا المعنى الثاني: قولهم: إن الأرض كل ما سفل[1].

فكأنه تعالى أراد الاحتراز عن توهم كون المقصود بالأرض خصوص ما سفل من المناطق، فعطف الجبال عليها ليؤكد إرادتها أيضاً بما هي موجودات لها وظيفة خاصة بها، كما قال تعالى: ﴿**وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا**﴾[2]. أي هي أوتاد الأرض تؤثر في ثباتها واستقرارها.

3 ـ قيل المراد بالأمانة: كل ما فرضه الله تعالى على العباد.

وفي الروايات: أن المراد بها: الإمامة والولاية.

ويبدو لنا: أنه لا اختلاف بين القولين، فإذا قلنا: إنها كل ما فرضه الله، فالولاية مما فرضه الله، فيكون تنصيص الروايات عليها، من باب ذكر الخاص لعظيم أهميته وحساسيته.. لاسيما وأن الولاية والإمامة هي التي توجب قبول الأعمال، كما دلت آية: ﴿**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ**﴾[3].. فذكر الولاية يغني عن ذكر سائر الأعمال بهذا اللحاظ.

والأمانة هي الإلتزام التام بحفظ الأهداف الإلهية، والقيام بمسؤوليات

---

(1) أقرب الموارد ج2 ص8.

(2) الآية 7 من سورة النبأ.

(3) الآية 67 من سورة المائدة.

تحقيقها من خلال بذل الجهد في حفظ الدين ونشره، وإيصال المخلوقات إلى كمالها وفق المناهج التي رسمها الله، ويسَّرها لهم، ورعاية شروطها، وتقدير حاجاتها، والذين يحملون هذه الأمانة على الحقيقة، ووفق ما رسم الله هم: محمد «صلى الله عليه وآله» والأئمة من أهل بيته، دون سواهم، وغيرهم إذا ادَّعاها بغير حق لنفسه، وتصدى لها، فإنه يكون ظلوماً جهولاً..

فلا بد من الدلالة عليهم، والرجوع إليهم، وليس لأحد غيرهم أن يدَّعيها لنفسه، وقد حفظها الأنبياء لأصحابها الحقيقيين، وأخبروا بها أوصياءهم، والمؤمنين من أتباعهم بها، حتى يؤدوها إلى آل محمد، وأهل البيت، الذين كلفوا بحملها.

ولكن الإنسان الظلوم الجهول من غير أهل البيت ادَّعاها لنفسه، واغتصبها، وتلبَّس بها، ونازعهم «عليهم السلام» عليها، فكان هذا الإدِّعاء، وتلك المنازعة من مفردات الخيانة وتضييع الأمانة..

وسبب ذلك: هو غرور ذلك الإنسان بنفسه، مستنداً في إقدامه هذا إلى ما أعطاه الله تعالى من عقل محدود، وتمييز، واختيار، وقدرات اغترَّ بنفسه وبها.. فزعم أنه هو الأحق بحمل الأمانة الإلهية، والنهوض بمسؤولياتها.

فكان بذلك ظلوماً لنفسه، لأنه حمَّلها ما لا تستطيعه.. وكان أيضاً جهولاً بما لديه من قدرات، توهم أنها كبيرة، والحال أنها محدودة وضعيفة.. لا تستطيع أن تصمد أمام دواعي الشهوات والغرائز والأهواء، والمغريات والعصبيات، بالإضافة إلى أنه يجهل الكثير من حقائق التكوين، وأسرار الحياة، وخفايا الغيب.

بالإضافة إلى عجزه عن فهم الحال والمآل في كثير من الجهات.. وفقده لأكثر القدرات التي تحتاج إليها إدارة الكون، وإعماره، وفق الأهداف الإلهية.

فاستحق بذلك المقت والخزي، والعذاب الأليم.. وكان الفوز والمغفرة للمؤمنين..

قال الزجاج: «كل من خان الأمانة، فقد حملها، ومن لم يحملها، فقد أدَّاها»[1]. أي حملها بغير جدارة واستحقاق، ومن لم يحملها من عامة الناس، فقد أداها إلى أهلها الحقيقيين، وهم أهل البيت «عليهم السلام».

وحيث إن الذين يدَّعون لأنفسهم هذا المقام هم ممن يتظاهر بالدين والإيمان بالدرجة الأولى.

بل يدعي المشركون أيضاً: أنهم هم الذين يجب أن يحكموا البشر، وأن يقوموا بإدارة أمور الحياة كلها، وأن على الناس أن يفسحوا لهم المجال لذلك، فعاث هؤلاء وأولئك في الأرض فساداً، وظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس.. ولذلك نرى: أن الآية الأخيرة من سورة الأحزاب قد رتبت عذاب المنافقين والمشركين المعتدين على هذا الحق، والمدعين لأنفسهم أنهم هم الحاملون للأمانة جاءت لتقرر العذاب لهؤلاء المنافقين، وأولئك المشركين عن جدارة وإستحقاق.

4 ـ وقد ألمح الإمام الحسن «عليه السلام» إلى هذه الأمور حين قال تعقيباً

---

(1) بحار الأنوار ج11 ص175 وج57 ص278 وج87 ص252 ومستدرك سفينة البحار ج7 ص167 ومجمع البيان (تفسير) ج8 ص186.

على كون النبي «صلى الله عليه وآله» والأئمة «عليهم السلام» هم الأمناء: «عندنا علم المنايا والبلايا، إنَّا لنعرف الرجل إذا رأيناه بحقيقة الإيمان، وحقيقة النفاق».

فإن كلمته «عليه السلام» هذه تدل على أن أمثال هذه المعارف حتى علم المنايا والبلايا هي مما يحتاج إليه أمناء الله تعالى في أرضه، ليتمكنوا من أداء الأمانة، بل الأمين بحاجة أيضاً إلى معرفة الإيمان والنفاق من أول نظرة في وجوه الأشخاص.. وهذا ما أشار إليه عز وجل بقوله: ﴿**إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ**﴾(1).

كما أن ما ذكر «عليه السلام» في تلك الرسالة عن معرفتهم بشيعتهم بأنسابهم، وأسمائهم، وغير ذلك من أمور ترتبط بولايتهم «عليهم السلام».

وكذلك ما ذكره عن كفر من لا يحبهم قد دل على أن مجرد عدم الحب لهم دليل كفرهم، وإن لم يظهر ذلك البغض في الكلمات والتصرفات.

بنا فتح الله:

وقال «عليه السلام»: «بنا فتح الله الدين، وبنا يختمه» وهذه حقيقة مشهودة، فقد خلقهم «عليهم السلام» قبل خلق الخلق بآلاف الأعوام، وجعلهم مطيفين بعرش القدرة.. وقد عرفهم «عليهم السلام» ملائكته وأنبياءه، ورسله حين خلق هؤلاء وأولئك.

---

(1) الآية 75 من سورة الحجر.

وتمنى آدم حين رآهم مطيفين بالعرش: أن يكون معهم، فجرى له ما جرى.. حسبما بينَّاه في كتابنا «براءة آدم».

ثم توسل بهم الأنبياء، حين كانوا يواجهون الشدائد، مثل نوح في الطوفان، وإبراهيم حين ألقي في النار، ويونس في بطن الحوت، وعيسى حين أرادوا صلبه، وغير ذلك.

وبهم «عليهم السلام»، بظهور الإمام الحجة من آل محمد في آخر الزمان يختم الله دينه..

وبنا أطعمكم الله عشب الأرض:

ثم قال «عليه السلام»: «وبنا أطعمكم الله عشب الأرض، وبنا منَّ الله عليكم من الغرق». وفي نسخة: أمنكم الله من الغرق.

ونقول:

أولاً: بالنسبة لأكل الناس من عشب الأرض بسبب حب أهل البيت وولايتهم نذكر بعض الروايات المشيرة إلى ذلك وإلى غيره مما هو في نفس السياق، بنحو أو بآخر فيما يلي:

1 ـ عن أمير المؤمنين «عليه السلام»: إن الله تبارك وتعالى عرض ولايتنا على أهل السماوات والأرض، من الجن والإنس، والثمر، وغير ذلك، فما قبل منه ولايتنا طاب وطهر وعذب، وما لم يقبل منه خبث وردئ ونتن(1).

(1) راجع: بحار الأنوار ج27 ص280 باب ما أقر من الجمادات والنباتات بولايتهم.

2 ـ عن مولانا الإمام الرضا «عليه السلام» في حديث قال: وفي يوم الغدير عرض الله الولاية على أهل السماوات السبع، فسبق إليها أهل السماء السابعة، فزين بها العرش، ثم سبق إليها أهل السماء الرابعة، فزينها بالبيت المعمور، ثم سبق إليها أهل السماء الدنيا، فزينها بالكواكب[1].

ثم عرضها على الأرضين فسبقت إليها مكة فزينها بالكعبة ، ثم سبقت إليها المدينة فزينها بالمصطفى محمد «صلى الله عليه وآله»، ثم سبقت إليها الكوفة، فزينها بأمير المؤمنين «عليه السلام».

وعرضها على الجبال، فأول جبل أقرّ بذلك ثلاثة أجبال: العقيق، وجبل الفيروزج، وجبل الياقوت، فصارت هذه الجبال جباله‍ن، وأفضل الجواهر، وسبقت إليها جبال أخر، فصارت معادن الذهب والفضة.

وما لم يقر بذلك، ولم يقبل صارت لا تنبت شيئاً.

وعرضت في ذلك اليوم على المياه، فما قبل منها صار عذباً، وما أنكر صار ملحاً أجاجاً.

وعرضها في ذلك اليوم على النبات، فما قبله صار حلواً طيباً، وما لم يقبل صار مراً.

ثم عرضها في ذلك اليوم على الطير، فما قبلها صار فصيحاً مصوتاً، وما

ومستدرك الوسائل ج16 ص413 والإختصاص للمفيد ص249 ومدينة المعاجز ج1 ص420 ومستدرك سفينة البحار ج7 ص168.

(1) هل يستفاد من هذا: أن السماوات الأخرى لا كواكب فيها؟!

أنكرها صار أحرّ ألكن (أخرس مثل الألكن خ. ل).. إلى آخر الخبر[1].

3 ـ في الروايات من طرق العامة: أن الله تعالى أخذ حب علي بن أبي طالب على البشر، والشجر، والثمر، والبذر، فما أجاب إلى حبِّه عَذُب وطاب، ومن لم يجب خَبُث[2].

ثانياً: بالنسبة لقوله «عليه السلام»: إن الله منَّ على المؤمنين بالنجاة من الغرق بسببهم نقول:

يبدو: أن هذا إشارة إلى الطوفان الذي كان في عهد نوح، حيث لم ينج منه إلا من صعد إلى السفينة، فسارت بهم في موج كالجبال، وأنقذهم الله بها.

ويبدو: أن نوحاً «عليه السلام» قد حفر على السفينة أسماء الخمسة أهل الكساء «عليهم السلام»، كما أكدته الإكتشافات الحديثة لبعض أخشاب تلك السفينة، فوجدوا عليها هذه الأسماء المباركة.

هم المنقذون عند الشدائد الستة:

وقد ذكر «عليه السلام» في رسالته: أن أهل البيت «عليهم السلام»، هم الذين ينقذون شيعتهم في مواطن الأهوال الكبرى، حيث الخطر الأقصى. وقد ذكر «عليه السلام» ستة مواطن، هي التالية:

---

(1) بحار الأنوار ج27 ص262 وراجع ج42 ص197 ومستدرك سفينة البحار ج7 ص168 ومسند الإمام الرضا للعطاردي ج2 ص19.

(2) مستدرك سفينة البحار ج7 ص169 وعن إحقاق الحق (الملحقات) ج7 ص230 و 253 وفضائل الخمسة من الصحاح الستة ج2 ص221.

1 ـ إن المؤمنين يتعرضون في الحياة الدنيا إلى أخطار كثيرة، وصعوبات جمة، وتذهب قلوبهم، وآمالهم واستغاثاتهم نحو أئمتهم الطاهرين «صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين»، فيلبون النداء، ويهونون عليهم الصعاب، ويحلون لهم المشكلات، ويدفعون عنهم المصائب والكوارث..

2 ـ إن شيعتهم حين الموت، وحضور منكر ونكير لسؤال الميت عن اعتقاداته، يجدون أهل البيت في موقع المنقذ لهم.

3 ـ وكذلك يكونون معهم في يوم المحشر.

4 ـ عند الصراط، حيث يواجه شيعتهم خطر السقوط في النار.

5 ـ وهم معهم عندما توزن الأعمال.

6 ـ وهم معهم أيضاً حين يردون الجنان.

شهداء أهل البيت وشيعتهم:

وقد ذكر «عليه السلام» في رسالته تلك: ان شهداء أهل البيت أفضل من شهداء غيرهم بعشر درجات، ولشهيد شيعتهم فضل على شهيد غير شيعتهم بسبع درجات.

ويبدو لنا: أن المقصود بالشهداء من غير الأئمة هو من استشهد من الأنبياء والأوصياء في الأمم السالفة، مثل يحيى بن زكريا، الذين كان بنو إسرائيل يقتلونهم، من الأنبياء والأوصياء.

والمقصود بالشهداء من غير شيعتهم: هم شهداء تلك الأمم أيضاً، مثل آسية بنت مزاحم «رحمها الله تعالى» التي قتلها فرعون، بالإضافة إلى سائر

من قتلوا من المؤمنين في تلك الأمم على أيدي الكافرين والجاحدين.

النجباء أفراط الأنبياء:

وعن قوله «عليه السلام»: «نحن النجباء، ونحن أفراط الأنبياء».

نقول:

النجيب: هو الكريم الحسيب.

والفرط: هو ما يقدِّمه الإنسان أمامه من عمل، أو غيره..

والظاهر أن المراد هنا: أن الأنبياء يقدمون أهل البيت «عليهم السلام» بين يدي حاجاتهم، ويتوسلون بهم إلى الله، أو يقدمونهم تكريماً، وتعظيماً، واعتزازاً بهم، وإعزازاً لهم، رجاء المثوبة، ورفع المنزلة عند الله بفضلهم، وبما لهم من مقام عنده تعالى، أو أنهم الذين يتقدمونهم إلى الجنة، أو إلى المحشر، أو نحو ذلك..

خطاب الإمامة:

قال: حدثنا أبو القاسم إسماعيل بن محمد الأنباري الكاتب، قال: حدثنا أبو عبد الله إبراهيم بن محمد الأزدي، قال: حدثنا شعيب بن أيوب، قال: حدثنا معاوية بن هشام، عن سفيان، عن هشام بن حسان قال:

سمعت أبا محمد الحسن بن علي «عليهما السلام» يخطب الناس بعد البيعة له بالأمر، فقال:

«نحن حزب الله الغالبون، وعترة رسوله الأقربون، وأهل بيته الطيبون الطاهرون، وأحد الثقلين اللذين خلفهما رسول الله «صلى الله عليه وآله» في

أمته، والتالي كتاب الله فيه تفصيل كل شيء، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فالمعول علينا في تفسيره لا نتظنى تأويله بل نتيقن حقائقه، فأطيعونا، فإن طاعتنا مفروضة، إذ كانت بطاعة الله عز وجل ورسوله مقرونة، قال الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ﴾[1].

﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾[2].

وأحذِّركم الإصغاء لهتاف الشيطان بكم، فإنه لكم عدو مبين، فتكونوا كأوليائه الذين قال لهم: ﴿لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ﴾[3].

فتلقون إلى الرماح وزراً، وإلى السيوف جزراً، وللعمد حطماً، وللسهام غرضاً، ثم ﴿لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾[4]»[5].

---

(1) الآية 59 من سورة النساء.

(2) الآية 83 من سورة النساء.

(3) الآية 49 من سورة الأنفال.

(4) الآية 158 من سورة الأنعام.

(5) بحار الأنوار ج43 ص359 و 360 و الأمالي للمفيد ص348 والأمالي للطوسي ج1 ص121 و 691 والعوالم ج16 ص138 والبرهان (تفسير) ج2 ص109 وبشارة المصطفى ص170 و 398 والدر النظيم ص510 والعدد القوية ص34

ونقول:

الأئمة نور واحد:

إن هذه الخطبة هي من جلائل خطبهم «عليهم السلام»، ويجدر بنا: أن نسميها بخطبة الإمامة، لأنها قد ركزت على إثباتها لهم، وفيهم بأوجز عبارة، وأبلغ خطاب.

وقد نسبت هذه الخطبة الجليلة والجميلة للإمام الحسن «عليه السلام»، وأنه خطبها بعد البيعة له، ليكون الناس على بصيرة من أمرهم، ولكي لا يتيهوا في المتاهات التي يصنعها معاوية، فيما يكيده لهم، ليتمكن من التسلط عليهم، وتسويق باطله على حساب الحق والدين، وعلى حساب مستقبل الناس ومصيرهم.

ولا نجد أي غضاضة في احتمال أن يكون الحسين «عليه السلام» أيضاً قد خطب بنفس خطبة أخيه، إذا كانت الحاجة والظرف متوافقاً مع ما كان مطلوباً حين البيعة للإمام الحسن، بمعنى: أن معاوية كان بصدد إثارة الشبهة حول حق الإمام الحسن «عليه السلام» في الخلافة، ويمهد لانتزاعها منه..

ثم كان بصدد التشكيك في أهلية الإمام الحسين «عليه السلام» لها، وهو الذي كان قد سجَّل على نفسه أن يكون الأمر له، إن حدث بالحسن حدث، وذلك بإظهار عيِّه وعجزه عن مواجهة رهبة المنبر، حين يشعر بالرقابة الشديدة من طائفة من الناس باحثة عن أي عثرة وسقطة له، وتردد يظهر منه.

ولعل شعور معاوية وحزبه: بأن الحسن والحسين «عليهما السلام» لا

وغاية المرام ج2 ص337 و 365 وج3 ص115.

يمارسان أنشطة عامة، إلا في حالات قليلة جداً، جعلهم يظنون فيهما الكلل والضعف، وكان معاوية يريد أن يزيح الإمامين الحسن والحسين «عليهما السلام» من طريقه، ليتمكن من إعلان ولده يزيد لخلافته بعد موته.

والأئمة رأي واحد، ونور واحد.. وكما كان علي «عليه السلام» نفس رسول الله «صلى الله عليه وآله» وله مقاماته، إلا مقام النبوة الخاتمة، فإن الحسين نفس الحسن «عليهما السلام» إلا في سبق تولي الإمام الحسن لمقام الإمامة على أخيه الحسين بصورة فعلية.

ويشهد لذلك: قولهم «عليهم السلام»: أولنا محمد، وأوسطنا محمد، وآخرنا محمد، وكلنا محمد[1].

حزب الله الغالبون:

ويلاحظ: أن أول كلمة أطلقها الإمام الحسن «عليه السلام» في خطبته المشار إليها: هي انتسابهم «عليهم السلام» إلى الله، فهم حزب الله وفق التوصيف القرآني لهم، ليكون الآخرون الذين يناوئونهم هم حزب الشيطان..

ولتكون وسائل نضال كل فريق منطلقة من منشأ انتسابه، الذي يحدد الهدف والوسيلة، ثم الجهة التي سوف يصب بها نتائج جهده ذاك.

فحزب الله تكون وسائله إلهية رشيدة وحميدة، تنشد الخير والسعادة والفلاح

---

(1) الإختصاص للمفيد ص313 وخاتمة المستدرك ج1 ص126 والغيبة للنعماني ص87 والمحتضر ص277 وبحار الأنوار ج25 ص363 وج26 ص6 و 16 وج36 ص399 ومشارق أنوار اليقين ص255.

لجميع بني الإنسان، ويكون منطقهم الصواب، ونهجهم الصدق، ووسيلتهم الحجة والدليل، ورائدهم العقل والحكمة، والهدى الإلهي.. وثمرات جهدهم هي الرضا، والبذل والعطاء، والفوز برضوان الله والسعادة في الدنيا والآخرة.

ومعنى هذا: أنهم يصلون إلى مبتغاهم، ويحققون أهدافهم برغم كل ما ينالهم من تعب وجهد، ويصيبهم من بلاء وعناء، فهم الغالبون، وهم أيضاً المفلحون.

أما حزب الشيطان، فإن مسارهم ووسائلهم، وطريقتهم، ونهجهم، محض شيطانية.. سماتها: المكر، والخداع، والفجور، والفساد، والإفساد.. ونتائجها: الوبال، والبوار، وخراب الديار، والهلاك، والدمار، وغضب الجبار، والعذاب بالنار، والخيبة والخسران، والشقاء والبلاء، والخزي الدائم في دار البقاء..

ولذا قال «عليه السلام»: «نحن حزب الله الغالبون»[1].

---

(1) الأمالي للمفيد ص348 والأمالي للطوسي ص121 و 691 وبحار الأنوار ج43 ص329 وبشارة المصطفى ص170 و 398 والبرهان (تفسير) ج2 ص109 والدر النظيم ص510 والعدد القوية ص34 وينابيع المودة ج1 ص74 وصلح الحسن ص59 وغاية المرام ج2 ص337 و 365 وج3 ص115 وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج11 ص206 وج19 ص346.

وروي ذلك عن الإمام الحسين في: الإحتجاج للطبرسي ج2 ص22 والعوالم ج17 ص83 و 84 ووسائل الشيعة (آل البيت) ج27 ص195 و (الإسلامية) ج18 ص144 ومناقب آل أبي طالب ج4 ص67 و (ط المكتبة الحيدرية) ج3 ص223 وبحار الأنوار ج44 ص205.

العترة الأقربون:

1 ـ وهم «عليهم السلام»: «عترة رسوله الأقربون»، فليس لأحد أن يتقدم عليهم بحجة أنه من قريش، وهي عشيرة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وقد قال مغتصبو الخلافة يوم السقيفة: «نحن أولياؤه وعشيرته».

وواضح: أن الأقربين ليسوا سواء في الحقوق والواجبات، فإن ابن العشيرة الأبعد ليس له ما للأقرب، كالولد تجاه الوالد، وابن الأخ ليس له ما للأخ، كما أن ما يجب على الولد والأخ لا يجب على من هو أبعد منهما نسباً..

وقدعلمنا: أن الأقرب يمنع الأبعد من الأرث.

ولذلك قال «عليه السلام»: «الأقربون»، إذ لم يكن أحد أقرب إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» منهم «عليهم السلام»، بل إن ابن العم من الأبوين يمنع العم من الأب فقط من الأرث أيضاً، وهذا هو حال علي «عليه السلام»، والعباس عم النبي «صلى الله عليه وآله».

أهل بيته الطيبون الطاهرون:

ثم قال «عليه السلام»: «وأهل بيته الطيبون الطاهرون»، ليدل:

أولاً: على طيب عنصرهم، وصفاء نفوسهم، وطهر ضمائرهم، وخلوص معدنهم، وسلامة منشأهم، فهم التمام والكمال، والخلوص والصفاء، والإخلاص بعينه، كما قال تعالى: ﴿**وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ**

إِلَّا نَكِدًا﴾[1].

ثانياً: إنهم مطهَّرون من كل سوء، أو نقص يعرض لهم بسبب حركة، أو فعل، أو قول، أو خواطر عارضة، وغير ذلك مما يحدث نقصاً، أو عيباً، أو اختلالاً في درجة الطهر والصفاء، والنقاء.. فإن ذلك لا يكون منهم في أي حال، وهذا ما أخبر الله تعالى عنه فيهم في آية التطهير، فقال: **﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾**[2].

أحد الثقلين:

ثم قال «عليه السلام»: «وأحد الثقلين، اللذين جعلنا رسول الله «صلى الله عليه وآله» ثاني كتاب الله تعالى، الذي فيه تفصيل كل شيء الخ..».

وبذلك يكون «عليه السلام» قد أعلن للأمة كلها: أن عليها أن ترجع في أمورها وفكرها، ومفاهيمها، واعتقاداتها، وأحكامها، وفي جميع حقائق الدين إلى الأئمة الطاهرين.

وعليها أن تكون معهم كما تكون مع القرآن، وأن تتمسك بهم كما تتمسك بكتاب الله.. وأن يأتمروا بأوامرهم، وينتهوا بنواهيهم.

بل الناس يحتاجون إليهم حتى في تفسير القرآن وفهمه، مما يعني: أن إبعادهم أو استبعادهم، سيكون تخلياً عن القرآن، ونبذاً له من قبل الناس وراء

---

(1) الآية 59 من سورة الأعراف.

(2) الآية 33 من سورة الأحزاب.

ظهورهم، وهذا هو البلاء العظيم، والخسران والبوار.

تيقن حقائق القرآن:

وقد قال «عليه السلام»: «فالمعوَّل علينا في تفسيره، لا نتظنى تأويله، بل نتيقن حقائقه».

والتظني: إعمال الظن، وأصله التظنين بُدلت إحدى النونين ياء.

ومعلوم: أن الظن قد يصيب وقد يخطئ، فإذا وجد من يتيقن حقائق القرآن، لم يجز العدول عنه إلى من يظن بها، وقد نعى الله على من يكتفي بالظن لقولهم: ﴿**مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ**﴾(1).

فقد رأوا: أنهم غير ملزمين بالظن، لأنهم رأوه مساوقاً لعدم العلم، كما دل عليه قولهم: ﴿**مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا..**﴾.

وواضح: أن من يتقين حقائق القرآن يكون متيقناً ما تؤول وتنتهي إليه الأمور. فإذا أخبر عنها، فإنه يخبر عن علم وواقع حاصل بلا ريب، لا عن ظن.

ومن يتيقن حقائق القرآن، ويعلم تأويله تجب طاعته، لأن كلامه، وأمره وزجره، وإخباره عن الحقائق، ومآل الأمور متوافق مع أوامر الله ورسوله، وكاشف عنها، فتكون مخالفته مخالفة لله ولرسول الله، ولذلك فرَّع الطاعة على هذا اليقين بالفاء، فقال: «فأطيعونا، فإن طاعتنا مفروضة، إذ كانت بطاعة الله عز وجل ورسوله مقرونة».

---

(1) الآية 32 من سورة الجاثية.

توضيحات:

الوزر ـ بالتحريك ـ: الملجأ والمعقل، أي أنكم إن عصيتم، فإنكم سوف تلقون للرماح وزراً. أي تكونون ملجأ تلجأ إليه الرماح، ومعقلاً تلوذ به وتخفي نفسها فيه.

جزراً: في قوله: وإلى السيوف جُزُراً بضم الجيم والزاي. يراد بالجزر: اللحم الذي تأكله السيوف، كما تأكل السباع اللحوم.

الحطم: الكسر. أو هي الكسر لليابسة.

والعمد ـ بضمتين ـ: جمع العمود.

يعزونه فيجيبهم:

روى الطوسي بسنده عن الإمام الصادق «عليه السلام» قال:

كتب إلى الحسن بن علي «عليهما السلام» قوم من أصحابه يعزونه عن ابنة له، فكتب إليهم:

«أما بعد، فقد بلغني كتابكم تعزوني بفلانة، فعند الله احتسبها، تسليماً لقضائه، وصبراً على بلائه..

فإن أوجعتنا المصائب، وفجعتنا النوائب بالأحبة المألوفة، التي كانت بنا حفية.. والإخوان المحبون الذين كان يسر بهم الناظرون، وتقر بهم العيون، أضحوا قد اخترمتهم الأيام، ونزل بهم الحمام، فخلفوا الخلوف، وأودت بهم الحتوف.

فهم صرعى في عساكر الموتى، متجاورون في غير محلة التجاور، ولا

صلات بينهم، ولا تزاور، ولا يتلاقون عن قرب جوارهم.

أجسامهم نائية من أهلها، خالية من أربابها، قد أجشعها [أخشعها] إخوانها، فلم أر مثل دارها داراً، ولا مثل قرارها قراراً، في بيوت موحشة، وحلول مخضعة، قد صارت في تلك الديار الموحشة، وخرجت عن الدار المؤنسة، ففارقتها من غير قلى، فاستودعتها البلاء، وكانت أمة مملوكة، سلكت سبيلاً مسلوكة، صار إليها الأولون، وسيصير إليها الآخرون، والسلام»[1].

أخشعها: أي أخضعها الآخرون لإراداتهم.

ونقول:

كان يمكن للإمام «عليه السلام» أن يجيب على كتاب التعزية بشكر مرسليه، وتمنياته لهم بطول العمر، وبالتوفيق والنجاح، وما إلى ذلك من مجاملات.

لكن يلاحظ: أن هذا الكتاب قد تضمَّن حقائق جليلة، ودقائق جميلة.. أراد منها «عليه السلام» أن تكون درساً نافعاً، وبرهاناً ساطعاً على أنه كان ولا يزال، وسوف يبقى مشعل نور وهداية، ورجل عمل وتدبير ورعاية، فهو طبيب دوار بطبه قد أحكم مراهمه، وأحمى مياسمه، يرصد الداء، ويلاحقه باللقاح الشافي، والعلاج الكافي والوافي.

ونستميح القارئ الكريم العذر إذا اكتفينا بما يلي:

---

(1) الأمالي للطوسي ص202 وبحار الأنوار ج43 ص336 وج79 ص109 وموسوعة أحاديث أهل البيت للنجفي ج4 ص193 ومستدرك الوسائل ج2 ص479.

ألف: إنه «عليه السلام» أشار إلى التسليم لقضاء الله، لأن هذا التسليم يبدِّل القضاء الجاري بموت الأحبة من حالة فقدٍ وانكفاء إلى حالة انتعاش ورجاء، وسمو وارتقاء، لأن قضاء الله إذا أجراه الله على عباده لم يكن لهم إلى رده سبيل، بل يتحتم عليهم الخضوع والإستسلام له..

ب: إنه حين يجري قضاء الله على عباده، فإنهم يكونون أمام خيارين، ليس لأي منهم أي أثر في رد نفس القضاء، ولكنهما يتحكمان في طبيعة آثاره:

الخيار الأول: الجزع، والاستعظام للخطب النازل، الذي قد يصل إلى حدّ رفضه، وعدم القبول بصدوره من الباري تعالى، واعتبار المستهدف بالقضاء نفسه مظلوماً، ومعتدى عليه من قبل الذات الإلهية، والعياذ بالله.

ونتيجة هذا هي: الخسران، والبوار، والخروج عن زي العبودية، والتعدي، والجرأة على مقام الألوهية، وهذا يجرُّ إلى المهالك، ويثمر له سخطاً إلهياً، وهلاكاً أخروياً، وخذلاناً، وسوء توفيق دنيوياً، وإبعاداً له عن ساحات رحمة الله، وأن يحرمه الله تعالى من عوائد كرمه..

الخيار الثاني: الصبر على البلاء، وتحمل المعاناة، واحتساب أجر ذلك عند الله، وإذا تجاوز الأمر ذلك، وبلغ الأمر حدَّ الرضا بقضائه تعالى، فإن الجائزة ستكون أفضل والعطية أجزل.. ويكون أسوته وقدوته وما يضعه نصب عينيه هو قول الإمام الحسين «عليه السلام»: رضا الله رضانا أهل البيت(1).

(1) راجع: بحار الأنوار ج44 ص367 والملهوف لابن طاووس ص38 وكشف الغمة ج2 ص239 ومعارج الوصول ص94 ومثير الأحزان ص29 ولواعج الأشجان ص239 و 70 ونزهة الناظر وتنبيه الخاطر ص86 والمجالس الفاخرة للسيد

وقول الإمام زين العابدين «عليه السلام»: فخذ لنفسك الرضا من نفسي حتى ترضى[1].

ويكون في زمرة الذين قال الله تعالى عنهم: ﴿رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾[2].

وبذلك ندرك بعض ما ألمح «عليه السلام» إليه بقوله: «فعند الله أحتسبها، تسليماً لقضائه، وصبراً على بلائه».

ج: إنه «عليه السلام» رسم صورة رائعة قارن فيها بين مشاعر الإنسان حين يكون في الحياة الإجتماعية في الدنيا، حيث يشعر أنه بين محبيه، وإخوانه، ومن عاش معهم، وألفهم، وتلمَّس لطفهم وبرهم، وحفاوتهم به، ومن كان يسرُّ بالكون معهم، ويتلذذ بالنظر إليهم، وتقرُّبهم عينه، وتطمئن نفسه..

وبين حال الإنسان بعد نزول الموت به، فترك أحبته خلفه، وواجه الحتوف وحده.. وصار صريعاً كجندي في عسكر من الأموات، ولكنهم إنما يتجاورون في القبور، وهذه المجاورة ليست هي التي يريدها أحد منهم، لأنه جوار لا يحقق قرباً، ولا يوجب صلة، ولا يسمح بتزاور بين الأحباب، ولا يكون فيه تلاق، ولو كان عفوياً بين الأصحاب، وغير الأصحاب.

شرف الدين ص207 ومقتل الحسين للخوارزمي ج1 ص186 والعوالم، الإمام الحسين ص217.

(1) الصحيفة السجادية (أبطحي) ص 166 ومن لا يحضره الفقيه ج1 ص491 ومستدرك الوسائل ج4 ص409 و 417 والوافي ج8 ص762 وبحار الأنوار ج84 ص276 وتفسير أبي حمزة الثمالي ص86.

(2) الآية 8 من سورة البينة.

د: ثم ذكر: أن روح الإنسان هي التي تعطيه القيمة والحيوية، والنشاط، فإذا خلا الجسد من الروح، فإنه يصير بمثابة بيت هجره أهله.. وتصبح تلك الأجسام بلا إرادة، ولا اختيار، وليس لها أثر في دفع أو رفع، وإنما يتحكم بها إخوانها من سائر الناس، فهم الذين يتصرفون بها كيف شاؤا ولذا قال: اخشعها إخوانها. أي أخضعوها.

كما أن الدار التي تسكنها تلك الأجسام (وهي القبور) لم ير أحد مثلها داراً في صفاتها وسماتها، وحالاتها، وظلمتها ووحشتها..

بلى هي محال تخضع أهلها لتحولاتها وحالاتها الخ..

الباب الثاني

الإمام بينِ عدوين.. أحدهما

الفصل الأول

مراسلات قبل التحرك إلى

كتابه لمعاوية بعد البيعة:

قال الأربلي: ومن كلامه «عليه السلام» كتاب كتبه إلى معاوية بعد وفاة أمير المؤمنين «عليه السلام»، وقد بايعه الناس:

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبدالله الحسن أمير المؤمنين إلى معاوية بن صخر:

أما بعد؛ فإن الله بعث محمداً رحمة للعالمين، فأظهر به الحق، ورفع به الباطل، وأذل به أهل الشرك، وأعزَّ به العرب عامَّة، وشرَّف به من شاء منهم خاصة، فقال تعالى: ﴿**وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ**﴾ [1]، فلما قبضه الله تعالى تنازعت العرب الأمر بعده، قالت الأنصار: منا أمير ومنكم أمير؛ وقالت قريش: نحن أولياؤة وعشيرته، فلا تنازعوا سلطانه، فعرفت العرب ذلك لقريش، ونحن الآن أولياؤه وذووا القربى منه. وجاحدتنا قريش ما عرفت لها العرب، فهيهات! ما أنصفتنا قريش، وقد كانوا ذوي فضيلة في الدين، وسابقة في الإسلام.. ولا غرو[2] أن منازعتك إيَّانا بغير حق في الدين معروفٌ،

---

(1) الآية 44 من سورة الزخرف.

(2) لا غرو: أي لا عجب.

ولا أثر في الإسلام محمودٌ، والموعد الله تعالى بيننا وبينك، ونحن نسأله تبارك وتعالى أن لا يؤتينا في هذه الدنيا شيئاً ينقصنا به في الآخرة.

وبعد؛ فإن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب لمَّا نزل به الموت ولَّاني هذا الأمر من بعده، فاتق الله يا معاوية؛ وانظر لأمة محمد «صلى الله عليه وآله» ما تحقن به دماءهم، وتصلح به أمورهم، والسلام(1).

وبعث بالكتاب مع الحارث بن سويد التيمي، تيم الرباب، وجندب الأزدي، فقدما على معاوية، فدعواه إلى بيعة الحسن «عليه السلام»، فلم يجبهما(2).

وكتب معاوية جوابه برواية المناقب:

فهمت ما ذكرت به محمداً «صلى الله عليه وآله»، وهو أحق الأولين والآخرين بالفضل كله، وذكرت تنازع المسلمين الأمر من بعده، فصرحت بنميمة فلان وفلان، وأبي عبيدة وغيرهم، فكرهت ذلك لك، لأن الأمة قد علمت أن قريشاً أحق بها، وقد علمت ما جرى من أمر الحاكمين، فكيف تدعوني إلى أمر، إنما تطلبة بحق أبيك وقد خرج أبوك منه؟!(3).

نص آخر على رواية ابن أعثم:

---

(1) كشف الغمة ج2 ص196 وبحار الأنوار ج46 ص54 ومناقب آل أبي طالب ج1 ص31 وأعيان الشيعة ج1 ص597 ومعادن الحكمة ج٢ ص3 وجمهرة رسائل العرب ج2 ص12 ومقاتل الطالبيين ص65 والفتوح لابن أعثم ج1 ص28 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج12 ص24 كلها نحوه.

(2) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج1 ص25.

(3) مناقب آل أبي طالب ج4 ص31.

أما بعد؛ قد فهمت كتابك وما ذكرت به محمداً «صلى الله عليه وآله»، وهو خير الأولين والآخرين، فالفضل له فيه «صلى الله عليه وآله».

وذكرت تنازع المسلمين الأمر من بعده، فصرَّحت منهم بأبي بكر الصديق، وعمر الفاروق، وأبي عبيدة الأمين، وطلحة والزبير، وصلحاء المهاجرين.

وكرهت ذلك لك أبا محمد، وذلك أن الأمة لما تنازعت الأمر من بعد نبيها محمد «صلى الله عليه وآله» علمت أن قريشاً أحقها بهذا الشأن؛ لمكان نبيها منها، ثم رأت قريش، والأنصار، وذوو الفضل والدين من المسلمين: أن يولوا هذا الأمر أعلمها بالله، وأخشاها له، وأقدمها إسلاماً، فاختاروا أبا بكر الصديق.

ولو علموا مكان رجل هو أفضل من أبي بكر يقوم مقامه ويذب عن حوزة الإسلام كذبِّه لما عدلوا ذلك عنه.

فالحال بيني وبينك على ما كانوا عليه، ولو علمت أنك أضبط لأمر الرعية، وأحوط على هذه الأمة، وأحسن سياسة، وأكيد للعدو، وأقوى على جميع الأمور، لسلمت لك هذا الأمر بعد أبيك، لأني قد علمت بأنك إنما تدَّعي ما تدَّعيه نحو أبيك.

وقد علمت أن أباك سار إلينا فحاربنا، ثم صار من أمره إلى أن اختار رجلاً، واخترنا رجلاً، ليحكما بما يصلح عليه أمر الأمة، وتعود به الألفة والجماعة، وأخذنا على الحكمين بذلك عهد الله وميثاقه، وأخذا منا مثل ذلك على الرضا بما حكما، ثم إنهما اتفقا على خلع أبيك، فخلعاه.

فكيف تدعوني إلى أمر إنما تطلبه بحق أبيك، وقد خرج أبوك منه؟!

فانظر لنفسك أبا محمد ولدينك، والسلام[1].

نص آخر على رواية ابن أبي الحديد:

أما بعد، فقد فهمت ما ذكرت به رسول الله، وهو أحق الأولين والآخرين بالفضل كله.

وذكرت تنازع المسلمين الأمر بعده، فصرحت بتهمة أبي بكر الصديق، وعمر، وأبى عبيدة الأمين، وصلحاء المهاجرين، فكرهت لك ذلك.

إن الأمة لما تنازعت الأمر بينها رأت قريشاً أخلقها[2] به، فرأت قريش والأنصار، وذوو الفضل والدين من المسلمين: أن يولُّوا من قريش أعلمها بالله، وأخشاها له، وأقواها على الأمر، فاختاروا أبا بكر، ولم يألوا، ولو علموا مكان رجل غير أبي بكر يقوم مقامه ويذب عن حرم الإسلام ذبَّه ما عدلوا بالأمر إلى أبي بكر.

والحال اليوم بيني وبينك على ما كانوا عليه، فلو علمت أنك أضبط لأمر الرعية، وأحوط على هذه الأمة، وأحسن سياسة، وأكيد للعدو، وأقوى على جمع الفيء، لسلمت لك الأمر بعد أبيك.. فإن أباك سعى على عثمان حتى قتل مظلوماً، فطالب الله بدمه، ومن يطلبه الله فلن يفوته..

ثم ابتز الأمة أمرها، وفرق جماعتها، فخالفه نظراؤه من أهل السابقة والجهاد والقدم في الإسلام، وادَّعى أنهم نكثوا بيعته، فقاتلهم فسفكت الدماء،

---

(1) الفتوح لابن أعثم ج4 ص285.

(2) أحقها.

واستحلت الحرم.

ثم أقبل إلينا لا يدَّعي علينا بيعة، ولكنه يريد أن يملكنا اغتراراً، فحاربناه وحاربنا، ثم صارت الحرب إلى أن اختار رجلاً واخترنا رجلاً، ليحكما بما تصلح عليه الأمة، وتعود به الجماعة والألفة، وأخذنا بذلك عليهما ميثاقاً، وعليه مثله وعلينا مثله، على الرضا بما حكما، فأمضى الحكمان عليه الحكم بما علمت، وخلعاه.

فوالله ما رضي بالحكم، ولا صبر لأمر الله، فكيف تدعوني إلى أمر إنما تطلبه بحق أبيك، وقد خرج منه! فانظر لنفسك ولدينك. والسلام[1].

نص آخر على رواية أبي الفرج الإصفهاني:

كتب الحسن «عليه السلام» إلى معاوية مع جندب[2] بن عبد الله الأزدي:

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله الحسن أمير المؤمنين إلى معاوية بن أبي سفيان..

سلام عليك، فإني أحمد الله الذي لا إله إلا هو..

أما بعد.. فإن الله تعالى عز وجل بعث محمداً «صلى الله عليه وآله» رحمة للعالمين، ومنَّة على المؤمنين وكافة إلى الناس أجمعين ﴿**لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ**﴾[1]، فبلغ رسالات الله، وقام على أمر الله حتى

---

(1) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج16 ص25.

(2) شرح نهج البلاغة للمعتزلي «حرب» بدل «جندب».

(1) الآية 70 من سورة يس.

توفاه الله غير مقصر ولا وانٍ، حتى أظهر الله به الحق، ومحق به الشرك، ونصر به المؤمنين، وأعز به العرب، وشرَّف به قريشاً خاصة، فقال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ﴾[1].

فلما توفي «صلى الله عليه وآله» تنازعت سلطانه العرب، فقالت قريش: نحن قبيلته وأسرته وأولياؤه، ولا يحل لكم أن تنازعونا سلطان محمد في الناس وحقه، فرأت العرب أن القول كما قالت قريش، وأن الحجة لهم في ذلك على من نازعهم أمر محمد «صلى الله عليه وآله»، فأنعمت لهم العرب، وسلمت ذلك.

ثم حاججنا نحن قريشاً بمثل ما حاجّت به العرب، فلم تنصفنا قريش إنصاف العرب لها، إنهم أخذوا هذا الأمر دون العرب بالإنتصاف والإحتجاج، فلما صرنا أهل بيت محمد وأولياءه إلى محاجّتهم وطلب النصف[2] منهم، باعدونا، واستولوا بالإجتماع على ظلمنا ومراغمتنا[3]، والعنت[4] منهم لنا، فالموعد الله وهو الولي النصير.

وقد تعجبنا لتوثب المتوثبين علينا في حقنا، وسلطان نبينا «صلى الله عليه وآله» وإن كانوا ذوي فضيلة وسابقة في الإسلام، فأمسكنا عن منازعتهم مخافة على الدين أن يجد المنافقون والأحزاب بذلك مغمزاً[1] يثلمونه به، أو يكون

---

(1) الآية 44 من سورة الزخرف.

(2) النصف: الإنصاف.

(3) راغمهم: نابذهم وعاداهم.

(4) العنت: المشقة.

(1) وليس في فلانٍ مغمز: أي ما فيه ما يغمز فيعاب به، ولا مطعن، والمغامز: المعايب

لهم بذلك سبب لما أرادوا به من فساده.

فاليوم فليعجب المتعجب من توثبك يا معاوية على أمر لست من أهله، لا بفضل في الدين معروف، ولا أثر في الإسلام محمود، وأنت ابن حزب من الأحزاب، وابن أعدى قريشٍ لرسول الله «صلى الله عليه وآله»، ولكن الله خيبك، وسترد فتعلم لمن عقبى الدار، تالله لتلقين عن قليل ربك، ثم ليجزينك بما قدمت يداك، وما الله بظلام للعبيد.

إن علياً ـ رضوان الله عليه ـ لما مضى لسبيله ـ رحمة الله عليه ـ يوم قبض، ويوم من الله عليه بالإسلام، ويوم يبعث حياً[1].. ولاني المسلمون الأمر بعده، فأسأل الله ان لا يزيدنا في الدنيا الزائلة شيئاً ينقصنا به في الآخرة مما عنده من كرامته.

وإنما حملني على الكتاب إليك الإعذار فيما بيني وبين الله سبحانه وتعالى في أمرك، ولك في ذلك إن فعلت الحظ الجسيم، وللمسلمين فيه صلاح، فدع التمادي في الباطل، وادخل فيما دخل فيه الناس من بيعتي، فإنك تعلم أنّي أحق بهذا الأمر منك عند الله، وعند كل أواب حفيظٍ، ومن له قلب منيب.

واتق الله، ودع البغي، واحقن دماء المسلمين.. فوالله مالك من خيرٍ في أن تلقى الله من دمائهم بأكثر مما أنت لاقيه به، فادخل في السلم والطاعة، ولا تنازع الأمر أهله، ومن هو أحق به منك ليطفئ الله النائرة[1] بذلك،

(لسان العرب ج15 ص390).

(1) كذا في المصدر.

(1) النائرة: العداوة والشحناء.

وتجمع الكلمة، وتصلح ذات البين.

وإن أنت أبيت إلا التمادي في غيك نهدت[1] إليك بالمسلمين، فحاكمتك حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين.

فكتب إليه معاوية :

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله أمير المؤمنين إلى الحسن بن علي..

سلام عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو..

أما بعد، فقد بلغني كتابك، وفهمت ما ذكرت به رسول الله «صلى الله عليه وآله» من الفضل، وهو أحق الأولين والآخرين بالفضل كله، قديمه وحديثه، وصغيره وكبيره، فقد والله بلغ فأدى، ونصح وهدى، حتى أنقذ الله به من التهلكة، وأنار به من العمى، وهدى به من الضلالة، فجزاه الله أفضل ما جزى نبياً عن أمته، وصلوات الله عليه يوم ولد، ويوم قبض، ويوم يبعث حياً.

وذكرت وفاة النبي «صلى الله عليه وآله»، وتنازع المسلمين من بعده، فرأيتك صرحت بتهمة أبي بكر الصديق، وعمر الفاروق، وأبي عبيدة الأمين، وحواري الرسول «صلى الله عليه وآله»، وصلحاء المهاجرين والأنصار، فكرهت ذلك لك، فإنك امرؤ عندنا وعند الناس غير ظنين، ولا المسيء، ولا اللئيم، وأنا أحب لك القول السديد، والذكر الجميل..

إن هذه الأمة لما اختلفت بعد نبيها لم تجهل فضلكم، ولا سابقتكم، ولا

---

(1) في شرح نهج البلاغة: «سرت» بدل «نهدت».

قرابتكم من النبي، ولا مكانتكم في الإسلام وأهله، فرأت الأمة أن تخرج من هذا الأمر لقريش لمكانها من نبيها، ورأى صلحاء الناس من قريش والأنصار وغيرهم من سائر الناس وعامتهم أن يولوا هذا الأمر من قريش أقدمها إسلاماً، وأعلمها بالله، وأحبها له، وأقواها على أمر الله، واختاروا أبا بكر، وكان ذلك رأي ذوي الحجى والدين، والفضيلة، والناظرين للأمة، فأوقع ذلك في صدوركم لهم التهمة، ولم يكونوا بمتهمين، ولا فيما أتوا بمخطئين، ولو رأى المسلمون فيكم من يغني غناءه، أو يقوم مقامه، أو يذب عن حريم المسلمين ذبه ما عدلوا بذلك الأمر إلى غيره رغبة عنه، ولكنهم عملوا[1] في ذلك بما رأوه صلاحاً للإسلام وأهله، فالله يجزيهم عن الإسلام وأهله خيراً.

وقد فهمت الذي دعوتني إليه من الصلح، والحال فيما بيني وبينك اليوم مثل الحال التي كنتم عليها أنتم وأبو بكر بعد النبي «صلى الله عليه وآله»، ولو علمت أنك أضبط مني للرعية، وأحوط على هذه الأمة وأحسن سياسة، وأقوى على جمع الأموال، وأكيد للعدو، لأجبتك إلى ما دعوتني إليه، ورأيتك لذلك أهلاً.

ولكني قد علمت أنِّي أطول منك ولاية، وأقدم منك لهذه الأمة تجربة، وأكثر منك سياسة، وأكبر منك سناً.

فأنت أحق أن تجيبني إلى هذه المنزلة التي سألتني، فادخل في طاعتي، ولك الأمر من بعدي، ولك ما في بيت مال العراق من مال بالغاً ما بلغ،

---

(1) في شرح نهج البلاغة: «علموا» بدل «عملوا».

تحمله إلى حيث أحببت.

ولك خراج أيِّ كور العراق شئت، معونة لك على نفقتك، يجبيها لك أمينك، ويحملها إليك في كل سنة، ولك ألا يستولى عليك بالإساءة، ولا تقضى دونك الأمور، ولا تعصى في أمر أردت به طاعة الله عز وجل.. أعاننا الله وإياك على طاعته، إنه سميع مجيب الدعاء، والسلام[1].

قال العلامة الأحمدي:

أقول: الذي يقوى في النظر: هو تعدد الكتابين لما بين مضمونيهما من الإختلاف.. وكذا بين جوابي معاوية اختلاف شديد، وإن كان بينهما تشابه أيضاً.. هذا وإن نقلهما المعتزلي أحدهما برواية المدائني، والآخر برواية الإصبهاني.. وظاهر كلامه الإتحاد كما فهمه في معنى ذلك، وظاهر كلمات الأعلام عدا المعتزلي التعدد أيضاً.

كما أن الأربلي «رحمه الله» نقل الكتاب الأول، كما أسلفناه عنه، وقال: وكان بينه وبين الحسن مكاتبات، واحتج عليه الحسن «عليه السلام» في استحقاقه الأمر، وتوثب من تقدم على أبي «عليه السلام» وابتزازه[1].. كأنه يشير إلى هذا الكتاب[2].

ونقول:

---

(1) مقاتل الطالبيين ص64 وشرح نهج البلاغة ج16 ص33 نحوه، وبحار الأنوار ج44 ص39.

(1) كشف الغمة ج2 ص165.

(2) مكاتيب الأئمة ج3 ص17 ـ 25.

لقد ألمح «عليه السلام» في هذا الكتاب إلى أمور عديدة نشير إلى بعضها باختصار شديد، وذلك كما يلي:

1 ـ إنه «عليه السلام» ذكر: أن من ثمرات بعثة النبي الأكرم «صلى الله عليه وآله»: أن الله تعالى أظهر به الحق، ودفع به الباطل، وإنما يظهر الحق ليكون معياراً ينتهي إليه، في مقام العمل.. الأمر الذي يعطي: أن على من يدَّعي أنه من أتباعه أن يلتزم بالحق، الذي أصبح ظاهراً لكل أحد، وأن يتحاشى الباطل..

وإذا أصبح الحق الذي جاء به النبي «صلى الله عليه وآله» هو المعيار، والميزان في المواقف والسياسات، وفي التعامل، والسلوك، فإن المشكلات تنحل والعقبات تزول، وتهيمن السكينة والطمأنينة على الناس.

2 ـ ثم ذكر «عليه السلام» أن محمداً «صلى الله عليه وآله» كان عزاً لجميع العرب.. وتشريفاً لفئة خاصة منهم، فإذا كان «صلى الله عليه وآله» عزاً للعرب عامة فيفترض أن يعملوا على حفظ هذا العز لأنفسهم، لأن الأمة العزيزة لا يطمع فيها الطامعون، ولا يجترئ عليها المغامرون، وليس لهم أن يعملوا على تقويض هذا العز بالخصومات والنزاعات لدواعي الأطماع، واستجابة للعصبيات والأهواء، لأن ذلك سيلحق الضرر بتلك الأمة، وربما كان ضرراً فادحاً ومهلكاً.

أما تشريف فئة بعينها، فقد ذكر «عليه السلام» في النص الآخر للرسالة: أنه يقصد قريشاً، فبطريق أولى، وأوضح، وأشد وأصرح ينال هذا التشريف أهل بيت ذلك النبي، بل هو ينال من آمن بدعوته، والتزم بتوجيهاته، واستجاب

لأمره ونهيه، فإن ذلك لا يتناقض مع معنى العزة الشامل للعرب عامة، ولا مع التشريف لقريش، بل هو يقويه ويعضده ويجعله أكثر منعة، وثباتاً.

3 ـ ثم أشار «عليه السلام» إلى ما جرى في السقيفة حين طالب الأنصار بأن يكون من الأنصار أمير، ومن قريش والمهاجرين أمير، فقالت قريش بلسان ـ أبي بكر وعمر وأبي عبيدة: نحن أولياؤه وعشيرته، فلا تنازعوا سلطانه.

وحسب منطق قريش هذا لا يحق لأحد سواء أكان قرشياً أو غيره: أن ينازع أهل بيت النبي «صلى الله عليه وآله» في أمر الخلافة، لا معاوية ولا غيره ممن سبقه، أو لحقه.. ولذا قال «عليه السلام» لمعاوية: «ونحن الآن أولياؤه وذووا القربى منه».

وواضح: أن كلامه هذا جارٍ على قاعدة: «ألزموهم بما ألزموا به أنفسهم».

وإلا، فإن أهل البيت «عليهم السلام» لا يرون أن نفس القرابة لمجرد كونها قرابة تصلح مبرراً للاستيلاء على السلطة بعد موت قريبهم..

بل المعيار في الإمامة عندهم هو النص من الله ورسوله على الإمام، وتعيينه باسمه وشخصه لهذا المقام. ويرون أن هذا النص يكشف عن أن هذا الإمام المنصوص عليه جامع لكل الصفات والمؤهلات لهذا المقام بحدها الأقصى، ومنها العلم الخاص الذي لا يناله أحد إلا من جهة الوحي الآتي به جبرئيل، أو بأي وسيلة أخرى يجعلها الله تعالى للإمام، أو النبي، لإيصال هذه المعارف إليه، ولا يحصل عليها إلا صاحب هذا المقام العظيم.

ومن هذه الصفات التي يكشف النص وجودها في المنصوص عليه: الفضل، والفهم، والعصمة، والتقوى، والحكمة، وكمال العقل، والتدبير، والمعرفة

بجميع اللغات، ومعرفته بالغيوب التي يحتاج إليها في مهماته، وفي مقامه وموقعه، وغير ذلك من صفات الإمام، وأحواله وما حباه الله تعالى به.

وعلى هذا الأساس، فإن اعتبار نفس القرابة بمجردها سبباً في استحقاق الإمامة ليس من الإسلام في شيء، بل هو مفهوم جاهلي بغيض.

كما أن الإمامة ليست بالوراثة، بل هي بالإستحقاق الذي يكشفه النص الإلهي كما تقدم..

وإذا اعتدى الظالمون على الإمام، أو النبي، وسلبوه مقام الخلافة، فإن مقام النبوة والإمامة يبقى غير قابل للإستلاب، لأن سلطان الأنبياء سلطان روحي ديني، وإيماني، ينتقل منهم إلى أوصيائهم، كما هو الحال في يوشع «عليه السلام»، فإنه وصي موسى، كما أن أوصياء عيسى لم يرثوا الوصاية منه من خلال وراثتهم له من حيث هو رحم.. بل انتقلت إليهم مسؤوليات الوصاية له بالجعل الإلهي..

4 ـ وبذلك يعلم: أن منازعة معاوية للإمام الحسن «عليه السلام» في أمر الحكم لا مبرر لها.. من أي جهة كانت، وبأي معيار فرضت، حيث نلاحظ:

ألف: أن القرار الإلهي الذي كشف عنه النبي «صلى الله عليه وآله» يبين: أن النبي قد نص على إمامته، وإمامة أخيه الحسين تارة بقوله «صلى الله عليه وآله» لهما: أنتما الإمامان، ولأمكما الشفاعة.

وأخرى: بقول النبي: الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا.. بالإضافة إلى نصوص أخرى يجدها المتتبع لكلامه «صلى الله عليه وآله» في حقهما.

ب: وبالمعنى المتناغم مع الواقع، فإن الإمام الحسن «عليه السلام» هو

الجامع للصفات والميزات التي تكون للإمام وفق ما بينته النصوص، وجسده الواقع العملي لمعنى الإمامة.

ج: بالمفهوم القرشي المقتبس أو المستند إلى المفهوم الجاهلي الذي يجعل الصلة النسبية المجردة مبرراً لوارثة السلطة، وانتقالها من السابق إلى اللاحق، فإن الإمام الحسن أمس برسول الله رحماً من كل أحد، وهو الأولى به، والأقرب إليه من جميع أفراد الأمة.

د: بالمفهوم العرفي العام، المستند إلى أن الأحق بالأمر هو الأقدر على تحقيق أهداف مورثه، والأعرف بها وبالمناهج التي يريد منه اتِّباعها، وهو الأكثر التزاماً بها، وهو الأبعد أثراً، والأسلم نهجاً وطريقة، والأجدى والأكثر نفعاً وانسجاماً مع أهداف النبي «صلى الله عليه وآله» والقرآن، والإسلام، فإن الإمام الحسن «عليه السلام» هو الجامع لذلك كله، دون معاوية وقريش، وسائر الناس.. وقد قال الإمام الحسن «عليه السلام» لمعاوية في رسالته المتقدمة: «إن منازعتك إيَّانا، بغير حق في الدين معروف، ولا أثر في الاسلام محمود».

وقال «عليه السلام» في رسالته الثانية المتقدمة: «فليعجب المتعجب من توثبك يا معاوية على أمر لست من أهله، لا بفضل في الدين معروف، ولا أثر في الإسلام محمود، وأنت ابن حزب من الأحزاب، وابن أعدى قريشٍ لرسول الله «صلى الله عليه وآله» الخ..».

5 ـ كما أن المطلوب: هو أن يستفاد من السلطة لبناء الحياة على أسس صحيحة، تضمن بها السعادة في الدنيا والآخرة ولذا قال «عليه السلام»: ونحن نسأله تبارك وتعالى: أن لا يؤتينا في هذه الدنيا شيئاً ينقصنا به في الآخرة.

وقد أظهر تاريخ معاوية، وفريقه الملتزم بنهجه أنه لا صلة لهم بهذا الأمر، لا من قريب ولا من بعيد، فإن معاوية قد طلب حطام هذه الدنيا بقيمة العدوان على أهل الإيمان، وسفك دمائهم، وإفساد أمورهم، وتقويض أمنهم، وسلب سعادتهم، والخروج على الإمام المفروضة طاعته عليه وعلى جميع الأمة، ومحاربته، وتسببه بقتل سبعين ألفاً من هذه الأمة، وفيهم الكثير من الأبرار والأخيار، ومنهم عمار، وأمثال عمار.

6 ـ وبالمفهوم الذي جرى عليه أبو بكر بالنسبة لتوليته عمر من بعده، فإن أمير المؤمنين علياً «عليه السلام» قد ولى ولده الإمام الحسن «عليه السلام» من بعده، ليقطع الطريق على أية شبهة يمكن أن تثار.

وإن كان المعيار هو رأي المسلمين، فقد ورد في النص الثاني لرسالة الإمام الحسن «عليه السلام» قوله لمعاوية: «ولاني المسلمون الأمر بعده».

7 ـ فظهر: أن منازعة معاوية للإمام الحسن «عليه السلام» في أمر الخلافة لا مبرر لها من الناحية الدينية.. ولذا قال له الإمام الحسن «عليه السلام» في هذه الرسالة:

«ولا غرو إن منازعتك إيانا، بغير حق في الدين معروف، ولا أثر في الاسلام محمود، والموعد الله تعالى بيننا وبينك».

8 ـ ثم ختم «عليه السلام» رسالته هذه بوضع ضابطة للخيارات، وهدف واضح للسياسات، وحدود تنتهي إليها المواقف والتصرفات، وهو: أن المطلوب هو رعاية مصلحة المسلمين، لا مصلحة الطامحين والطامعين، فقال لمعاوية:

«وانظر لأمة محمد «صلى الله عليه وآله» ما تحقن به دماءهم، وتصلح

به أمورهم».

وهذا يعطي: أن على معاوية أن لا يتوثب على أمر لا حق له فيه، وأن لا يتخذ مواقف، وينتهج سياسات تؤدي إلى سفك دماء الناس، لمجرد شهوته هو وفريقه للسلطة، وحبه للأموال والمناصب، وغير ذلك من حطام الدنيا.

جواب معاوية بنصوصه المختلفة:

ونسجل على أجوبة معاوية المختلفة المتقدمة على نص الرسالة الأول ما يلي:

قريش أحق بها:

ذكر معاوية في جوابه المتقدم بنصوصه المختلفة برواية ابن شهرآشوب، وابن أعثم، وابن أبي الحديد: أن الأمة علمت أن قريشاً أحق بهذا الأمر..

وهو كلام باطل لما يلي:

أولاً: كيف علمت الأمة ذلك؟! وما الدليل على حصول هذا العلم لجميع الأمة؟!

ثانياً: إن كان معاوية يقصد: أن الأمة قد علمت ذلك من خلال بيعة يوم الغدير، برعاية من الله ورسوله.. والتي أخذها النبي «صلى الله عليه وآله» لعلي «عليه السلام»، وكان علي من قريش أيضاً.. ثم علمت ذلك من حديث يكون بعدي اثنا عشر خليفة (أو أميراً، أو إماماً) كلهم من قريش، أولهم علي وآخرهم المهدي، ونحو ذلك مما يجري هذا المجرى، فإن هذه النصوص إنما أثبتت الخلافة والإمامة لأشخاص بأعيانهم، ولا تثبت للقبيلة التي ينتسبون

إليها أي حق بهذا الأمر، يخوِّل القبيلة، أو أيّاً كان من أفرادها غير من صرح النبي بأسمائهم: أن يتصدى لهذا الأمر، ويطالب لنفسه بشيء من ذلك.

كما أن قول النبي «صلى الله عليه وآله»: الأئمة الإثني عشر كلهم من قريش، لا يعني جعل الإمامة لقبيلة قريش، بل أريد بقوله: «كلهم من قريش» تحديدهم، فهو كتحديدهم بأسمائهم، أو باسم بلدهم، أو بلغتهم، أو بغير ذلك من صفاتهم وسماتهم.

وتحديد الشخص بصفة من صفاته، أو ببعض حالاته، ككونه عربياً أو أبيض اللون، أو من بلد كذا لا يجعل الإمامة والخلافة، أو أي منصب آخر حقاً لكل أبيض، ولكل عربي أو لكل أهل ذلك البلد، وما إلى ذلك.. لأن هذه مجرد عناوين مشيرة إلى الموضوع، فهي كقولك: أكرم هذا الجالس، فإن الجلوس لا مدخلية له في الإكرام، بل للإكرام أسبابه الأخرى.

وبذلك يعلم: أنه ليس لقريش حق في هذا الأمر.. بل الحق لأشخاص بأعيانهم. فمعاوية يريد بكلامه هذا التلبيس على الناس، وإيهامهم، بأمر لا واقع له..

ثالثاً: لو سلمنا جدلاً: أن لقريش حقاً في الخلافة، فهل لم يكن الإمام الحسن من قريش في الصميم، وهو صريح فيها؟! فلماذا ينازعه معاوية هذا الأمر، ويقاتله عليه؟! مع أن علياً «عليه السلام» كان قد كتب إلى معاوية: إنه ليس الصريح كاللصيق ولا المهاجر كالطليق، فضلاً عن فقدان معاوية سائر مؤهلات الإمامة والخلافة مثل العلم، والتقوى، والعدالة، وغير ذلك.. فهو خارج عن دائرة احتمال الأهلية لهذا الأمر من وجوه عديدة.

الحسن يطلب الخلافة بحق أبيه:

وزعم معاوية: أن الإمام الحسن «عليه السلام» يطلب الخلافة بحق أبيه، وقد خرج أبوه من هذا الحق، من خلال ما جرى في التحكيم بعد صفين..

ونقول:

أولاً: قول معاوية: إن الحسن إنما يطلب هذا الأمر بحق أبيه غير صحيح، وذلك لما يلي:

1 ـ إنه «عليه السلام» لا يطلب هذا الأمر باعتباره إرثاً له من أبيه، فإن أهل البيت لا يقولون بمقولة قريش هذه.. بل يطلب هذا الأمر بالإستناد إلى جعل هذا المقام له من قبل رسول الله في قوله للحسنين «عليهما السلام»: أنتما الإمامان ولأمكما الشفاعة، وقوله «صلى الله عليه وآله»: الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا.

2 ـ إنه يطلبه، لأن أهل الحل والعقد في الأمة قد بايعوه، وليس لطليق أو لصيق أن يرد بيعة أجمع عليها أهل الحل والعقد.. وقد صرَّح في النص الثاني لرسالته لمعاوية: بأن المسلمين ولوه أمرهم.

3 ـ إنه «عليه السلام» يطلب هذا الأمر بوصية من أبيه «عليه السلام» المنصوب من الله ورسوله.. ولا يصح رد وصيته، لأنه «عليه السلام» لا يعمل إلا بما يرضي الله، كما نصت عليه آية التطهير.. ولأن رسول الله أوصاه «عليه السلام» بالوصية لولده الحسن.

4 ـ إنه يطلب هذا الأمر، لأنه يملك مؤهلاته من العلم والعصمة، والدين، والحكمة، والسياسة والتدبير، وما إلى ذلك.

5 ـ إنه يطلب هذا الأمر لما له من أثر حميد في الإسلام، وما له من رسوخ قدم فيه. والذين ينازعونه هذا الأمر قد حاربوا هذا الدين، وسعوا في طمس أعلامه، وتقويض أركانه، وهدم بنيانه حتى أعياهم ذلك.. فانصرفوا إلى منازعة الأمر أهله.

ثانياً: بالنسبة لما زعمه معاوية، من أن علياً «عليه السلام» خرج من حقه بالخلافة من خلال ما جرى في التحكيم بين أبي موسى الأشعري وعمرو بن العاص نقول:

إن هذا ليس بصحيح، لما يلي:

1 ـ إن الحق هنا هو الحكم، وهو عند الأنبياء والأوصياء، وفي التشريع الإلهي مسؤولية جعلها الله على عاتق من يشاء من عباده، ويكون الله هو الذي يختاره، ورسوله هو من يعلم الأمة باسمه، ويدل على شخصه..

وقد اختار الله علياً «عليه السلام» لهذا الأمر، وليس لعلي أن يستقيل منه، وليس لغيره أن يقيله، إلا أن يكون الله تعالى هو الذي يعفيه، لأن الإمامة كالنبوة، فكما أن النبي «صلى الله عليه وآله» ليس له أن يتخلى عن مسؤولياته كنبي، فكذلك الإمام بالنسبة للإمامة.

وبذلك يعلم: أن ما فعله أبو موسى الأشعري كان خيانة للأمانة، وتمرداً على أحكام الله، وعملاً بالهوى.

2 ـ إن أبا موسى وعمرو بن العاص قد كلفا بالحكم بما في كتاب الله سبحانه، وولاية علي «عليه السلام» منصوص عليها في كتاب الله في عشرات الموارد.. ونذكر على سبيل المثال:

قوله تعالى: ﴿وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾(1).

وقوله عز وجل: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾(2).

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾(3).
فلما نصب النبي «صلى الله عليه وآله» علياً يوم الغدير امتثالاً لهذا الأمر نزل قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾(4).

وما فعله النبي «صلى الله عليه وآله» يوم الغدير مشمول لآيات كثيرة، تؤكده وتفرضه، مثل قوله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾(1).

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا للهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾(2).

وقوله تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾(3).

---

(1) الآية 119 من سورة التوبة.

(2) الآية 55 من سورة المائدة.

(3) الآية 67 من سورة المائدة.

(4) الآية 3 من سورة المائدة.

(1) الآية 7 من سورة الحشر.

(2) الآية 24 من سورة الأنفال.

(3) الآية 59 من سورة النساء.

والآيات في ذلك كثيرة جداً، لا مجال لإيرادها هنا.

3 ـ إن ما جرى بين أبي موسى الأشعري وعمرو بن العاص في دومة الجندل قد تمخض عن خدعة نفذها عمرو بن العاص تجاه أبي موسى، وما بني على باطل فهو باطل، لأن الحكمين لم يخرجا باتفاق، كما هو المفروض.. بل تشاتما، كما ستأتي الإشارة إليه..

4 ـ وقد قلنا: إن مهمة الحكمين لم تكن هي النصب والعزل، بل كان المطلوب منهما هو النظر في كتاب الله، واستخراج ما يحكم الله به فيما يرتبط بالخارج على النظام، والباغي على الإمام، وحكم الباغي واضح، فالتعدي عن ذلك إلى غيره خيانة للأمانة، وإدخال للأمة في نفق مظلم، ينتج الفتن، والمآسي والمصائب.

معاوية يؤلب على الإمام الحسن:

وقد رأينا: أن معاوية يحاول أن يتهم الإمام الحسن «عليه السلام» بأنه قد عرَّض بأبي بكر، وعمر، وذكرهما بما لا يليق.. وذكر معاوية: أنه كره أن يصدر ذلك من الإمام الحسن.. ثم بدأ معاوية بذكر ميزات وفضائل أبي بكر، مدَّعياً له أموراً لا يستطيع أبو بكر نفسه أن يدعيها لنفسه..

ونقول:

أولاً: إن الإمام الحسن «عليه السلام» لم يذكر في كلامه اسم أبي بكر، وعمر، وأبي عبيدة، وطلحة والزبير، وإنما تكلم بعمومات، ومطلقات لا تحديد فيها، ولا تجريح بأحد..

بل في النص الثاني المتقدم لرسالته «عليه السلام» ما قد يعدُّ ثناء على

الذين توثبوا على أهل البيت «عليهم السلام»، حيث قال عنهم: «وإن كانوا ذوي فضيلة وسابقة في الإسلام»..

لكن ليكن معلوماً: أن حيازة بعض الفضائل لا يبرر الإقدام على ضرب الزهراء «عليها السلام»، وإسقاط جنينها، فمن كان سخياً وشجاعاً ـ والسخاء والشجاعة فضيلة ـ لا يحق له أن يدَّعي النبوة، أو الإمامة لمجرد كونه كذلك.

ومن تقدم إسلامه لا يحق له أن يتهم النبي بالجنون، ويقول: إن النبي ليهجر، ولا يحق له أن يتخلف عن جيش أسامة، ولاسيما مع قول النبي «صلى الله عليه وآله»: «لعن الله من تخلف عن جيش أسامة»(1).

ولا يحق له النكث ببيعة أعطاها يوم الغدير..

ولا غير ذلك من ارتكابات، كغصب فدك وغيرها.. ولاسيما إذا كانت هذه الإرتكابات عن علم ودراية بمقامهم «عليهم السلام»، كما اعترف به

(1) راجع: الملل والنحل (ط دار المعرفة) ج1 ص23 و (بهامش الفصل لابن حزم) ج1 ص20 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج6 ص52 عن كتاب السقيفة لأحمد بن عبد العزيز الجوهري. وراجع: المسترشد للطبري ص112 وبحار الأنوار ج30 ص431 و 432 ونفحات اللاهوت ص113 وتشييد المطاعن ج1 ص47 ومعالم المدرستين ج2 ص77 ووصول الأخيار إلى أصول الأخبار ص68 وكتاب الأربعين للشيرازي ص141 و 527 وقاموس الرجال ج12 ص21 والسقيفة وفدك للجوهري ص77 ونهج السعادة للمحمودي ج5 ص259 ومستدرك سفينة البحار ج5 ص209 والنص والإجتهاد ص42 والمراجعات للسيد شرف الدين ص374 وإحقاق الحق (الأصل) ص218.

معاوية في رسالته المتقدمة للإمام الحسن «عليه السلام»، حيث قال له: «إن هذه الأمة لما اختلفت بعد نبيها لم تجهل فضلكم، ولا سابقتكم، ولا قرابتكم من النبي، ولا مكانتكم في الإسلام وأهله الخ..».

ومع أن معاوية يعلم: أن الإمام الحسن «عليه السلام» لم يذم، ولم يجرِّح بأحد، فإنه أراد أن يوهم الناس: بأن الإمام الحسن «عليه السلام» ذكر أبا بكر وعمر، وغيرهما في كلامه على سبيل التجريح والإنتقاص، ليحرض محبيهم على مناوأة الإمام الحسن، ومنابذته، وليستثير حميتهم للدفاع عنهم، ووضع الحواجز العاطفية بينهم وبينه «عليه السلام».

إلا إن كان يعتبر: أن الخطأ من الناس العاديين قبيح، ومن أهل الفضل أقبح.. متظاهراً بمزيد من المرونة، والليونة مع الإمام الحسن، ومدَّعياً: أنه يعتقد فيه أنه غير ظنين، وأنه ليس المسيء، ولا اللئيم، وأنه يحب الخير للإمام الحسن، وأنه «عليه السلام» يلتزم القول السديد، والذكر الجميل..

وهذا الأسلوب من شأنه أن يقنع الناس بسلامة نوايا معاوية تجاه الإمام الحسن ويؤكد لهم: صحة ما يخبر به عنه، ويوهمهم: أن أية خصومة تظهر بينه وبين الإمام الحسن «عليه السلام»، فإن سببها هو الإمام فقط لا غير..

أما معاوية، فحاله حال الحمل الوديع، الغافل عن مكائد الإمام الحسن، الذي يريد معاوية أن يظهره بصورة الرجل الذي يتعامل بقسوة، وعنف، ويختار الجارح من الكلام، والحاد من المواقف، والمثير من التصرفات.

ثانياً: إن معاوية ذكر طلحة والزبير في جملة المهاجرين الذين شاركوا في إبعاد علي عن مقام الإمامة، وأيَّدوا اختيار أبي بكر لها في السقيفة، لكن النصوص

التاريخية لا تؤيد حضورهما، بل هي تجعل الزبير في تلك الفترة من أنصار حق علي «عليه السلام»، وتنسب له مواقف حادة مع عمر، حين هاجم بيت الزهراء «عليها السلام» لاستخراج علي «عليه السلام» للبيعة.

ويبدو لنا: أن هدف معاوية من هذا الزعم الباطل: هو استقطاب جماعة طلحة والزبير بعد قتلهما في حرب الجمل، ليكونوا إلى جانبه ضد الإمام الحسن «عليه السلام»، لعلمه بالعداوة والبغض الذي يكنه هؤلاء تجاه بني هاشم، ولاسيما تجاه علي وآل علي «عليه السلام».

ثالثاً: تحدث معاوية عن صلحاء المهاجرين، ونصرتهم لحق قريش ولأبي بكر في السقيفة، مع أنه لم يكن من المهاجرين في السقيفة سوى أبي بكر وعمر، وأبي عبيدة، فأين هم هؤلاء الصلحاء؟! ومن هم صلحاء المهاجرين الذين عطفهم معاوية على هؤلاء الثلاثة.. فإن التحاق الناس بفريق أبي بكر وعمر بعد غصب الخلافة لا يدل على الصلاح في الناس، إن لم يكن يدل على طمع، وانتهازية.. ولاسيما بعد أن أصبح واضحاً: أن طلحة والزبير لم يحضرا اجتماع السقيفة ليكون لهما رأي فيما يرتبط بحق قريش في الخلافة؟!

أما قول معاوية: إن الأمة لما تنازعت الأمر في السقيفة علمت بأن قريشاً أحق بهذا الأمر، فهو يدل على أن الأمة لم تكن على علم بهذا الحق لقريش إلى أن توفي رسول الله «صلى الله عليه وآله»..

ويبدو أن مقصوده: أنها علمت ذلك من كلام عمر وأبي بكر، عن أن قريشاً أولياء النبي وعشيرته، فهم أحق بالخلافة بسبب ذلك ـ بنظره ـ. أي أن الأمة التي يتحدث عنها هم الأشخاص الثلاثة، وهم من قريش، ومن المهاجرين

الذين كانوا يجرون النار إلى قرصهم.. ويريدون الأمر لأنفسهم، وهم أبو بكر، وعمر وأبو عبيدة.

إطراء معاوية لأبي بكر:

وقد رأينا: أن معاوية يقول أيضاً: «..ثم رأت قريش والأنصار، وذوو الفضل والدين من المسلمين أن يولوا هذا الأمر أعلمها بالله، وأخشاها له، وأقدمها اسلاماً، فاختاروا أبا بكر الصديق، ولو علموا مكان رجل هو أفضل من أبي بكر يقوم مقامه، ويذب عن حوزة الإسلام كذبِّه لما عدلوا ذلك عنه..».

ونقول:

1 ـ ليس صحيحاً: أن قريشاً رأت أن تولي أبا بكر، بل إن أبا عبيدة، وعمر فقط هما اللذان حضرا من قريش، ورأيا أن يوليا أبا بكر..

2 ـ أما الأنصار، فلم نجد منهم حريصاً على تولية أبي بكر سوى أسيد بن حضير الأوسي، قريب أبي بكر، والحاسد لسعد بن عبادة الخزرجي.. وقد أراد الخزرج منهم تولية سعد بن عبادة، ثم اجتمعوا مع من حضر من الأوس، وقالوا: منا أمير، ومنكم أمير، وسارت الأمور على نحو اضطر معه من حضر من الأنصار للإستسلام لإرادة أبي بكر وعمر، وأبي عبيدة تحت وطأة التهديدات والتخويفات التي توَّجها قول عمر بن الخطاب: «اقتلوا سعداً قتل الله سعداً»(1). والنصوص التي تذكر ما جرى في السقيفة كثيرة لا حاجة

(1) راجع: تاريخ اليعقوبي ج2 ص124 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج1 ص174

إلى عرضها هنا..

3 ـ وقد وصف معاوية أبا بكر بالصديق، وعمر بالفاروق، وأبا عبيدة بالأمين.. وقد تحدثنا في كتابنا الصحيح من سيرة النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله» وفي كتابنا الصحيح من سيرة الإمام علي «عليه السلام» حول هذه الألقاب، وقيمتها الإعتبارية، وأنها موضع ريب شديد، ورفض أكيد.. فيمكن الرجوع في ذلك إلى ذينك الكتابين.

4 ـ ليت معاوية ذكر لنا غير أبي عبيدة، وعمر، وأسيد بن حضير شخصاً رابعاً كان يريد تولية أبي بكر، ممن حضر السقيفة، لكي نعرف من المقصود بذوي الفضل والدين من المسلمين.. إلا إن ادُّعي: أن بشير بن سعد يمكن أن يكون رابعهم أيضاً.

5 ـ أما أن أبا بكر أعلم الأمة بالله، فذلك يحتاج إلى شواهد من خطب

وج20 ص21 وراجع ج2 ص25 وج6 ص40 والدرجات الرفيعة ص19 و 329 وفتح الباري ج7 ص25 وعمدة القاري ج16 ص186 والمصنف لابن أبي شيبة ج8 ص572 وتاريخ الأمم والملوك ج2 ص459 وراجع ص447 والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج2 ق2 ص64 وراجع: السقيفة وفدك للجوهري ص66 وصحيح ابن حبان ج2 ص152 و 157 ومسند أحمد ج1 ص56 وكنز العمال ج5 ص647 والطبقات الكبرى لابن سعد ج3 ص616 و الثقات لابن حبان ج2 ص155 والكامل في التاريخ ج2 ص328 وتاريخ الإسلام للذهبي ج3 ص8 و 11 والبداية والنهاية ج5 ص267 والسيرة النبوية لابن كثير ج4 ص489 وسبل الهدى والرشاد ج12 ص314 والنهاية في غريب الحديث ج4 ص13 والسنن الكبرى للبيهقي ج8 ص143.

وكلام وأجوبة أبي بكر على الشبهات، وغير ذلك فيما يمكن النظر فيه لتقدير مدى ما لديه من علم، أو يحتاج إلى نص من النبي «صلى الله عليه وآله»، أو إلى آية تعلمنا ذلك.

وكذلك الحال بالنسبة لقول معاوية عن أبي بكر: إنه أخشى الأمة لله، فإن ذلك يحتاج إلى اطِّلاع معاوية على قلوب المسلمين.. لكي يسجل لنا بما لديه من أجهزة متطورة مقدار ما في قلب كل واحد من أفراد الأمة من الخشية، لنقارن بين تلك المقادير، فلعلنا نتمكن من تصديق هذه الدعوى.

6 ـ عن قول معاوية: إن أبا بكر أقدم الأمة إسلاماً نقول:

لقد ذكرنا أن الطبري يروي: أن أبا بكر أسلم بعد أكثر من خمسين رجلاً.. وقلنا: إنه أسلم في السنة الخامسة أو السادسة من البعثة، فراجع كتابنا الصحيح من سيرة النبي «صلى الله عليه وآله».

7 ـ أما ذب أبي بكر عن حوزة الإسلام، فقد ظهر في فراره في أحد، وخيبر، وقريظة، وذات السلاسل، وحنين، مع ما جرى في الخندق.. والحديث عن هذا الموضوع يطول.

وقد يظن الناس بمن يفيض في بيان هذه الأحوال، حتى لو استند إلى النصوص والمصادر الكثيرة: أنه يبالغ في هذا الأمر لحاجة في نفس يعقوب، مع أن المصادر الكثيرة كفيلة في درء هذه التهمة، ودفع هذه الشبهة.

الدعاوى الفارغة:

ادَّعى معاوية لنفسه أموراً كذبتها الوقائع المفعمة التي تظهر أضدادها فيه، فقد صاغ تلك الدعاوى ـ حسب رواية ابن أعثم وابن أبي الحديد ـ كما

يلي: «فلو علمت أنك أضبط لأمر الرعية، وأحوط على هذه الأمة، وأحسن سياسة، وأكيد للعدو، وأقوى على جميع الأمور، [على جمع الفيء، كما عند المعتزلي]، لسلمت لك هذا الأمر بعد أبيك، لأني قد علمت أنك إنما تدَّعي ما تدَّعيه نحو أبيك الخ..».

ونلاحظ ما يلي:

1 ـ إن تاريخ معاوية زاخر بالدلالات والشواهد على ضد ما ادَّعاه لنفسه، ولاسيما ادِّعاؤه: أنه أحوط على هذه الأمة، بعد أن تسبب بقتل سبعين ألفاً منها، وجرح أضعاف هؤلاء.. وكانت حرباً مضمونها وقوامها بغي معاوية على إمام زمانه، وظلمه له، ورفضه الانصياع للحق الثابت له من الله ورسوله، وبيعة الأمة.. لا لشيء، إلا لأجل أطماعه في الملك، وفي الأموال والإقطاعات والجاه.

وإلا لأجل الإستجابة لأحقاده، وعصبياته، وانسياقاً مع أهوائه وشهواته.

وإلا بغضاً لأهل الخير والفضل والاستقامة والتقوى.

وإلا رغبة في طمس دين الله، وإحياء سنن الجاهلية، وأحكامها ومفاهيمها، وخزعبلاتها، وجهالاتها.

وإلا بغياً على الإمام المنصوب من قبل الله ورسوله، والذي بايعته الأمة بمزيد من الإصرار منها عليه. وبماذا، وكيف عرف معاوية: أن الإمام الحسن «عليه السلام» أقل ضبطاً منه لأمور الرعية؟!

وهل رأت الرعية من الإمام إلا الصدق والوفاء، والعدل والرحمة، والرفق، والرأفة.. بالإضافة إلى الحزم، وحسن التدبير، والسياسة الحكيمة، الموافقة

للشرع والدين والعقل، والبعيدة عن الهوى والتكبر، والسطوة والحيف والظلم؟!

بل إن معاوية نفسه يعترف في رسالته المتقدمة حسب النص الأخير، فيقول للإمام: «إنك امرؤ عندنا وعند الناس غير ظنين ولا المسيئ، ولا اللئيم، وأنا أحب لك القول السديد، والذكر الجميل الخ..».

ويقول: «إن هذه الأمة لما اختلفت بعد نبيها لم تجهل فضلكم، ولا سابقتكم، ولا قرابتكم من النبي، ولا مكانتكم في الإسلام وأهله».

2 ـ وادِّعاء معاوية: أنه أضبط لأمور الرعية من الإمام الحسن «عليه السلام»، يحتِّم عليه أن يجيب على سؤال يقول: كيف ومن أين عرف؟! وما هي الشواهد التي استدل بها على أن الإمام الحسن «عليه السلام» ليس هو الأقدر على ضبط أمور الرعية؟! وما الدليل على أنه «عليه السلام» عاجز عن ضبط أمورها؟!

ولماذا لا يستدل معاوية بقول النبي «صلى الله عليه وآله» في حق الإمام الحسن «عليه السلام»: «إنه إمام قام أو قعد» على أنه جامع لمؤهلات الإمامة في جميع الأحوال، وقادر على ضبط الأمور، وأحوط على هذه الأمة من كل أحد؟!

ولماذا لا يستدل بوصية أبيه له بالخلافة بعده على جامعيته «عليه السلام» للصفات المطلوبة فيها؟!

وكيف يمكن أن يجتمع أهل الحل والعقد على بيعة الإمام الحسن، وهم يرون أن هناك من هو أضبط منه للأمور، وأحوط منه على الأمة؟!

3 ـ وأما ادِّعاء معاوية: أنه أحسن سياسة من الإمام الحسن «عليه

السلام»، فيعلم بواره مما ذكرناه آنفاً، خصوصاً وأن معاوية لا يملك شاهداً على ما يدَّعيه في حق الإمام الحسن سوى ما يدَّعيه لنفسه، وقديماً قيل: «مادح نفسه يقرئك السلام»، وقيل:

ودعوى القوي كدعوى السباع ... من الناب والظفر برهانها

4 ـ أما أن معاوية أكيد للعدو، فلم نر لهذا الكيد أثراً إلا في قتل الأخيار الأبرار من أعيان الأمة وأخيارها، والسعي في قتل أئمتها الأطهار في حرب صفين، التي قتل فيها: عمار، وهاشم المرقال، وذو الشهادتين، وجندب بن زهير، وأويس القرني، وغيرهم كثير..

يضاف إلى ذلك: من قتلهم صبراً، كحجر بن عدي، وابنه، وصيفي بن فسيل، ومن معهم في مرج عذراء، بالإضافة إلى عمرو بن الحمق الخزاعي..

ومن كان لا يقدر عليه مباشرة، فإنه يعمل على اغتياله بالسيف تارة وبالسم أخرى، وعلى رأسهم إمام الأمة الحسن بن علي «عليه السلام» والأشتر النخعي.

كما أنه قتل سعد بن أبي وقاص، وعبد الرحمان بن خالد بن الوليد.. بدسِّ السمِّ إليهما، ليخلوا الجو له ليولي ولده يزيد «لعنه الله».

فانحصرت نكايته في الأخيار الأبرار، والأئمة الأطهار، وغيرهم من أعيان ورجال المسلمين، حتى من الذين كانوا من حزبه، وعلى مثل رأيه..

5 ـ وقد زاد معاوية على ذلك ـ كما تقدم في النص الأخير لكتاب معاوية ـ: أنه ـ يعني معاوية ـ أطول ولاية من الإمام الحسن «عليه السلام»، وأقدم منه لهذه الأمة تجربة، وأكبر سناً..

مع أن ذلك كله، لا يجعل لمعاوية حقاً في إمامة الأمة، فإن المعيار هو: النص من الله تبارك وتعالى عليه، والمدار أيضاً على دينه، وعلمه، وحكمته، وبصيرته، وتقواه، وصلاحه، ورعايته لأحكام الله، والتزامه بالعدل والإنصاف، والرحمة بالناس، وما إلى ذلك..

6 ـ لعل معاوية كان بصدد تأسيس أصل جديد يستعيض به عن النص من الله ورسوله في أمر الحاكمية، وأن يسقط البيعة ويستبدلها، بالإستيلاء على الأمور بالحيلة، أو بالقهر والغلبة، فلا يكون أثر للنص، ولا قيمة للبيعة عنده.

بل يكون كل من ادَّعى لنفسه حُسن السياسة، وضبط الأمور، والأحوطية على الأمة، وكونه الأكيَد للعدو.. فله ـ حسب قول وفعل معاوية ـ: أن ينقض بيعة الحاكم القائم بالأمر، ويحاربه، ويقتله، ويقتل معه علماء الأمة وصلحاءها، وخيارها، ويهدم عزها، ويذهب بريحها، وبإمكاناتها.. ويستولي على الأمر، ولو أدَّى ذلك إلى قتل سبعين ألف قتيل، وجرح ما يزيد على ضعف أو أضعاف هذا العدد، كما فعله معاوية في حرب صفين وحدها.

ولو استطاع الآن أن يمحق ألوفاً آخرين، لفعل، ولكن الإمام الحسن «عليه السلام» قد ضيَّع عليه الفرصة.. وبذلك جرَّعه ألف غصة وغصة.

إتهامات معاوية لعلي:

وقد زعم معاوية: أن علياً «عليه السلام» هو الذي سار إليه ليحاربه، فقال في رسالته: «وقد علمت أن أباك سار إلينا فحاربنا»، وكأنه يريد إيهام الناس: بأن علياً «عليه السلام» هو المعتدي، والباغي عليه، والظالم له، وأن

له الحق في أن يدافع عن نفسه.

وقد تجاهل معاوية حقيقة: أنه كان هو الباغي على إمام مفترض الطاعة، منصوص على إمامته من الله ورسوله، وقد بايعته الأقطار الإسلامية، وأهل الحل والعقد عن رضى واختيار، ومع مزيد من الإصرار.

ولم يكن لمعاوية أن يدَّعي الأمر لنفسه، لأنه من الطلقاء، الذين ليس لهم في هذا الأمر نصيب، كما أنه لا يملك من العلم، والتقوى، وسائر الميزات والصفات ما يؤهله لذلك، وقد تمرد على حكم قائم وسعى في نقضه، وتغلب على قرار أهل الشام، وهيمن عليهم من خلال شرائه ذمم رؤسائهم، ولم يتركهم يختارون من شاؤا، ولا سمح لهم بالتعرف على أصحاب الحق الحقيقيين.

على أن من الواضح: أنه لا يحق لمن استولى على أرض غيره، أو احتل بيته مثلاً: أن يمنع مالكها من مطالبته بإعادتها إليه..

ولا يحق لذلك الغاصب أن يدَّعي أنه مظلوم، وأنه معتدى ومبغي عليه، فإن فعل ذلك كان مصداقاً للمثل القائل: رمتني بدائها وانسلت.

ويكون كما قال الشاعر:

يظلمني ثم أسمى ظالماً   يقتلني ثم أسمى قاتلاً

نقول:

هذا مع العلم: بأن معاوية قد قصد علياً «عليه السلام» ليحاربه، والتقى بعلي وحاربه في صفين البعيدة عن الشام عشرات الفراسخ.. كما أنه جاء بجيوشه إلى العراق ليحارب الإمام الحسن «عليه السلام».

هل اتفق الحكمان؟!:

وزعم معاوية: أن الحكمين اجتمعا واتفقا على خلع علي، وإثبات معاوية، وهذا كذب صريح وقبيح، فإن كتب الحديث والتاريخ وسواها لا تدع مجالاً للشك في أن الحكمين قد عادا من دومة الجندل على خلاف، وخيبة، باعتبار أن عمرو بن العاص لم يف بوعوده لأبي موسى، فمكر به وخدعه. وقد تشاتما قبل تفرقهما، فقال أبو موسى لعمرو: «ما لك لا وفقك الله، قد غدرت وفجرت.

وإنما مثلك ﴿كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ﴾

فقال له عمرو: إنما مثلك ﴿كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾»[1].

وكان عمرو وأبو موسى قد اتفقا على إعادة الأمر شورى بين المسلمين، ثم غدر به عمرو.

من اتهامات معاوية لعلي ×:

وذكر معاوية ـ كما ورد في النص الذي أورده ابن أبي الحديد ـ: أن علياً «سعى على عثمان حتى قتل مظلوما، فطالب الله بدمه، ومن يطلبه الله فلن يفوته. ثم ابتز الأمة أمرها، وفرق جماعتها، فخالفه نظراؤه من أهل السابقة والجهاد والقدم في الإسلام، وادَّعى: أنهم نكثوا بيعته، فقاتلهم، فسفكت الدماء، واستحلت الحرم، ثم أقبل إلينا لا يدَّعي علينا بيعة، ولكنه يريد أن يملكنا اغترارا، فحاربناه وحاربنا الخ..».

ونقول:

---

(1) بحار الأنوار ج33 ص301 و 302.

لا بأس بالنظر فيما يلي:

أولاً: بالنسبة لتأليب الناس على عثمان نقول:

قد ذكرنا: أنه «عليه السلام» قد بذل محاولات عدة لدرء الخطر عن عثمان، وكان يأخذ منه الوعود، ثم يجد أن عثمان ينقض وعوده، ويسير في الإتجاه المعاكس، متأثراً بمشورات مروان بن الحكم وغيره من بني أمية..

ولم يزل «عليه السلام» يحاول ذلك حتى صدَّه عثمان وطلب منه: أن يتركه وشأنه، ولما ضيَّقوا الخناق على عثمان، ومنعوه من الماء أوصل «عليه السلام» الماء إليه، وأرسل ولديه ـ كما ذكروا ـ ليمنعا من الوصول إليه بسوء، وكان عثمان هو الذي أرجعهما، ولم يرض ببقائهما عنده.

ثانياً: اللافت هنا: أن من وصفهم معاوية بأنهم «من أهل السابقة والجهاد، والقدم في الإسلام» هما طلحة والزبير، اللذان كانا، ولاسيما طلحة من أشد الناس على عثمان، وكان طلحة يقود الحركة الإعتراضية الغاضبة التي انتهت بقتل عثمان بصورة مباشرة، ومن دون أي هوادة.

ثالثاً: ما ادَّعاه معاوية، من أن علياً «عليه السلام» ابتزَّ الأمة أمرها، غير صحيح، بل كان أسلاف معاوية هم الذين ابتزوا علياً حقه الذي جعله الله تعالى ورسوله له، وخالفوه على أمره، ونكثوا بيعته يوم الغدير، ثم كانت الأمة هي التي أصرت عليه بعد قتل عثمان بالبيعة له «عليه السلام»، وبقوا يلاحقونه أياماً من مكان إلى مكان حتى رضي وقبل، فكان أول من بايعه طلحة ثم الزبير، ثم سائر الصحابة، والناس في مختلف الأقطار، باستثناء معاوية الذي هيمن على الشام، وحال دون بيعة أهلها له «عليه السلام».

رابعاً: وعما ادَّعاه معاوية، من أن علياً فرق جماعة الأمة نقول:

لما حاد الناس عما رسمه الله تعالى في كتابه الكريم، في آيات كثيرة، من اختصاص الولاية بعلي «عليه السلام»، ونكثوا بيعة يوم الغدير، وهجموا عليه في بيته، وحاولوا إحراقه بمن فيه، وفيه علي والزهراء والحسنان «عليهم السلام»، وسائر الأطفال.

وضربوا الزهراء، وأسقطوا جنينها، عند ذلك حصل الإبتزاز الذي تواصل إلى حين مقتل عثمان، فكانت الأمة هي التي لاحقت علياً، والتمست منه قبول البيعة منهم..

فلما قبل بعد أيام من الإصرار نكثت طائفة، وحاربته بزعامة طلحة والزبير، وعائشة..

وقسطت طائفة أخرى، وظلمته، وبغت عليه، وهم معاوية ومن معه.

ومرق آخرون، وهم الخوارج.

وها هو معاوية يكرر نفس الموقف، وينتهج نفس الطريقة والأسلوب مع إمام آخر، ورد النص عليه من رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وبايعه أهل الحل والعقد في مختلف الأقطار والأمصار، واستخلفه أيضاً أبوه من بعده، فيكون معاوية الباغي عليه، والمعلن الحرب على حكمه والعامل على تقويض سلطانه.

فمن المفرِّق لجماعة المسلمين في عهد علي وفي عهد الحسن «عليهما السلام»؟!

ومع فرض أن يكون هناك أي خلل، أو مشكلة في هذا الشأن.. فإن معاوية ليس هو الذي يصلح الخلل، ومن الذي أعطى الحق لمعاوية، وسائر

من معه من الطلقاء، وغيرهم بشن الحرب وتقويض الحكم، وسفك الدماء؟! فكيف إذا لم يكن هناك أي خلل أو شبهة؟!

ولماذا ينتقل الحق من الإمام الشرعي إلى خصوص معاوية، دون سواه من سائر أفراد الأمة، لاسيما وأن في الأمة الأعلم، والأورع، والأبر والأتقى، والأفضل؟!

خامساً: لا أدري كيف صار طلحة والزبير نظراء لعلي «عليه السلام» في السابقة والجهاد، وذوي قدم في الإسلام، كما زعمه معاوية.. وتاريخ هذين الرجلين يشهد بضد ذلك، ولا يستطيع أحد أن يذكر لهما فضيلة واحدة يمكن إثباتها لهما، تكون في مستوى فضائل علي «عليه السلام» التي تعدُّ بالمئات والألوف؟!

سادساً: لم يكن نكث طلحة والزبير بيعة علي «عليه السلام» موضع ريب، ليقول معاوية: إن علياً هو الذي ادَّعى على محاربيه يوم الجمل أنهم نكثوا بيعته؟!

ولماذا جمعوا الجيوش، وقدموا إلى البصرة، واستولوا على بيت مالها، وقتلوا حراسه وقتلوا كثيرين آخرين يعدون بالمئات من السبابجة وغيرهم.. وآذوا عامله عثمان بن حنيف، وضربوه ونتفوا لحيته، وفعلوا الأفاعيل..

فاضطر علي «عليه السلام» إلى أن يرحل إليهم من المدينة، ويعزل أبا موسى الأشعري عن الكوفة، ويدعو الناس إلى المبادرة لدفع أولئك الناكثين، وصدهم عن الفساد والظلم، والإفساد في الأرض؟!

سابعاً: إن معاوية يجعل من عدم بيعته ومن معه علياً «عليه السلام»

سبباً في سلب علي «عليه السلام» حق ملاحقتهم، مع أن علياً كتب إلى معاوية: «فإن بيعتي لزمتك، وأنا بالمدينة وأنت بالشام»، لأن معاوية من الطلقاء، وليس له ولا لمن معه نصيب في هذا الأمر، فامتناعه عن البيعة لعلي «عليه السلام»، ولاسيما بعد بيعة أهل الحل والعقد له، ثم بيعة الناس له في مختلف الأقطار والأمصار ـ إن هذا الإمتناع ـ معصية من معاوية، وهي من الكبائر، وبذلك يكون مشمولاً لقوله «صلى الله عليه وآله»: «من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية» أي مات كافراً.

فما معنى أن يتبجح معاوية: بأن علياً «عليه السلام» هو الذي حاربه، واعتدى وبغى عليه؟!

ألا يجعل هذا معاوية من مصاديق من أخذته العزة بالإثم؟!

هل الحسن × أمير المؤمنين؟!:

وتقدم: أن الإمام الحسن «عليه السلام» كتب إلى معاوية: «من عبد الله الحسن أمير المؤمنين إلى معاوية»، مع أن هناك روايات عديدة تدل على اختصاص هذا الاسم بعلي «عليه السلام»[1].

ويجاب:

بأن رجلاً من أهل السواد دخل على الإمام الصادق «عليه السلام»، فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته.

فقال له «عليه السلام»: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته.. وقربه إليه،

---

(1) ذكرنا هذه الروايات في كتابنا: الصحيح من سيرة الإمام علي ج1 ص156 ـ 162.

ولم يعترض عليه.

فسأله أبو الصباح مولى آل سام عن ذلك، فقال: يا أبا صباح، إنه لا يجد عبد حقيقة الإيمان، حتى يعلم أن لآخرنا ما لأولنا[1].

فيدل ذلك على أن الممنوع منه: هو أن يوصف بهذا الوصف من يدَّعيه زوراً، ولا يقصد به الأئمة الطاهرون «عليهم السلام» المنصوص عليهم من الله ورسوله..

غير أن بعض الروايات المانعة تأبى هذا الجمع، لدلالتها على أن هذا المنع يشمل الأئمة «عليهم السلام» أيضاً.

وبغض النظر عن ذلك، نقول:

اللافت: أننا لم نجد هذه العبارة في أي من مكاتيب الأئمة «عليهم السلام» التي اطَّلعنا عليها، إلا في هذا المورد، فلعلها أقحمت من قبل الرواة.

أو لعل الأصل في العبارة: الحسن ابن أمير المؤمنين، فأسقط الرواة كلمة «ابن» عمداً، أو سهواً..

أو لعل الممنوع عنه: هو أن يستعملها الغاصبون لمقام الخلافة.. فلا يستعملونها تعظيماً وتفخيماً وتكريماً لغير أمير المؤمنين «عليه السلام»، إلا إذا اقتضت الضرورة ذلك: بأن تمت البيعة الجامعة للشرائط للإمام الحق،

(1) الإختصاص ص267 و 268 وبحار الأنوار ج25 ص359 ـ 360 وج37 ص332 عنه، ومستدرك الوسائل ج10 ص399 وجامع أحاديث الشيعة ج12 ص353 ومستدرك سفينة البحار ج1 ص180 والإمام علي بن أبي طالب «عليه السلام» لأحمد الرحماني الهمداني ص58 و 59.

وأريد إبلاغ المعاندين بتسلم الإمام الحق أزمة الأمور، وأن عليهم أن يبادروا إلى البيعة.. كما هو الحال بالنسبة للإمام الحسن..

وإن كنا نستقرب أحد الوجهين الأولين، وهما:

ـ إقحام هذه العبارة من قِبَلِ الرواة..

ـ أو إسقاط كلمة «ابن» من قِبَلِ الرواة أو النساخ اجتهاداً منهم.

بوادر الحديث عن الصلح:

وقد رأينا: أن النص الأخير، لكتاب معاوية الذي اعتبر جواباً على رسالة الإمام الحسن «عليه السلام» إليه ـ حسب رواية أبي الفرج الأصفهاني ـ: أن هذا الكتاب قد تضمن ذكراً صريحاً للصلح، حيث قال: «وقد فهمت الذي دعوتني إليه من الصلح، والحال فيما بيني وبينك اليوم مثل الحال التي كنتم عليها أنتم وأبو بكر بعد وفاة النبي «صلى الله عليه وآله»».

مع أننا لا نجد في رسالة الإمام الحسن برواية أبي الفرج حديثاً صريحاً عن الصلح، بل فيها: أنه دعاه إلى البيعة له «عليه السلام»، وترك البغي، وحقن دماء المسلمين، وأن يدخل في السلم والطاعة، ولا ينازع الأمر أهله، ليطفئ الله النائرة بذلك، وتجمع الكلمة، وتصلح ذات البين.. وإن أبى إلا التمادي في الغي نهد «عليه السلام» إليه بالمسلمين الخ..

وليس في هذا الكلام حديث عن الصلح، بمعنى أن يسلم الحسن «عليه السلام» الأمر لمعاوية وفق شروط معينة.

وكأن معاوية قد اتخذ من هذا الكلام مدخلاً لعرض نفسه كمرشح بديل، بالإستناد إلى ميزات نسبها لنفسه قد ترجِّحه على الإمام الحسن «عليه

السلام»، وهي التي كنَّا قد تحدثنا عنها سابقاً، وهي:

1 ـ أن معاوية يرى نفسه أضبط لأمور الأمة.

2 ـ أحوط على الأمة.

3 ـ أحسن سياسة.

4 ـ أقوى على جمع الأموال.

5 ـ أكيد للعدو.

وهو أيضاً:

6 ـ أطول من الإمام الحسن ولاية.

7 ـ أقدم منه لهذه الأمة تجربة.

8 ـ أكبر منه سناً.

وقد تقدم: أن هذه الأمور كلها، إما لا تسمن ولا تغني من جوع، أو لا صحة لقسم منها.. والواقع العيني يكذبها، أو أنها محض ادِّعاء، وتخرصات لا يملك معاوية شاهداً عليها، أو دليلاً يثبتها.

إغراءات معاوية:

ثم عرض معاوية على الإمام الحسن «عليه السلام» اغراءات ومحفزات ظن أن الإمام الحسن يطلبها، ويدعوه حرصه عليها للتخلي عن هذا الأمر لمعاوية، وهذه الإغراءات هي التالية:

1 ـ أن يكون الأمر بعد معاوية للإمام الحسن «عليه السلام».

2 ـ للحسن «عليه السلام» ما في بيت مال العراق من مال، بالغاً ما بلغ،

يحمله معاوية إليه حيث أحب.

3 ـ له خراج أي كور العراق شاء.. معونة له على نفقته، يجبيها أمين الإمام الحسن إليه «عليه السلام»، ويحملها إليه في كل سنة.

4 ـ له أن لا يستولى عليه بالاساءة.

5 ـ أن لا تقضى دونه الأمور.

6 ـ أن لا يعصى في أمر أراد به «عليه السلام» طاعة الله.

تهديدات معاوية:

قالوا: وكتب معاوية إلى الحسن بن علي «عليه السلام».

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد، فان الله عز وجل يفعل في عباده ما يشاء ﴿**لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ**﴾(1).. فاحذر أن تكون منيتك على يد رعاع من الناس، وايأس من أن تجد فينا غميزة، وإن أنت أعرضت عما أنت فيه وبايعتني وفيت لك بما وعدت، وأجزت لك ما شرطت، وأكون في ذلك كما قال أعشى بني قيس بن ثعلبة:

وإن أحد أسدى إليك أمانة ... فأوف بها تدعى إذا مت وافيا

ولا تحسد المولى إذا كان ذا غنى ... ولا تجفه إن كان في المال فانيا

ثم الخلافة لك من بعدي، فأنت أولى الناس بها، والسلام.

---

(1) الآية 41 من سورة الرعد.

فأجابه الحسن بن علي «عليه السلام»:

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد، وصل إلي كتابك، تذكر فيه ما ذكرت، فتركت جوابك خشية البغي عليك، وبالله أعوذ من ذلك، فاتبع الحق تعلم أنِّي من أهله، وعليَّ إثم أن أقول فأكذب، والسلام.

فلما وصل كتاب الحسن إلى معاوية قرأه، ثم كتب إلى عماله على النواحي نسخة واحدة:

بسم الله الرحمن الرحيم

من معاوية أمير المؤمنين، إلى فلان بن فلان، ومن قبله من المسلمين..

سلام عليكم، فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو..

أما بعد، فالحمد لله الذي كفاكم مؤنة عدوكم، وقتلة خليفتكم، إن الله بلطفه وحسن صنعه أتاح لعلي بن أبي طالب رجلاً من عباده، فاغتاله فقتله، فترك أصحابه متفرقين مختلفين، وقد جاءتنا كتب أشرافهم وقادتهم، يلتمسون الأمان لأنفسهم وعشائرهم.

فإقبلوا إليَّ حين يأتيكم كتابي هذا بجندكم وجهدكم، وحسن عدتكم، فقد أصبتم بحمد الله الثأر، وبلغتم الأمل، وأهلك الله أهل البغي والعدوان، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته[1].

---

(1) مقاتل الطالبيين ص68 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج16 ص37 ومناقب آل أبي طالب ج4 ص32 وبحار الأنوار ج44 ص55 كلها مع اختلاف يسير.

ونقول:

لاحظ ما يلي:

معاوية لا يعلم الغيب:

لقد سار معاوية في أكثر من خط للتخلص من الإمام الحسن «عليه السلام»:

الخط الأول: المؤامرة، حيث إن من الواضح لكل أحد: أن معاوية لا يعلم الغيب، فإذا حذَّر عدوَّه الذي يسعى في القضاء عليه من موت يحصل له على يد رعاع من الناس.. فلا يهدف من هذا التحذير إلا إلى التهديد، لعلمنا بأنه لا يريد حفظ حياة عدوِّه، بل يريد أن يقول له: إنه يدبر لقتله بطريقة تبعد عنه الشبهة، وتبلغه ما يتمناه من دون تعب أو نصب..

بل يرى الناس إذا مات بهذه الطريقة: أن أفعاله كرَّهت الناس به، فعملوا على التخلص منه.. فإذا وقع نفس هذا الذي حدَّثه به، وأخبره عنه، حرفاً بحرف، وكلمة بكلمة، فإن الأمر يصبح أكثر وضوحاً وأبين دلالة على أنه هو المدبر لهذا الأمر، والساعي به.

وهذا ما حدث بالفعل مع الإمام الحسن «عليه السلام» في مظلم ساباط، كما سيأتي بيانه، وقد بقي معاوية بعيداً عن الشبهة، بالرغم من أنه هو المدبر، والراعي، والمستثمر، كما تدل عليه رسالته هذه.

الخط الثاني: إعداد الجيوش، والزحف بالألوف من العساكر لحرب تبلغه مناه، و تحقق له ما رجاه، ولو بقيمة إزهاق أرواح أمة من المسلمين، وقتل الإمامين الحسن والحسين، ومن معهما من بني هاشم، وإبادة كل من يتشيع لهم، ويتعاطف معهم..

ورسالته المتقدمة لعماله، التي يأمرهم فيها بالإقبال إليه بجندهم، وجمعهم، وبحسن عدتهم تدل على ذلك..

وقد أجابوه، فزحف بهم إلى العراق، بهدف تحقيق أمرين:

أحدهما: أن يظهر بهم قوته، وكثرة عديده، ويرهب بهم الإمام الحسن وشيعته، ويشد من أزر العراقيين الذين هم معه في الباطن، وينتهجون النفاق والرياء، والخداع في الظاهر: بأنهم مع أهل الإيمان ومع الإمام الحسن «عليه السلام».

فإن تمكن معاوية من إضعاف عزيمة العراقيين، وفرَّق جماعتهم، ونجح في استدراج ضعفاء النفوس، وطلاب اللبانات من رؤسائهم للإنحياز إليه برشاواه الكبيرة لهم، ولغيرهم من أصحاب النفوذ فيهم، وزعزع تماسكهم، وأجبر الإمام الحسن «عليه السلام» على التنازل له، فيكون قد وفَّر على نفسه بلاء وعناء، ومواجهة أخطار جمَّة، قد تكون فيها مفاجآت كبيرة، ومزالق ومهالك خطيرة لا طاقة له بها. فذلك ما يتمناه أيضاً..

الثاني: أن يفشل في محاولاته تلك، فيستعمل هذا الجيش لارتكاب ما هو أحبّ إلى قلبه، وأقرّ لعينه، وهو الإبادة، والمجزرة الهائلة التي لا نظير لها في التاريخ، في حق مناوئيه، من بني هاشم، وأهل البيت، وشيعتهم، في شرق الأرض وغربها كما سيأتي ـ إن شاء الله بيانه ـ في المباحث المختلفة المرتبطة بالصلح.

لا غميزة في بني أمية:

وقد قال معاوية في رسالته المتقدمة للإمام الحسن «عليه السلام»: «وايأس من أن تجد فينا غميزة».

وقد فُسِّرت الغميزة، كما في لسان العرب: بالمطعن والعيب.

ولا نظن أن معاوية يجرؤ على أن يدَّعي للإمام الحسن «عليه السلام»، أو لغيره: بأنه هو وفريقه من بني أمية، وأعوانهم براء من أي عيب.. فإن العيوب فيهم كثيرة وكبيرة، وخطيرة، وهي ماثلة للعيان..

والحقيقة هي: أن مقصود معاوية من الغميزة: هو الضعف في العقل وفي العمل، كما قررته كتب اللغة في معنى هذه الكلمة.

وقالوا: في معناها: ما فيه غميزة، أي ما فيه مطعن، أو مطمع.

والمغمز: المطعن والمطمع[1]..

فمعاوية يريد أن يقول للإمام الحسن «عليه السلام»: إن عليه أن لا يطمع فيهم، وأن لا يظن فيهم ضعف العقل، أو ضعف العمل، فإن عقولهم يقظة، وتدبيرهم محكم.. فلا مجال للإستهانة بهم، والإستخفاف بعقولهم، واحتقار تدبيرهم.

الحسن أولى الناس بالخلافة:

وقال معاوية في رسالته المتقدمة للإمام الحسن: «ثم الخلافة لك من بعدي، فأنت أولى الناس بها».

ولنا أن نسأل معاوية هنا، عن قوله في رسالته السابقة عن نفسه: إنه لو علم أن الحسن «عليه السلام» أضبط للرعية، وأحوط على الأمة، وأحسن سياسة، وأكيد للعدو، وأقوى على جمع الأموال الخ.. لسلَّم الأمر إليه،

---

(1) أقرب الموارد، مادة «غمز».

وبايعه بالخلافة.

وسؤالنا هو: إن معاوية لم يعلم بأن الإمام الحسن «عليه السلام» مقدَّم عليه في هذه الأمور، فذلك لا ينفي أن يكون مساوياً له فيها، فضلاً عن أرجحيته فيما عداها، فكيف ينازعه الأمر، لمجرد عدم علمه بتقدمه؟!

فإنه إذا ساواه في الموجب لتقديم نفسه عليه، ولاسيما بعد ما بايعته الأمة، وقام بالأمر، فقد وجبت طاعته، وحرمت منازعته.

ثانياً: إن معاوية يخبر ويعلن هنا: أن الإمام الحسن «عليه السلام» أولى الناس بالخلافة بعده، ولأجل ذلك يعده بها بعد موته، والسؤال هو: هل اطَّلع معاوية على أحوال جميع الناس وعرف مقادير ضبطهم للأمور، وحسن سياسة الرعية، ومقدار كيدهم للعدو، ومقدار احتياطهم للأمة وعليها، وغير ذلك.. حتى يتبين له أرجحية الإمام الحسن على كل واحد من أفراد الأمة كلها؟!

أم أن معاوية يتصرف على هواه، فيمنح الأوسمة لنفسه، ويسلبها عن غيره، ويتخذ القرارات المرتجلة حسب ما تخدم تلك القرارت مصالحه، وتقرّبه من غاياته، وإن تباينت تلك القرارات وتناقضت، وتهافتت، فإن الغاية عنده تبرر الوسيلة؟! أعاذنا الله من الخذلان، ومن سوء العاقبة والخسران..

الخونة يكاتبون معاوية:

وقد لفت نظرنا تصريح معاوية في كتابه لعماله بأمرين:

أولهما: أن التصدع والإختلاف قد ظهر في أهل العراق بعد اغتيال علي أمير المؤمنين «عليه السلام» في وقت مبكر، وسوف نتحدث عن هذا الأمر فيما يأتي، إن شاء الله تعالى..

الثاني: أن بعض الأشراف والقادة والعراقيين قد كتبوا إليه بعد موت علي «عليه السلام»، يلتمسون الأمان لأنفسهم وعشائرهم..

ونحن وإن كنا نرى أن معاوية قد بالغ حين صاغ كلامه هذا بنحو يوهم: أن جميع، أو أكثر الأشراف والقادة قد كتبوا إليه.. ولكن ما ظهر من بعضهم، وهم الذين هربوا إليه لقاء الحصول على أموال وعدهم بها، يدل على أنه لا يكون هناك دخان بلا نار، ولاسيما مع ما رأيناه من أن فرار بعض القادة والعمال إلى معاوية طلباً لدنياه، ولكي لا يطالبهم علي «عليه السلام» بالأموال التي استولوا عليها في ولاياتهم.. قد بدأ في وقت مبكرٍ، فدلَّ ذلك على ضعف البنية العقائدية، واختلال الرؤية الدينية والسياسية، وضعف فاضح في تقدير الأمور لدى أكثر الناس.. وظاهرة الخوارج فيهم شاهد صدق آخر على ما نقول.

جواب الإمام الحسن لمعاوية:

وقد رأينا: أن معاوية في رسالته الأخيرة المقتضبة للإمام الحسن «عليه السلام» قد جمع بين التهديد، والترهيب بالموت على يد رعاع من الناس. وبين الترغيب بالخلافة من بعده، بالإضافة إلى ما وعده به من أموال وسواها، وأن لا يقطع أمراً دونه، كما ذكره في رسالته الأخرى التي سبق ذكرها أيضاً.

وقد رأينا: أن الإمام الحسن «عليه السلام» قد اقتصر في جوابه لمعاوية على ما يلي:

أولاً: إنه «عليه السلام» لا يريد جواب معاوية، خشية البغي على معاوية.. أي أنه لا يريد أن يقابل التهديد بمثله، لأن ذلك قد يفهم منه على أنه صب

للزيت على النار، فتزداد بذلك حدة الحماس للمواجهة، ولا يريد الإمام الحسن أن يحصل حتى هذا المقدار من الفهم للأمور.

وسوف تبقى ردوده مقتصرة على التعريف بالحق وأهله، وبيان المرتكزات التي يستند إليها هذا الحق، ووصف الواقع القائم كما هو حقه، وبيان واجد المواصفات وفاقدها، ممن يرشح نفسه لمقام الخلافة.. ليعرف الناس المحق من المبطل، والإمام الحق من الباغي..

فكأنه «عليه السلام» يرى: أن تجاوز هذا الحد إلى التهديد والوعيد قد يفهمه البسطاء على أنه بغي على الطرف الآخر، وإن لم يكن كذلك في الواقع..

ومعاوية بتهديده، وإن كان باغياً، فإن الإمام الحسن «عليه السلام»، لا يريد أن يدخل نفسه حتى فيما يوهم هذا المعنى.

ثانياً: إنه «عليه السلام» استبدل التهديد بالإغراء باتباع الحق، وأعلن أن المكافأة عليه هي بأن يعامله الإمام الحسن بالحق أيضاً، فلا يحيف عليه في شيء، بل يجد فيه السعادة والكرامة، ولذلك قال له: «فاتبع الحق تعلم أني من أهله».

وهذا تعريض، بل تصريح: بأن معاوية حائد عن الحق في مواقفه وممارساته.. وهذا توصيف واقعي، ليس فيه تجنٍ عليه، ولا تهديد له، بل فيه تذكير له بما يجب عليه، وتأسيس للمرتكز الذي يقوم عليه التعامل معه. من قبل الإمام الحسن «عليه السلام».

ثالثاً: ثم ختم رسالته بقوله: «..وعليَّ إثم أن أقول فأكذب»، وهي كلمة لا تعطي للطرف الآخر فرصة ادعاء التعرض للإهانة من خلالها، لأن الإمام «عليه السلام» إنما أخبر عن نفسه، بأنه لو قال فكذب، فإنه سيكون آثماً. وهذه

قاعدة سارية في كل من أخبر عن أمر لا واقع له..

فلمعاوية أيضاً أن يتوقع أن يكون آثماً إن كان يخبر عن نوايا غير صادقة فيما يرتبط بوعوده للإمام الحسن بتوليته الأمر من بعده، وفيما يرتبط بأن لا يقطع أمراً دونه، وغير ذلك مما كان قد وعد به، وأعاد الإصرار عليه، والتعهد بالوفاء به.

الفصل الثاني

جواسيس تقتل.. ورسائل ترسل..

جواسيس معاوية في الكوفة والبصرة:

قالوا: ودسَّ معاوية رجلاً من بني حمير إلى الكوفة، ورجلاً من بني القين إلى البصرة يكتبان إليه بالأخبار ، فدل على الحميري عند لحام جرير، ودلَّ على القيني بالبصرة في بني سليم، فأخذا وقتلاً.

وكتب الحسن إلى معاوية :

أما بعد، فإنك دسست إليَّ الرجال كأنك تحب اللقاء ، وما أشك في ذلك، فتوقعه إن شاء الله، وقد بلغني أنك شمت بما لا يشمت به ذوو الحجى، وإنما مثلك في ذلك كما قال الأول:

وقل للذي يبغي خلاف الذي مضى تجهـز لأخـرى مثلهـا فكـأن قـدِ

وإنا ومن قـد مـات منـا لكالـذي يـروح ويمـسي في المبيـت ليغتـدي

فأجابه معاوية :

أما بعد، فقد وصل كتابك، وفهمت ما ذكرت فيه، ولقد علمت بما حدث، فلم أفرح ولم أحزن، ولم أشمت ولم آس، وإن علي بن أبي طالب كما قال أعشى بني قيس بن ثعلبة :

وأنــت الجــواد وأنــت الــذي إذا مــا القلــوب مــلأن الصــدورا

جـــدير بطعنـــة يـــوم اللقـــاء تضـــرب منهـــا النســـاء النحـــورا

ومـــا مزبـــد مـــن خلـــيج البحـــار يعلـــو الأكـــام ويعلـــو الجســـورا

بـــأجود منـــــه بـــــما عنـــــده فيعطي الألوف ويعطي البـدورا[1]

ونقول:

للجواسيس خطورة كبيرة على ثبات الحالة الإجتماعية، وأمن الناس، واستقرار الحكومات، لأن كمون الجواسيس، وخفاء طبيعة نشاطاتهم يعطيهم الفرصة لإفساد الأوضاع في مختلف المجالات..

ونذكر على سبيل المثال:

ألف: أن لديهم القدرة على تشكيل خلايا عمل مختلفة تتولى كل خلية منها مهمة معيَّنة، وتكون لها نشاطاتها المحدَّدة، مع إمكان تجهيل دورها.. بقطع الصلة المباشرة بينها وبين سائر الخلايا، فإذا افتضح أمرها لم تتأثر سائر خلايا العمل بشيء.

ب: إن الجاسوس يجمع بنفسه، أو بواسطة الخلايا المختلفة التي ينشؤها معلومات كثيرة، ويتوخى أن تكون حساسة جداً في مختلف المجالات الحيوية التي يهم من أرسله الحصول عليها.

ج: قد يقدم الجاسوس على تأسيس خلية تتولى بث الشائعات الباطلة

(1) مكاتيب الأئمة للعلامة الأحمدي ج3 ص29 عن المصادر التالية: مقاتل الطالبيين ص61 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج16 ص31 وراجع: الإرشاد ج2 ص9 وكشف الغمة ج2 ص164 والفصول المهمة ص47 وبحار الأنوار ج44 ص45.

والمسمومة التي تربك القيمين على الأمور، وتشوش أذهان الناس، وتثير لديهم الهواجس المختلفة في كثير من المجالات.

د: كما أن الجاسوس، يكون مرتكزاً وهمزة وصل بين من أرسله، وبين الشخصيات والرؤساء الذين يراد تمرير رسائل معينة إليهم، أو تزويدهم بمعلومات مهمة.

هـ: ربما تمكن الجاسوس من تحضير خلايا قادرة على إحداث اختلالات أمنية خطيرة، وإثارة العصبيات، وإدخال الجماعات المختلفة في فتن، ومشاحنات كبيرة، وتتفاقم الأمور، وتنتهي بالهرج والمرج الشامل أو المحدود.

و: قد يحتاج العدو إلى التعرف على الأحوال المعيشية، أو على الأفكار المتداولة، أو على أهواء الناس وميولهم السياسية، ومذاهبهم، وما يفرحهم، وما يسؤهم ويخيفهم، وغير ذلك فيرتب الجاسوس فريقاً يعتمد عليه في كشف هذه الأمور، وتزويد أسياده بها أيضاً.

ز: إن الجاسوس قادر أيضاً على نقل الرشاوى، ونسج العلاقات، والتأثير على الولاءات، وغير ذلك.

ح: ومن أهم الأمور التي يقوم بها الجاسوس: هو جمع المعلومات العسكرية ليزوِّد بها من أرسله، فيخبرهم عن تحركات جيش المسلمين، وفي أي اتجاه، ويسمي لهم قادته، ويخبر أسياده بعدته وعدده، وتجهيزاته، وقد يتمكن من أن يسلب من جيش المسلمين فرصة مفاجأة العدو، وتحقيق النصر عليه، كما أنه يدلّ الأعداء على الثغرات في جيش المسلمين، وعلى عوارته، ويهيئ لهم فرص مفاجأته، والإيقاع به، وتسجيل النصر عليه.

الحزم الحسني:

تقدم: أن الإمام الحسن «عليه السلام» قد قتل الجاسوس في الكوفة، وفي بعض النصوص: أنه عرف بوجود الجاسوس الذي في البصرة أيضاً، فكتب إليهم بذلك، فأخذ وقتل[1]..

وقد أظهر هذا ما يلي:

1 ـ إن سرعة انكشاف أمر جاسوسي معاوية في مصرين مختلفين، بينهما مسافات تعد بعشرات الفراسخ، فلا مجال للتعاون بينهما في كشف هذا الأمر الغامض جداً، ولاسيما بهذه السرعة الفائقة ـ إن ذلك ـ من شأنه أن يرعب معاوية، ويصيبه بالإحباط، ويدعوه إلى أن يحسب ألف حساب قبل الإقدام على أي أمر..

فإن هذا الحدث قد دلَّه على وجود يقظة فائقة، عز نظيرها.

2 ـ إن هذا الحزم في اتخاذ الاجراء الصارم في حق الجاسوسين، من قبل إنسان لا يتهاون ـ بمقدار ذرة ـ في حق الناس، ويدرأ الحدود بالشبهات، يدل على أن انكشاف أمر الجاسوسين كان قد بلغ أقصى ما يكون في الانكشاف اليقيني القاطع لكل عذر.. فإن الإمام الحسن لا يقتل على الظن والتهمة، بل هو يتلمس المخارج والاحتمالات لدرء العقوبة عن كل مجرم، ولا سيما عقوبة القتل، كما أنه لا يرضى من ابن عباس بأقل من هذا أيضاً..

---

(1) بحار الأنوار ج44 ص45 والعوالم ج16 ص156 عن الإرشاد للمفيد ص207 و (ط دار المفيد) ج2 ص9 والمستجاد من الإرشاد (المجموعة) ص146.

3 ـ إن قوله في النص المتقدم: «فدل على الحميري عند لحام جرير، ودل على القيني في البصرة في بني سليم» يعطي: أن الناس هم الذين كشفوا أمر الجاسوسين، وهو يشير إلى أن عامة الناس كانوا مهتمين بحفظ السلامة العامة، ويدركون مخاطر التهاون، وفسح المجال لمعاوية وحزبه للعبث بأمن الناس، فإنهم غير مأمونين على مصالح الأمة، ولا يحفظون الكرامات، ولا يهتمون لأمن الناس.

ونخلص من ذلك: إلى أن الداء الدوي كان في الزعماء، والمتنفذين، وطلاب اللبانات من رؤساء القبائل.

أما عامة الناس، فليسوا بهذا السوء الذي نجده في أولئك.

ولعل من أسباب ظهور هذه الفوارق: أن الناس العاديين قد لمسوا عدل علي «عليه السلام»، وصدقه وأمانته، وتقواه، ودينه، وعلمه، وسياسته، وخلقه الكريم، فتكونت لديهم مشاعر إيجابية تجاهه، بالرغم من قصر إقامته بينهم..

أما الملأ منهم، فقد اعتادوا الحصول على الأطماع والإمتيازات، والمقامات من خلال التملق والتزلف للحكام.. وذلك قبل قدوم علي «عليه السلام» إلى العراق.

ولما جاء علي «عليه السلام» صدهم عن ذلك، وعاملهم بالصدق والوفاء، ووفق الأحكام الشرعية، والخلق الرضي، وبمقتضيات النبل والكرامة الإنسانية.

فلم يرق ذلك لكثير منهم، ووجدوا: أن رغباتهم، وشهواتهم، وأهواءهم لن يجدوها لدى علي، ومن هم على نهجه، وإنما هي في مكان آخر عند من

يقايضهم الدين بالدنيا، فيسلبهم دينهم الذي به نجاتهم، وسعادتهم في الدنيا والآخرة، مقابل سراب خادع من دنياه، بعد أن استلب من ذلك السراب كل روائه ولمعانه، وأصبح يباباً وخراباً، وأوسعه استلاباً وانتهاباً لأي بهجةٍ أو بهاء فيه.

الإمام يحرج معاوية:

وإذا أمعنا النظر في رسالة الإمام الحسن لمعاوية، فإننا نجدها تشير إلى العديد من الأمور مثل:

ألف: إنها رسالة إحراج لمعاوية، لم يجد معها بداً من الإنكفاء، والتراجع كما سيتضح..

ب: إنها رسالة حازمة أفهمت معاوية: أن الأمر مع الإمام الحسن ليس بالسهولة التي يتوهمها، فهو ابن أبيه، في حزمه، وفي حسن تدبيره، وفي ضبطه للأمور، وفي بعد نظره، وتقديره لما يدور حوله، وفي علمه، وتقواه.

ج: إن حديث الإمام الحسن «عليه السلام» عن دس معاوية الرجال للتجسس، قد حوَّل ما كان يراه معاوية فخراً وحسن تدبير له، إلى نقطة ضعف فيه، تدل على خِسَّة، وخِفَّة، وبُعدٍ عن معنى الشهامة والكرامة، لأن دسَّ الرجال بهدف التجسس، أو استخدامهم وسيلة للفتنة أو للغدر، أو للمكر بالرجال، أو لإثارة الشائعات، أو لشراء الضمائر، وغير ذلك..

ـ إن ذلك كله ـ يدل على أن معاوية لا يملك حجة، ولا يستطيع أن يقنع أحداً بحقه، ولأجل ذلك لجأ إلى الأساليب القذرة، والماكرة، والغادرة، وإلى الإحتيال، وإلى الرشوات، وإثارة الفتن، وما إلى ذلك.

د: إن معاوية، وإن كان يريد بدسائسه هذه التمهيد للحرب، فهو أدل على أنه لا يملك حجة، ولا يستطيع أن يثبت لنفسه حقاً، ولا سبيل له إلى نيل مآربه سوى الإبتزاز بالحرب، والبغي على أصحاب الحق.. وبذلك يكون «عليه السلام» قد فضح معاوية، وسدد إليه صفعة مؤلمة وقاسية..

ويلاحظ: أنه «عليه السلام» لم يلزم معاوية بأنه يهدف إلى التمهيد للحرب جزماً، ولكنه أخبر عن يقينه بأنه يريدها.. وهذا ما لم ينكره معاوية، بل إن المسار الذي اتَّبعه قد أوضح ذلك، وأزال كل ريب فيه.

ثم أبلغه الإمام «عليه السلام» أنه لا يخشى الحرب، فلا يظنن معاوية أن تهديده بها يجديه.

هـ: وقد شفع «عليه السلام» هذه الفضيحة لمعاوية بفضيحة أخرى تضع علامة استفهام كبيرة على شخصية معاوية، وعلى خصائصه النفسية والأخلاقية، حين أخذ عليه شماتته بقتل علي «عليه السلام».

وأعلن للناس: أن الشماتة بموت من يموت دليل فشل وقصور في العقل والتفكير، وهو من مفردات الإنقياد للهوى والحقد، لأن كل أحد من الناس يدرك: أن الموت لا يستثني أحداً من الناس، ولا يستطيع الشامت بمن يموت أن يدعي أنه في مأمن من الموت.

ومن الواضح: أن شماتة معاوية بموت أمير المؤمنين «عليه السلام» لا مبرر لها سوى حقده الدفين، فهو منقاد في ذلك لمشاعره، وأهوائه، تماماً كما هو حال الأطفال العاجزين والقاصرين، الذين لا يملكون قراراً، ولا يغيرون مساراً، بل هم لا حيلة لهم، ولا يملكون إلا أن يقولوا: نحب أو لا

نحب، ونريد، أو لا نريد.

جواب معاوية:

والناظر في جواب معاوية على كتاب الإمام الحسن «عليه السلام» يلاحظ:

أولاً: أنه قد سكت عن موضوع الجاسوسين بصورة عامة وتامة. وما ذلك إلا للفشل الذريع الذي مني به من جهة، ولأن ما جرى فيها يدينه، ويفقده الهيبة، والمقام، بالإضافة إلى سلبيات أخرى تقدمت الإشارة إليها.

ثانياً: إنه حاول التنصل أيضاً من موضوع الشماتة، بل تجاوز ذلك إلى شيء من الثناء على أمير المؤمنين «عليه السلام».

ثالثاً: لا شك في أن معاوية قد كذب حين قال: لم أفرح، ولم أحزن، ولم أشمت، ولم آس.. وهو الذي كان يلعن علياً «عليه السلام» في قنوته في صلاته، وكان يسبّه ويأمر الناس بسبه ولعنه على المنابر.

وما زعمه ابن عساكر وابن كثير، من أن معاوية أظهر الحزن والأسى على علي «عليه السلام»[1]، غير صحيح.. لأن رسالة الإمام الحسن «عليه السلام» المتقدمة إلى معاوية تكذب هذا الزعم.

بل إن جواب معاوية على تلك الرسالة يكذب قول ابن كثير أيضاً، حيث قال: لم أفرح، ولم أحزن، ولم أشمت، ولم آس.. فمن أين جاء ابن عساكر وابن كثير بالحزن والأسى لمعاوية؟!

---

(1) تاريخ مدينة دمشق ج59 ص142 والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج8 ص139.

رسالة ابن عباس إلى معاوية:

قال أبو الفرج الأصفهاني: وكتب عبد الله بن العباس من البصرة إلى معاوية:

أما بعد، فإنك ودسك أخا بني قين إلى البصرة تلتمس من غفلات قريش مثل الذي ظفرت به من يمانيتك، لكما قال بن الأسكر:

لعمرك إني والخزاعي طارقا كنعجة عاد حتفها تتحفر

أثارت عليها شفرة بكراعها فظلت بها من آخر الليل تنحر

شمت بقوم من صديقك أهلكوا أصابهم يوم من الدهر أعسر

فأجابه معاوية :

أما بعد، فإن الحسن بن علي قد كتب إليّ بنحو مما كتبت به، وأنبأني بما لم يحقق ظناً وسوء رأي.. وإنك لم تصب مثلكم ومثلي، ولكن مثلنا ما قاله طارق الخزاعي يجيب أمية عن هذا الشعر:

فوالله ما أدري وإني لصادق إلى أي من يظّنني أتعذر

أعنف أن كانت زبينة أهلكت ونال بني لحيان شر فأنفروا[1]

ونقول:

1 ـ يلاحظ وجود اختلاف في بعض الكلمات، ذكرت في هوامش المصادر التي أوردت النص.. فمن أحب تتبع ذلك، فعليه بالمراجعة.

---

(1) مقاتل الطالبيين ص54 وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي ج16 ص32 والأغاني ج8 ص62.

2 ـ هل قائل الأبيات التي ذكرها ابن عباس في رسالته هو أمية ابن أبي الأسكر، كما في الأغاني، ومقاتل الطالبيين، أو هو أمية بن أبي الصلت، كما في بعض نسخ شرح نهج البلاغة للمعتزلي.

والتحقيق في هذا الأمر، لا يقدم ولا يؤخر أيضاً..

3 ـ قوله:

كنعجة عاد [غادت] حتفها تتحفـر

يراد به: الإشارة إلى أن الأصل في هذه القضية: أن رجلاً جائعاً وجد نعجة، ولم يكن معه ما يذبحها به، فبحثت الشاة في الأرض بأظلافها، فظهرت شفرة في الأرض، فأخذها فذبحها بها.

4 ـ يلاحظ: أن ابن عباس قد واجه معاوية بنفس ما واجهه به الإمام الحسن «عليه السلام»، وهما أمران:

أحدهما: أنه دسَّ الرجال للتجسس، والتماس الغفلات في مجتمع آمن، ونظام قائم.

الثاني: شماتة وفرح معاوية بقتل أمير المؤمنين «عليه السلام».. وهو أمر لا يشمت به عاقل، لأن الموت لا يستثني أحداً.

وهذا التوافق، ومبادرة ابن عباس للكتابة بهذين الأمرين إلى معاوية، يدلان على مزيد وعي من ابن عباس، وعلى نباهته، وحسن سياسته، وتقديره للأمور، وأنه الرجل المناسب في الموقع المناسب.

5 ـ يلاحظ: أن معاوية لم يتجاهل كتاب ابن عباس، مع أنه كان يستطيع

أن يهمل إجابته على رسالته، لكنه أراد أن يحد من الرغبة في تداول هذا الأمر، فإن تداوله، وانتشاره ليس لصالح معاوية.

6 ـ رأينا: أن جواب معاوية لابن عباس قد حاول أن يعيد الأمور إلى حالة من الغموض والإبهام. وحاول أن يسدل على ما حدث ستاراً من التجاهل، موحياً بعدم الأهمية له.

7 ـ إن معاوية بالرغم من أنه لم ينكر هذا الأمر، إلا أنه حاول ترميم مكانته، وإعادة الإعتبار إلى سمعته، بزعمه أن ما جرى لم يحقق سوء ظن فيه، ولم يوجب تبدل رأي الناس به. وهذا هو موضع اهتمام معاوية، ويحاول أن ينأى بنفسه عنه.

كما أنه حاول أن يدافع عما أظهره من الشماتة بالتخفيف من أهميته أيضاً، وادِّعاء أنه أمر طبيعي، فلا يجب أن يجعل مادة للتداول، وسبباً لتأزيم الأمور، ورفع وتيرة الحماس.

وذلك ليتلافى معاوية نظرات الإستهجان والإزدراء التي تنصب عليه بسبب ذلك.

رسالة ابن عباس للإمام الحسن ×:

قالوا: وكتب ابن عباس للإمام الحسن «عليه السلام» يقول:

أما بعد، فإن المسلمين ولوك أمرهم بعد علي «عليه السلام»، فشمر للحرب، وجاهد عدوك، وقارب أصحابك، واشتر من الظنين دينه بما لا يثلم لك ديناً.

ووال أهل البيوتات والشرف، تستصلح به عشائرهم، حتى يكون الناس

جماعة، فإن بعض ما يكره الناس ـ ما لم يتعد الحق، وكانت عواقبه تؤدى إلى ظهور العدل، وعز الدين ـ خير من كثير مما يحبه الناس إذا كانت عواقبه تدعو إلى ظهور الجور وذل المؤمنين، وعز الفاجرين.

واقتد بما جاء عن أئمة العدل، فقد جاء عنهم أنه لا يصلح الكذب إلا في حرب أو إصلاح بين الناس، فإن الحرب خدعة، ولك في ذلك سعة إذا كنت محارباً، ما لم تبطل حقاً.

واعلم أن علياً أباك إنما رغب الناس عنه إلى معاوية: أنه أساء بينهم في الفيء، وسوى بينهم في العطاء، فثقل عليهم..

واعلم أنك تحارب من حارب الله ورسوله في ابتداء الإسلام، حتى ظهر أمر الله، فلما وُحِّد الرب، ومحق الشرك، وعز الدين، أظهروا الإيمان، وقرأوا القرآن، مستهزئين بآياته، وقاموا إلى الصلاة وهم كسالى، وأدوا الفرائض وهم لها كارهون.

فلما رأوا أنه لا يعز في الدين إلا الأتقياء الأبرار، توسموا بسيما الصالحين، ليظن المسلمون بهم خيراً، فما زالوا بذلك حتى شركوهم في أماناتهم، وقالوا: حسابهم على الله، فإن كانوا صادقين فإخواننا في الدين، وإن كانوا كاذبين كانوا بما اقترفوا هم الأخسرين..

وقد منيت بأولئك، وبأبنائهم وأشباههم، والله ما زادهم طول العمر إلا غيّاً، ولا زادهم ذلك لأهل الدين إلا مقتاً، فجاهدهم ولا ترض دنية، ولا تقبل خسفاً، فإن علياً لم يجب إلى الحكومة حتى غلب على أمره فأجاب، وإنهم يعلمون أنه أولى بالأمر إن حكموا بالعدل، فلما حكموا بالهوى، رجع

إلى ما كان عليه حتى أتى عليه أجله..

ولا تخرجن من حق أنت أولى به، حتى يحول الموت دون ذلك. والسلام[1].

ونقول:

لا نريد الخوض فيما اشتملت عليه هذه الرسالة، ونكتفي بالإلماح إلى بعض العناوين منها، وهي الأمور الثلاثة التالية:

1 ـ إن ابن عباس قد نصَّ على تولية الناس الأمر للإمام الحسن «عليه السلام»، ولم يشر إلى نص الرسول «صلى الله عليه وآله» عليه بالإمامة، ولا إلى تولية أبيه علي «عليه السلام» له من بعده.

فلعله أراد أن يلزم الناس من الموافقين وغيرهم، بما يلزمون به أنفسهم، ولكي لا يثير جدلاً حول مخالفة السابقين لنص النبي على إمامة وولاية علي، بالإضافة إلى تقرير القرآن الكريم لهذا الأمر في العديد من الآيات.

2 ـ إن عبارة: «اشتر بين الظنين دينه».. تحتاج إلى بيان، لكي لا تبقى موضع ريب وشبهة.

والمراد بالظنين: المتهم.. فإن سياسة الأئمة «عليهم السلام» تقوم على الواقعية والصدق، والحق، فلا شراء للدين وللذمم بالأموال، ولا يتعاملون على أساس أن الغاية تبرر الوسيلة، بل يرون للوسيلة قداسة وطهر الغاية، فلا تدليس، ولا كذب، ولا رشاوى مالية ثمناً للمواقف، ولا غير ذلك مما

---

(1) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج16 ص23 و 24 وجمهرة رسائل العرب ج2 ص1 وعيون الأخبار لابن قتيبة ج1 ص140 والعقد الفريد ج1 ص30.

لا يقره الشرع، ولا يرضاه الوجدان.

فإذا توقف النصر على معاوية، أو على أي طاغ وباغ على ارتكاب مخالفات شرعية، أو أخلاقية، فإن هذا النصر يصبح غير مطلوب ولا مرغوب فيه.

3 ـ إن هذه الرسالة بليغة، ومؤثرة، وتدل على مدى وعي ابن عباس لما جرى ويجري، وعلى فهمه للأمور، وصواب نظرته إليها، وصحة تحليله للوقائع، وفهم لأحوال بني أمية، وإدراك لما ترمي إليه سياساتهم، واستيعاب لسياسات العدل لدى أهل البيت «عليه السلام».

ولكن ما يريبنا فيها أمور:

أحدها: الفقرة المتقدمة التي أشرنا إليها، التي يذكر فيها: أن يشتري من الظنين دينه، وقلنا: إنها تخالف ما هو الثابت من منهج أهل البيت «عليهم السلام» في سياساتهم، وتعاملهم مع الأمور.

إلا أن يكون المقصود بها: هو استصلاح الضعيف الدين، ولو بواسطة قضاء حاجاته، وتسهيل أموره المعيشية، ومنحه المزيد من العاطفة والمودة، لكي يخلص ودَّه، وتصفو نيَّته، وليعيش معنى الصدق والوفاء، والخلق الكريم، مع مدِّ يد العون له على دهره، لحلِّ مشكلاته، وفتح أبواب العيش الكريم أمامه.

وليس المراد بشراء الدين: مجرد بذل المال له لقاء تخليه عن اعتقاداته وقناعاته، وما يؤمن به.

الثاني: إن خطاب هذه الرسالة للإمام «عليه السلام» قد جاء عالي النبرة، تفوح منه رائحة الشعور بالندِّيَّة، وربما الشعور بالتقدم والفوقية بالنسبة للإمام الحسن «عليه السلام»، ولاسيما بالنسبة للهجة الآمرة والناهية التي

تظهر في كلماته.

ولم يعهد هذا المعنى من ابن عباس تجاه علي والحسنين «عليهم السلام»، بل عهدناه ودوداً لهما، متواضعاً في خطابه لهم، يظهر الكثير من الإحترام والبخوع والتسليم لهم.. ولا نشك في أنه كان يعرف مكانتهم وفضلهم.

نقول هذا، مع أننا نحتمل أن تكون هذه الطريقة في الخطاب ربما كانت طبيعية ومألوفة في ذلك الزمان، ولاسيما من المتقاربين في الأعمار.

ولاسيما في مقام الدعوة إلى سلوك طريق المواجهة الذي يحتاج إلى اعتماد الحزم في دفع غائله الطامعين، والبغاة على الحق وأهله، من قِبَلِ مَن عُرفوا بالقسوة والإجرام، وعدم التقوى، وعدم رعاية الأحكام، والأخلاق الإنسانية في سعيهم إلى غاياتهم مهما كانت ردیئة، وبغيضة، ومدمرة لحياة الناس، ومستقبلهم، وهادمة لسعادتهم.

فالمطلوب هو إظهار الشدة والعزم، والقوة، والحسم في القرار، وليس الليونة والرفق والمداراة.

الثالث: قوله: «إن علياً أباك إنما رغب الناس عنه إلى معاوية: أنه أساء بينهم الفيء».

وهي كلمة ظالمة، بل وكاذبة، لا يمكن قبولها في حق أمير المؤمنين، المطهر المعصوم «عليه السلام»، وهي سقطة عظيمة من ابن عباس في حق علي «عليه السلام».. إلا أن يكون مراده: أن الناس قد اتهموه «عليه السلام» بما هو منه بريء، وإنما كان يعطي لكل ذي حق حقه، والحقوق تتفاوت وتختلف بحسب الحالات.

الفصل الثالث

قبل معسكر النخيلة..

بعد جمع معاوية للعساكر:

وقالوا: إن معاوية بعد أن كتب إلى عماله، أن يجمعوا له العساكر ليسير بهم إلى العراق، فلما اجتمعت العساكر عنده، سار بها قاصداً العراق.

فبلغ الحسن «عليه السلام» خبره ومسيره، وأنه قد بلغ جسر منبج، فتحرك عند ذلك، وبعث حجر بن عدي، فأمر العمال والناس بالتهيؤ للمسير، ونادى المنادي: الصلاة جامعة! فأقبل الناس يثوبون ويجتمعون.

وقال الحسن لحجر: إذا رضيت جماعة الناس فأعلمني.

وجاءه سعيد بن قيس الهمداني، فقال له: أخرج، فخرج الحسن «عليه السلام»، وصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

أما بعد، فإن الله كتب الجهاد على خلقه، وسمّاه كرهاً، ثم قال لأهل الجهاد من المؤمنين: اصبروا إن الله مع الصابرين، فلستم أيها الناس نائلين ما تحبون إلا بالصبر على ما تكرهون.

بلغني أن معاوية بلغه، أنّا كنا أزمعنا على المسير إليه، فتحرك لذلك، اخرجوا رحمكم الله إلى معسكركم بالنخيلة، حتى ننظر وتنظروا، ونرى وتروا.

قال: وإنه في كلامه ليتخوف خذلان الناس له.

قال: فسكتوا فما تكلم منهم أحد، ولا أجابه بحرف.

فلما رأى ذلك عدي بن حاتم قام فقال: أنا ابن حاتم! سبحان الله! ما أقبح هذا المقام! ألا تجيبون إمامكم وابن بنت نبيكم؟! أين خطباء مضر؟! [أين المسلمون؟!

أين الخواضون من أهل المصر]، الذين ألسنتهم كالمخاريق في الدعة، فإذا جدّ الجدّ فروّاغون كالثعالب؟!

أما تخافون مقت الله، ولا عيبها وعارها.

ثم استقبل الحسن بوجهه، فقال: أصاب الله بك المراشد، وجنَّبك المكاره، ووفَّقك لما يحمد ورده وصدره.. قد سمعنا مقالتك، وانتهينا إلى أمرك، وسمعنا لك وأطعناك فيما قلت وما رأيت، وهذا وجهي إلى معسكري، فمن أحب أن يوافيني، فليواف.

ثم مضى لوجهه، فخرج من المسجد، ودابته بالباب، فركبها ومضى إلى النخيلة، وأمر غلامه أن يلحقه بما يصلحه. وكان عدي بن حاتم أول الناس عسكر [اً].

وقام قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري، ومعقل بن قيس الرياحي، وزياد بن صعصعة التيمي، فأنَّبوا الناس ولاموهم، وحرضوهم، وكلموا الحسن «عليه السلام» بمثل كلام عدي بن حاتم في الإجابة والقبول.

فقال لهم الحسن «عليه السلام»: صدقتم رحمكم الله!

ما زلت أعرفكم بصدق النية، والوفاء، والقبول، والمودة الصحيحة، فجزاكم الله خيراً، ثم نزل..

وخرج الناس فعسكروا، ونشطوا للخروج، وخرج الحسن إلى العسكر،

واستخلف على الكوفة المغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب، وأمره باستحثاث الناس، وإشخاصهم إليه، فجعل يستحثهم ويستخرجهم حتى يلتئم العسكر.

وسار الحسن «عليه السلام» في عسكر عظيم وعدة حسنة، حتى نزل دير عبد الرحمن، فأقام به ثلاثاً حتى اجتمع الناس، ثم دعا عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب، فقال له:

يا ابن عم، إني باعث إليك اثني عشر ألفاً من فرسان العرب، وقرَّاء المصر، الرجل منهم يزيد الكتيبة..

فسر بهم، وألن لهم جانبك، وابسط لهم وجهك، وافرش لهم جناحك، وأدنهم من مجلسك، فإنهم بقية ثقات أمير المؤمنين، وسر بهم على شط الفرات حتى تقطع بهم الفرات، ثم تصير إلى مسكن..

ثم امض حتى تستقبل بهم معاوية، فإن أنت لقيته، فاحبسه حتى آتيك، فإني على أثرك وشيكاً..

وليكن خبرك عندي كل يوم، وشاور هذين يعني ـ قيس بن سعد، وسعيد بن قيس ـ.

وإذا لقيت معاوية، فلا تقاتله حتى يقاتلك، فإن فعل فقاتله، وإن أصبت فقيس بن سعد على الناس، وإن أصيب قيس بن سعد، فسعيد بن قيس على الناس.

فسار عبيد الله حتى انتهى إلى شينور، حتى خرج إلى شاهي، ثم لزم الفرات والفلوجة، حتى أتى مسكن.

وأخذ الحسن على حمام عمر حتى أتى دير كعب، ثم بكر فنزل ساباط دون القنطرة[1].

وقال الشيخ المفيد «رحمه الله»:

سار معاوية نحو العراق ليغلب عليه، فلما بلغ جسر منبج تحرك الحسن «عليه السلام»، وبعث حجر بن عدي يأمر العمال بالمسير، واستنفر الناس للجهاد، فتثاقلوا عنه، ثم خفوا [و] معه أخلاط من الناس بعضهم شيعة له ولأبيه، وبعضهم محكمة يؤثرون قتال معاوية بكل حيلة، وبعضهم أصحاب فتن وطمع في الغنائم وبعضهم شكاك، وبعضهم أصحاب عصبية اتبعوا رؤساء قبائلهم، لا يرجعون إلى دين.

فسار حتى أتى حمام عمر، ثم أخذ على دير كعب، فنزل ساباط دون القنطرة وبات هناك[2].

ونقول:

إن لنا مع ما تقدم العديد من الوقفات، وهي كما يلي:

الصلاة جامعة:

1 ـ رأينا فيما سبق: أن ابن عباس يكتب إلى الإمام الحسن «عليه السلام»

---

(1) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج16 ص38 ـ 42 والعوالم ج16 ص162 ـ 164 وبحار الأنوار ج44 ص50.

(2) العوالم ج16 ص156 و 157 عن الإرشاد للمفيد ص207 وبحار الأنوار ج44 ص45.

يحثّه على الإستعداد للحرب، ويصرُّ عليه، ويحلِّل الوقائع، ويرسم صورة مؤثرة وواضحة..

ونحن نعرف: أن الإمام علياً «عليه السلام» كان قد جمع الجموع للعودة إلى صفين لاستئناف الحرب مع البغاة عليه، وهم معاوية وحزبه الذين انتهجوا معه «عليه السلام» سبيل المكر والخداع المضمخ بالكذب، والمفعم بالأراجيف، والأباطيل والأضاليل..

وقد استشهد أمير المؤمنين «عليه السلام»، وكانت الجموع قد بلغت حَدَّاً يكاد يكون مرضياً، ويحسن السكوت عليه.. حتى لقد أمَّر الحسين «عليه السلام» على عشرة آلاف، كما تقدم.

2 ـ ورأينا أيضاً الإمام الحسن «عليه السلام» يأخذ بعض جواسيس معاوية الذين جاؤا للعمل على طمس دين الله، والإفساد في الأرض، وإثارة الفتن، ومحاربة الإمام الذي نص عليه الله ورسوله، ونصبه الإمام السابق عليه، وبايعته الأمة بيعة صحيحة وشرعية، فيجازي أولئك الجواسيس البغاة الطغاة بما يستحقونه، ويؤنب معاوية على فعله..

3 ـ كما أنه «عليه السلام» يعرف أن معاوية يجمع الجموع للمسير إلى حربه، ويكاتبه معاوية، ويعرب عن نواياه هذه، ويتهدد ويتوعد.

4 ـ وقد قال له جندب بن عبد الله بعد رجوعه من الشام بجواب معاوية: «إن الرجل سائر إليك، فابدأ أنت بالمسير حتى تقاتله في أرضه وبلاده وعمله، فأما أن تقدّر أنه ينقاد لك، فلا والله حتى يرى يوماً أعظم من يوم صفين.

فقال: أفعل.

ثم قعد عن مشورتي وتناسى قولي»[1].. إلى آخر ما هنالك.

ولكنه «عليه السلام» لا يبادر للمسير إلى الشام. ولا يعلن الحرب على معاوية، ولا على غيره..

وربما كان السبب في ذلك: أنه لا يريد أن يدخل في وهم أحد: أنه «عليه السلام» هو المتحفز للقتال، ولم يكن معاوية ومن معه راغبين في سفك الدماء، ولعل هناك من خدع بمكر معاوية، واحتمل أن يكون معذوراً ـ ولو بدرجة ضعيفة ـ بسبب ما جرى في قصة التحكيم، ظناً أو زعماً منه أنها قد أحدثت شبهة حق لمعاوية، ولو بنظر معاوية نفسه، صانع المكائد، ومزور الحقائق، وناسج الترهات والأباطيل.

ولأجل ذلك آثر «عليه السلام» الإنتظار إلى أن يجمع معاوية العساكر، ويتحرك نحو العراق، فلما فعل ذلك، ووصل إلى منبج، جمع «عليه السلام» الناس ليعلمهم بالأمر.. وبذلك يكون البعيد والقريب، ومن بالشام، ومن في العراق، وسائر الأقطار قد أدرك أن معاوية هو المتحفز للحرب، والباغي على الإمام الحسن «عليه السلام»، كما كان باغياً على أبي الحسن علي «عليه السلام».

وأصبح الإمام الحسن «عليه السلام» بذلك ـ وكذلك من معه ـ ملزماً بالدفاع عن نفسه، ودرء الخطر عن شعبه.. وأصبح أيضاً من حقه أن يبادر

---

(1) مقاتل الطالبيين ص58 و 59 و (ط المكتبة الحيدرية) ص37 وبحار الأنوار ج44 ص41 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج16 ص36 والعوالم ج16 ص162.

إلى أي إجراء يدفع الشرور، ويحفظ بيضة الإسلام.

فأمر «عليه السلام» بالإستعداد الإحتياطي أولاً.. فأرسل مناديه لينادي بالناس: الصلاة جامعة، ليخبرهم: أن الأمر خطير، والشر مستطير..

عن الجهاد.. والصبر:

وقد لاحظنا على الخطبة التي ذكرناها في أول النص المتقدم:

أولاً: أن الإمام الحسن «عليه السلام» بدأ خطبته بالحديث عن أن الله تعالى كتب الجهاد على خلقه، وسمَّاه كرهاً، ثم قال لأهل الجهاد من المؤمنين: ﴿**وَاصْبِرُوا إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ**﴾. أي أنه «عليه السلام» يقول للناس:

1 ـ إن الجهاد فريضة إلهية على جميع الخلق دون استثناء.

2 ـ إن هذا يعني: أنه ليس للمجاهد أن يمنَّ على غيره بجهاده، بل الله يمنُّ عليه: أن وفَّقه للقيام بهذه الفريضة.. وليس له أن يطلب من الناس امتيازاً، أو مقاماً مكافأة له على جهاده.. مع العلم بأن الجهاد يحتاج إلى قصد القربة، لأن المطلوب ليس هو القتال المجرد، بل المطلوب قتال يقصد به وجه الله، ليمكن تسميته جهاداً.

3 ـ لقد وجب الجهاد على جميع الخلق لأن تركه، أو التهامل فيه يؤدي إلى حلول الكوارث بالخلق كلهم، ولا يقتصر الضرر على فئة دون فئة.

4 ـ إن هذا الوجوب للجهاد إنما هو وجوب كفائي، إذا قام به البعض سقط عن الباقين، لانتفاء موضوعه، بتحقق الغرض منه.

5 ـ إن هذا الجهاد وإن كان ثقيلاً، مكروهاً للنفس.. لكن هذا الثقل،

وتلك الكراهة هما سر تعظيم المثوبة عليه، وبلوغ الدرجات العلى بسببه، وبه يتفاوت الناس، ويعرف القريب والبعيد، والرابح والخاسر.

6 ـ إنه «عليه السلام» أشار إلى أن المؤمنين ينقسمون إلى قسمين:

أحدهما: أهل الجهاد، وهم الذين أمرهم الله بالصبر، ووعدهم أن يكون تعالى معهم بقوله: ﴿**وَاصْبِرُوا إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ**﴾.

الثاني: من يحاول التملص من هذا الواجب، ودفع غيره للقيام به، لينصرف هو إلى سائر شؤونه، وشجونه.

7 ـ ثم قرَّر «عليه السلام»: أن الناس لهم رغبات، وأماني، وحاجات، يحبون الوصول إليها، والحصول عليها. ويحاولون أن ينالوها من دون تعب أو نصب، أو بجهد غيرهم، وتعبه، ونصبه.

8 ـ وبالجهاد والصبر فيه تدفع النوائب.. وتنال أعظم الرغائب.. لأن ترك الجهاد قد يؤدي إلى هدم أركان السعادة في الدنيا، ويؤسس لفقدان النجاح والفلاح في الآخرة.. وإذا استثنينا ثمرات الجهاد، فإن ما ينال من حاجات، ويوصل إليه من رغبات يبقى مجرد فتات متواضع، أو أنه لا يعدو كونه كسراب لامع، وبرق خلبّ خادع.. وإنما يقنع بهذا الخائفون، والكسالى، وأصحاب النفوس الضعيفة والضئيلة..

وقد قال المتنبي:

تريدين لقيان المعالي رخيصة ... ولابد دون الشهد من إبر النحل

وقال أيضاً:

وإذا كانـــت النفـــوس كبـــاراً تعبـــت في مرادهـــا الأجســـام

وهذا سيد شباب أهل الجنة الإمام الحسن بن علي «عليهما السلام» يقول لنا ولكل أحد: فلستم أيها الناس نائلين ما تحبون إلا بالصبر على ما تكرهون.

فإن الجهاد يأتي بالأمن، وبالعدل، وبرضا الله، وإنصاف عباده، والإحسان والسعادة، ويقمع الفساد والفحشاء، والمنكر والبغي في البلاد والعباد.

بلغني أن معاوية بلغه:

والملاحظة التي يجب تسجيلها هنا:

1 ـ أن الإمام الحسن «عليه السلام» لم يقل للناس: إن معاوية قد جاء بجيوشه لحربنا، فعلينا أن نواجهه بكل حزم وشدة.. لأن هذا الكلام قد يوهن عزائم العراقيين، باعتبار أنه سيتبادر إلى أذهانهم: أن معاوية لو لم يكن ضامناً للفوز، بسبب كثرة العدد، وحسن العدة، ووقوفه على وجود وجوه الضعف في صفوف أهل العراق، واختلال خطير في العلاقات والواقع الإجتماعي، أو السياسة، وحالات ارتباك واختلاف بين القادة، وتناقضات في الولاءات.

كما أنه ربما يكون قد حصل على تفاهمات سريَّة مع كثير من الرؤساء والزعماء، وغير ذلك مما يجعل النصر على العراقيين في متناول يده.. فمن أجل ذلك كله تتأكد خشية العراقيين من الحرب مع معاوية، لظنهم أنه لا يقدم على هذه الخطوة الخطيرة والكبيرة.. إلا إذا كان قد فكَّر في ذلك كله، واستند إلى تفكيره وتدبيره.

2 ـ كما أنه «عليه السلام» لم يقل لهم: إنَّا كنا أزمعنا على المسير إلى معاوية، فتحرك هو نحونا، لأن هذا الكلام يجعل معاوية في موقع البريء المدافع عن نفسه، والساعي إلى درء الخطر الذي يتهدده.

والإمام الحسن هو الذي يبغي له الغوائل، ويخطط للعدوان على من هو غافل عنه. وهذا يثير حالة من العطف على معاوية، ويظهره بمظهر المظلوم.

ويتأكد هذا المعنى إذا كان هناك من خدعته شائعات معاوية، واحتمل أن ما جرى في قضية التحكيم بعد صفين، قد جعله يتشبث بشيء من المشروعية، خصوصاً بين من لا يفرِّقون بين الناقة والجمل.. بسبب سذاجتهم أو غفلتهم، أو انسياقاً مع أهوائهم وعصبياتهم ومصالحهم.

3 ـ من أجل ذلك قال «عليه السلام»: «بلغني أن معاوية بلغه: أنَّا كنا أزمعنا على المسير إليه، فتحرك لذلك».

وهي كلمة دقيقة في مؤداها، وما تريد أن توحي به:

فأولاً: إن ما بلغ معاوية لا شك في أنه أمر مكذوب، إما من قبل معاوية وفريقه، أو من قبل من أخبره.. لأن الناس كلهم يعلمون أن الإمام «عليه السلام» لم يحرك ساكناً فيما يرتبط بمهاجمة معاوية وأهل الشام..

وقد تقدم تحت عنوان: «الصلاة جامعة» بعض ما يشير إلى هذا المعنى. فللناس أن يعتبروا: أن من القريب جداً: أن يكون معاوية هو الذي أشاع هذا الأمر، ليبرر جمعه الجيوش، ومهاجمة أهل العراق، لعلمهم بأن الإمام الحسن «عليه السلام» لم يذكر شيئاً من ذلك، ولا تصرف تصرفاً يوحي بمثل هذه المقاصد.

ثانياً: إن مجرد أن يبلغ معاوية شيء من هذا عن الإمام الحسن، لا يبرر جمعه للجيوش، والتحرك نحو العراق، فقد كان بإمكانه أن يتحقق من هذا الأمر من خلال عيونه وجواسيسه..

كما أنه كان يمكنه أن يستخبر عن صحة هذا الأمر من الرؤساء والزعماء العراقيين، الذين كانوا يراسلونه ويراسلهم سراً.

أخرجوا إلى المعسكر حتى ننظر وتنظرون:

والذي طلبه الإمام الحسن «عليه السلام» من الناس في خطبته هذه، ليس هو الخروج للحرب، بل ولا حتى الإستعداد لها.. بل هو لم يذكر الحرب لهم من قريب ولا من بعيد، ولو على سبيل الإحتمال.. وإنما اكتفى بما يدل على بعد نظر في سياسة العباد والبلاد، بنحو لا نظير له، إلا لدى الأئمة الطاهرين المعصومين «عليهم السلام».. فلاحظ ما يلي:

أولاً: لقد اتخذ «عليه السلام» خطوة احتياطية تمنع من التعرض والخضوع لمفاجآت غير حميدة من سرايا يرسلها معاوية للإغارة على الآمنين في طول البلاد وعرضها، كما كان يفعل في عهد أمير المؤمنين «عليه السلام»..

كما أنه ربما كان معاوية قد دسَّ جماعات بين الناس، أو ممن اشترى دينهم وضمائرهم ـ كخلايا نائمة، يقدر على إيقاظها حين الحاجة ـ لكي تقوم باغتيالات، أو للعبث بالأمن بإثارة قلاقل وأعمال شغب تربك الحالة العامة في البلاد، في فترة وصوله في عديده وعدَّته، ليهيمن على الأمور من موقع القوة.

وربما، وربما، فكان لا بد من إجراء احتياطي، ولو بحراسات واحتياطات

لمواجهة أي طارئ.

ثانياً: إن اتخاذ هذا الإجراء يبدأ باللقاء، وعرض المشكلات، وتبادل وتداول الآراء في سبيل حلِّها، واتخاذ القرارات المناسبة فيها.

ثالثاً: إنه «عليه السلام» بذلك يكون قد أشرك الناس في معالجة الوضع، وأعطاهم حق إبداء الرأي، وإعمال الفكر في مثل هذا الشأن المهم والخطير، الذي يمس مستقبل الأمة ودينها، وحياتها، وسعادتها..

فجعل الغاية من الخروج إلى المعسكر بالنخيلة هو: «حتى ننظر، وتنظروا، ونرى وتروا».

رابعاً: إنه «عليه السلام» لم يفرض عليهم رأياً معيناً بصورة مسبقة، ولا ألمح إلى منحى معين يفضل السير فيه، ويريد أن يتلمس حظوظه في النجاح وعدمه.

خامساً: يبدو لنا: أن قرار الحرب والسلم، وإن كان للإمام نفسه، ولكن للمقاتلين، وحملة أعباء الحرب أيضاً أثر حقيقي فيه..

فلا بد من رصد مدى اقتناعهم بها، ودرجة استعدادهم النفسي والفكري، والإعتقادي، والإيماني لها، وظروفهم الإجتماعية، والإقتصادية، وعلاقاتهم بمحيطهم، وحفظ مصالحهم، وغير ذلك..

فإن لذلك كله أثره في تكوين الرأي الأفضل والأمثل، وفي طبيعة القرار الذي يتخذ في هذا الشأن.

ويتأكد ذلك إذا عرفنا: أن الجهاد عبادة، تحتاج إلى النية الصادقة مع الله، والقناعة التامة، فلا يمكن أن يفرض الجهاد على أحد، وإنما الذي يفرض هو القتال، من دون أن يرتقي إلى مستوى الجهاد..

ولأجل ذلك كان رسول الله «صلى الله عليه وآله» يشاور أصحابه في أمر الحرب، ثم يتخذ القرار، وفق المعطيات التي يلمسها لديهم..

الإمام يتوقع خذلان الناس له:

وقد صرحت رواية المعتزلي ـ بقول الراوي عن مضمون خطبته الأولى «عليه السلام» ـ: «وإنه في كلامه ليتوقع خذلان الناس له».

وقد صدق ما توقعه بالفعل حين وجم الناس لكلامه، ولم يجيبوا بشيء، يقول النص: «فسكتوا فما تكلم منهم أحد، ولا أجابه بحرف»..

وقد يفهم من هذا:

أولاً: إن الإمام الحسن «عليه السلام» الذي كان يتوقع خذلان الناس له.. قد خاطبهم بطريقة هيِّنة ليِّنة إلى حد أنه لم يطلب منهم سوى الإستعداد الإحتياطي حتى لا تأخذهم سرايا معاوية على حين غرَّة، بعد أن أخبرهم بأن معاوية قد تحرك لغزو بلادهم.. بل هو لم يشر إلى الحرب الشاملة، بل لم يصرح باحتمال الحاجة إليهم، ليصدوا عدوهم القاصد لهم عن أنفسهم.. مع أنه «عليه السلام» لم يكن قد تكلم مع الناس عن الحرب مع معاوية قبل تحرك معاوية بجيوشه إليهم..

وهذا يدل على خبرة عميقة ودقيقة له «عليه السلام» بالناس، وبأحوالهم، وميولهم، وتشتت آرائهم، ومدى تماسكهم الإجتماعي، ومدى وضوح الرؤية لديهم..

وقد عاملهم وفق ما تقتضيه معرفته بهم، بصورة بالغة الدقة لا يمكن أن

يتصور أحد وجود بديل عن تلك الطريقة، إذا امتلك خبرة الإمام الحسن بمواقع الناس، وبما يصلحهم.

ثانياً: إن هذا الوجوم المطبق الذي واجه الناس به خطبة الإمام الحسن «عليه السلام» كان غريباً، فإن خبراً كهذا الذي أورده الإمام الحسن على مسامعهم يتوقع أن يثير مشاعرهم، حين يجدون أنفسهم فجأة أمام خطر وجودي داهم، كان يفترض أن يدفعهم، ولو لإظهار الإهتمام بالأمر، لاسيما وأنهم شهدوا مآسي صفين، وذاقوا طعم الحروب، وعانوا أسباب طمع عدوهم فيهم، وقد عاينوا أنه يزيد من نشاطه الإعلامي الهادف إلى هزيمتهم النفسية، لتصبح الهزيمة العسكرية مجرد إجراء روتيني، لعملية تسلم وتسليم البلاد والعباد طعمة للعدو، ليقرر فيهم ما يشاء وما يحلو له.

الثياب السود:

قال المدائني: إن الإمام الحسن «عليه السلام» حين خرج للناس ليبايعوه: «خرج إليهم وعليه ثياب سود»[1].

والظاهر: أنه «عليه السلام» كان يريد بلباسه هذا: أن يظهر الحزن على أبيه، ولأجل ذلك التفت الناس إلى ذلك، وسجَّلوه، ورووه.

ولباس السواد، وإن كان منهياً عنه، وهو لباس الجبابرة، لكنه ليس مكروهاً لإظهار الحزن، لأن دلالته على المصيبة تشي بالإنكسار أمامها، وتزيل

---

(1) بحار الأنوار ج45 ص188 و 196 و 195 وج79 ص84.

الشعور بالجبارية والفرعونية.

وقد ورد: أنه لما قتل الحسين «عليه السلام» لبس نساء بني هاشم السواد والمسوح[1].

منبج لماذا؟!:

وقد رأينا: أن معاوية لم يسلك الطريق الأقصر إلى الكوفة، وهي طريق الصحراء.. بل سلك طريق الشمال، حتى بلغ منبجاً، القريبة من تركيا، ثم عطف منها إلى جهة الشرق، حتى بلغ مسكن، ومنها يريد الوصول إلى الكوفة.

ولعل سبب ذلك: أنه أراد أن يسير في طريق تتوفر فيه المياه الغزيرة، فإن جيشه الذي يعدُّ بعشرات الألوف يحتاج إلى الكثير الكثير من الماء، لاسيما وأن التنقل في تلك الأيام كان بواسطة الإبل وغيرها مما يحتاج إلى العلف الكثير، والماء الغزير، وكانت هذه المياه تتوفر في نهري دجلة والفرات، أكثر من أي مصدر آخر.

وهذا يفسر: لنا سبب مجيئ السبايا من كربلاء إلى الشام من نفس هذا الطريق أيضاً.

ويفسر لنا: سبب سلوك أمير المؤمنين «عليه السلام» نفس هذا الطريق، ومرَّ على الرقة حتى بلغ صفين.

---

(1) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج16 ص22.

المخلصون الغيارى:

ومن هنا جاء موقف عدي بن حاتم، وقيس بن سعد، وزياد بن خصعة التميمي، ومعقل بن قيس مستهجناً ورافضاً لهذه الحالة التي ظهرت من الناس، فإنها كانت حالة غريبة وصادمة، وإذا ألقينا نظرة على كلمات عدي بن حاتم، فنجد أنها حملت السمات التالية:

1 ـ إنه «رحمه الله» تحدث مع الناس بمنطق النبل والشهامة، والإباء والكرامة. حيث أثار أمامهم ما حرك فيهم مسألة العزة والوفاء، والترفع عن القبائح، حيث قال لهم: «سبحان الله ما أقبح هذا المقام»..

2 ـ أثار بهم أيضاً موضوع الطاعة لمقام الإمامة، والوفاء بالبيعة، وذلك بقوله لهم: «ألا تجيبون إمامكم»؟!

3 ـ وأشار إلى موضوع الوفاء لنبيهم بحفظه في ولده، بقوله: «وابن بنت نبيكم».

4 ـ ثم أشار إلى الإلتزام الديني، ومراعاة ما يفرضه عليهم إسلامهم بقوله لهم: «أين المسلمون»؟! وكأنه يبحث عنهم ولا يجدهم. وهذا تحفيز آخر منه لهم يضاف إلى ما تقدم.

5 ـ ثم أشار «رحمه الله» إلى معنى آخر يفترض أن يراعوه، وأن يهتموا به، لأنه من مظاهر الرئاسة والزعامة، وهو القدرة على البيان، والشجاعة التي تدعو لاتخاذ المواقف الجريئة التي تؤكد رئاستهم وزعامتهم لقبائلهم.

فهل يعقل أن تكون هذه المظاهر زائفة، وهي مجرد انتفاخات، لا تلبث أن تتلاشى إذا جدَّ الجد، وبلغ السيل الزبى، والحزام الطبيين؟!

أو هي مجرد شعارات ترفع، ولافتات تخدع، وهي تفرق ولا تجمع، ولا تبصر ولا تسمع؟!

6 ـ وقد قال «رحمه الله» ما تقدم بعد أن غمز من قناة العزة القبلية، والغرور العشائري، فقال: «أين خطباء مضر الذين ألسنتهم كالمخاريق في الدعة، فإذا جدَّ الجد فروَّاغون كالثعالب؟!

وبذلك يكون قد رمى عصفورين، فأصابهما بحجر واحد..

المخاريق: جمع مخرق، وهو المنديل أو نحوه، يلوى فيضرب به..

ثم أجمل جميع ما تقدم بثلاث كلمات هي: «أما تخافون مقت الله، ولا عيبها، وعارها»؟!

7 ـ وقد لفت نظرنا: أن عدي بن حاتم قد خرج من المسجد قاصداً المعسكر مباشرة، ولم يعرج على بيته لكي يصطحب معه ما يحتاج إليه في مسيره ذاك، بل طلب من غلامه أن يلحقه بما يحتاج إليه..

ولعله أراد أن يقطع دابر أي وهم أو اتهام، أو خيال زائف قد يراود ذهن بعض الغافلين، أو أن ينسج بعض أهل الأهواء والمغرضين أباطيله على نوله بزعم أن عديّاً لم يخرج إلى العسكر، بل هو قد وقع بنفس ما حذر غيره منه، وما لامهم وأنَّبهم عليه.

كما أن هذا يشير إلى أهمية المبادرة وعدم التسويف، ولأجل ذلك نزل الإمام «عليه السلام» عن المنبر وقصد النخيلة مباشرة حيث المعسكر، لكي يقتدي سائر الناس بهم.

الإمام الحسن إلى المعسكر:

قالوا:

ونزل الإمام الحسن عن المنبر، متوجهاً إلى العسكر، وكان المعسكر في النخيلة (موضع قرب الكوفة إلى جهة الشام) مباشرة، فإن القائد الأريب، والحاذق اللبيب لا يكتفي بإصدار الأوامر للناس من برجه العاجي، ولا يحارب عدوه بغيره بل يحاربه بنفسه، لأن العدو عدوٌّ له، وعدو لشعبه، فعليه أن يشاركهم في دفع الأعداء، وأن يخوض معهم الغمرات، ويقدِّم هو وإياهم التضحيات.

بل يجب أن يكون أشدَّ منهم حماساً، وأكثر بذلاً، وأعظم تضحية، وإقداماً، لأنه المسؤول عنهم، والأسوة والقدوة لهم.. وهو الأكثر وعياً فيهم، ودراية بعواقب تسلط الطواغيت وأهل الباطل على الحق وعليهم. والمسموع الكلمة فيهم. وهذه إمكانات يملكها، وقدرات يمتاز بها، فعليه أن يوظفها لصالحهم، ولا يدَّخر منها شيئاً.

من النخيلة إلى دير عبد الرحمان:

تقدم: أن الإمام الحسن «عليه السلام» سار في عسكر عظيم ـ كما يقول أبو الفرج ـ وعدة حسنة، حتى نزل دير عبد الرحمان، فأقام ثلاثاً حتى اجتمع الناس..

ولكن ينبغي لفت النظر إلى ثلاثة أمور:

أولها: أن هذا العسكر العظيم إنما اجتمع معظمه بجهد علي أمير المؤمنين

«عليه السلام»، الذي كان يهيئ للعودة إلى صفين، بعد ظهور غدر معاوية، والإحتيال الفاضح، والمكر الواضح الذي جرى في التحكيم، وكان «عليه السلام» قد أمَّر الحسين «عليه السلام» على عشرة آلاف من هذا الجيش، وقيس بن سعد على عشرة آلاف، وأبا أيوب على عشرة آلاف، وأمَّر آخرين على اعداد أخر، كما سيأتي.. ثم وافته المنية، قبل أن تدور الجمعة..

الثاني: إن هؤلاء الذين اجتمعوا بجهد علي أمير المؤمنين «عليه السلام»، إنما حافظوا على اجتماعهم، لأنهم عرفوا أو ظنوا، أو توقعوا: أن يخصهم الخليفة الذي يبايعه الناس بعد استشهاد أمير المؤمنين «عليه السلام»، وأنه سوف يحبوهم بزيادات في أعطياتهم..

وهذا ما حصل بالفعل، فقد قال أبو الفرج: «وكان أول شيء أحدثه الحسن «عليه السلام»: أنه زاد المقاتلة مائة مائة.

وقد كان علي «عليه السلام» فعل ذلك يوم الجمل. وفعله الحسن حال الإستخلاف، فتبعته الخلفاء من بعده في ذلك»[1].

ويلاحظ: أنه ذكر: أن علياً «عليه السلام» قد زاد المقاتلة في حرب الجمل، ولم يذكر زيادة في حرب صفين.

ولعل سبب ذلك: أن حرب الجمل كانت هي الحرب الأولى في خلافة علي، وهو أول من زادهم في العطاء ليس لأجل الحرب، بل لأجل حاجة

---

(1) مقاتل الطالبيين ص55 و (ط المكتبة الحيدرية) ص34 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج16 ص33 وصلح الحسن لآل ياسين ص80 .

الناس إليها في تلك الفترة التي هي أول فترة بدء خلافته «عليه السلام».

وربما كان الهدف من هذه الزيادة هو إظهار الإهتمام بهم، وترغيبهم بالتزام هذا النهج الذي يحفظ به الدين، وتصان كرامة الأمة.. بالإضافة إلى أنه يخفف عنهم عبء الحياة وأثقالها، ويؤكد لديهم الشعور بالمساواة في الحقوق مع غيرهم.. ولا يعاملون بمنطق التفضيل الطبقي، المستند إلى تصنيفات غير منطقية، لا يرضاها الله ورسوله..

الثالث: إن هذه الكثرة التي ظهرت لأول وهلة في عسكر الإمام الحسن «عليه السلام» سرعان ما تلاشت وتبخرت، تحت وطأة الخيانات ونكث العهود، وخلف الوعود.. كما سنوضحه إن شاء الله تعالى.

سرايا لوقف زحف معاوية:

وتقدم: أن الإمام الحسن «عليه السلام» قد وجَّه من دير عبد الرحمان ابن عمه عبيد الله بن عباس، ليحبس معاوية حيث يلتقي به عن مواصلة مسيره، إلى أن يصل إليه الإمام الحسن «عليه السلام»، ونهاه عن قتال معاوية إلا دفاعاً عن النفس.

وفي التوجيهات التي خص بها الإمام الحسن «عليه السلام» ابن عمه عبيد الله بن عباس أمور كثيرة ينبغي التوقف عندها، ونذكر منها ما يلي:

1 ـ لقد وصف «عليه السلام» الاثني عشر ألفاً الذين أمَّر عليهم عبيد الله بن عباس بما يلي:

ألف: إنهم من فرسان العرب.. مما يعني: أن أثرهم في الحرب سيكون قوياً وحاسماً، فعليه أن يحفظهم، وأن لا يدَّعي: أن من معه هم شوب من

الناس العاديين، الذين يقلُّ فيهم من يحسن القتال، ومن يمكن أن يعتمد عليه في الحرب.

وبذلك يكون «عليه السلام» قد سدَّ على عبيد الله، باب التذرع بضعف القوة التي جعله قائداً لها لتبرير استسلامه لمعاوية، أو لأي تصرف مهين ومشين آخر.

ب: إنهم قرَّاء المصر الذي عاشوا فيه، فلهم مكانتهم المرموقة، وعزتهم الظاهرة من خلال استقامتهم على طريق الحق والخير، كما أن كونهم قرَّاء يجعلهم أكثر قرباً من المفاهيم والمعاني، والقيم والدين، وبالتالي يكونون أعرف وأوعى من غيرهم من الناس الذين يهتمون بشؤونهم ومصالحهم الدنيوية.

ويتوقع في مثل هؤلاء الصلاح والفلاح، ويتوسم فيهم الصدق والعزيمة، والجدية، والشجاعة والثبات.

ج: ثم قال: «الرجل منهم يزيد (يزن خ.ل) الكتيبة» وقد تكون كلمة يزيد مصحفة عن يزين بالنون.. التي تعني: أنه يوازي الكتيبة بأكملها في قيمته وشجاعته، وهم أيضاً قرَّاء المصر، فهم أهل دين وتقوى.. وهذا ثناء جميل، يعطي قيمة عالية لهذه الفرقة، فلا ينبغي التفريط فيها، بتعريضها للأخطار، أو بتضييع جهدها، وتشتيت قدراتها أو الإخلال بتماسكها، وتفريق جمعها.

كيفية التعامل مع هذه الفرقة:

ألف: ثم حدد «عليه السلام» لعبيد الله كيفية التعامل مع هذه الفرقة

بالنقاط التالية:

1 ـ أن يلين لهم جانبه، فلا يعاملهم بعنجهية وجفاء وحدِّية وخشونة، فقد قال له: «ألن لهم جانبك».

2 ـ أن يبسط لهم وجهه، فيلاقيهم بالبشر والبشاشة، حيث قال له: «وابسط لهم وجهك».

3 ـ أن يعاملهم بالإكرام، والتبجيل، والإحترام، والتواضع لهم، فقد قال له: «وافرش لهم جناحك».

4 ـ أن يجلسهم بالقرب منه، ولا يقصي مجلسهم عنه، فإن قرب مجلسهم يمكِّنهم من الإفصاح عن حاجاتهم، والجهر له بما في ضمائرهم، والبوح له بما يكتمونه في قلوبهم. ولذلك قال له: «وادنهم من مجلسك».

ب: ثم بيَّن له سبب إصدار هذه التوجيهات له، وهو: أنهم بقية ثقات أمير المؤمنين.. فإن هذا النحو من التعامل معهم يعتبر براً ووفاءً لأمير المؤمنين «عليه السلام» نفسه. كما يعدُّ مكافأة لهم، ورفعاً لمقامهم وتنويهاً بشأنهم.

وكأن هذا التعليل جاء أيضاً لحث عبيد الله على أن يتصرف معهم بنبل وشهامة، ولا يتهاون في هذا الأمر، فإنه حق لهم، وليس تفضلاً منه عليهم..

ج: إن كونهم من ثقات أمير المؤمنين يتضمن تحذيراً له بأن ذلك يجعل أي وهن أو خلل من موجبات توجه الإدانة والتهمة له بالتقصير تجاههم..

خطة عمل لابن عباس:

وتقدم: أن الإمام الحسن «عليه السلام» قد رسم لابن عباس خطة

عمل دقيقة وشاملة، فهو:

أولاً: أعطاه نظرة دقيقة عن هذه الجماعة التي أمَّره عليها كما تقدم.

ثانياً: حدد له طريقة التعامل معها، كما بيَّناه.

ثالثاً: حدد له الطريق التي يسلكها، ومقصده الذي ينتهي إليه، وبيَّن له موضع نزوله، فأمره بما يلي:

ألف: أن يلزم شط الفرات إلى أن يقطع بهم الفرات.

ب: إذا قطع الفرات عليه أن يقصد إلى مسكن.. وهو موضع على نهر دجيل.

ج: وبعد ذلك يمضي حتى يستقبل بجيشه معاوية.

د: إذا لقي معاوية فعليه أن يحبسه إلى أن يصل الإمام الحسن «عليه السلام»، مما يعني: أن عليه أن يتصرف بنحو لا يجد معاوية منفذاً يواصل منه مسيره إلى الكوفة.. أي أنه لا يريد أن يمكن معاوية من الوصول إلى مناطق حساسة داخل البلاد.

هـ: وقد حدد له وقت وصول الإمام الحسن «عليه السلام» إليه، حيث ذكر له: أنه على أثره، وسيصل إليه وشيكاً.

أوامر أخرى أصدرها لابن عباس:

ثم أصدر «عليه السلام» إلى عبيد الله بن عباس الأوامر التالية:

1 ـ أن يزوِّده بالأخبار كل يوم.

2 ـ أن يشاور في قراراته رجلين هما:

ألف: قيس بن سعد بن عبادة. وهو من دهاة العرب، ومن المخلصين للحق وأهل الحق، وقال عنه الإمام الحسن «عليه السلام»: إنه من الذين يعرفهم بصدق النية، والوفاء والقبول، والمودة الصحيحة.

ب: سعيد بن قيس.

3 ـ أمره أن لا يقاتل معاوية حتى يقاتله معاوية.

4 ـ فإن قاتله معاوية فعلى عبيد الله أن يقاتله.

5 ـ فإن أصيب عبيد الله بن عباس (بأن قتل أو جرح) فقيس بن سعد على الناس، فإن أصيب قيس، فسعيد بن قيس على الناس.

فسار عبيد الله بن عباس، حتى انتهى إلى شينور، وهو صقع بالعراق بين الكوفة وبابل..

وواصل مسيرة حتى خرج إلى شاهي.. وهي موضع قرب القادسية، ثم لزم الفرات والفلوجة، وهي مدينة معروفة.. وواصل مسيره حتى أتى مسكن، وهو موضع على نهر دجيل.

وكان معاوية هناك..

الفصل الرابع

الخيانات.. وأسبابها..

بداية:

ذكرنا في الجزء الأول من كتابنا: علي والخوارج ج1 ص43 ـ 90 كلاماً مطولاً يوضح بعض الجوانب التي كان العراقيون يعانون منها.. فالرجوع إلى ذلك الكتاب ربما كان مفيداً في وضوح الصورة هنا، ويساعد على فهم خلفيات الأحداث التي مرَّ بها الإمام الحسن «عليه السلام»..

ونكتفي هنا بما أشار إليه الشيخ المفيد «رحمه الله»، وتابعه عليه غيره مما فُسِّر به حصول الخيانات المتعددة من قيادات عراقية، أدت إلى فقدان القدرة على دفع معاوية عن الإستيلاء على العراق بالقوة.. الأمر الذي فرض على الإمام الحسن «عليه السلام» اعتماد مخرج يجنب العراقيين الكارثة التي تحيق بهم.. فكان ما يسمى بالصلح كما سنرى..

وقد قسَّم الشيخ المفيد «رحمه الله» المجتمع العراقي إلى عدة فئات، فقال:

«تحرَّك الإمام الحسن «عليه السلام»، وبعث حجر بن عدي يأمر العمال بالمسير، واستنفر الناس للجهاد، فتثاقلوا عنه، ثم خفوا، ومعه أخلاط من الناس:

1 ـ بعضهم شيعة له ولأبيه.

2 ـ وبعضهم محكِّمة[1]، يؤثرون قتال معاوية بكل حيلة.

---

(1) المحكِّمة: هم الخوارج.

3 ـ وبعضهم أصحاب فتن، وطمع في الغنائم.

4 ـ وبعضهم شكاك.

5 ـ وبعضهم أصحاب عصبية، اتبعوا رؤساء قبائلهم، لا يرجعون إلى دين..»[1].

وقد لفت نظرنا هنا الأمور التالية:

أولاً: إن وجود المحكِّمة، وهم الخوارج في جيش الإمام الحسن «عليه السلام»، يحتاج إلى تفسير، فإنهم قد حاربوا أباه في النهروان، وقتل منهم الألوف، ولم يكونوا يحبون الإمام الحسن «عليه السلام»، فكيف يدخلون في جيشه ليحاربوا معه عدوه معاوية؟!

فيبدو لنا: أن انضمامهم إلى جيش الإمام الحسن، كان إما طمعاً بالحصول على العطاء، وإما لكي يتقووا بالإمام الحسن وجيشه على حرب معاوية، فإنهم كما قال المفيد «رحمه الله»: «يؤثرون قتال معاوية بكل حيلة»، فإن تمكنوا من القضاء عليه فبإمكانهم التفرغ للإمام الحسن «عليه السلام» لأنهاء أمره بقتله غيلة كما قتلوا أباه «عليه السلام»، أو بدسّ السم إليه، أو بمحاربته إن وجدوا إلى ذلك سبيلاً..

ثانياً: إن الإمام الحسن «عليه السلام» كان ولا شك عالماً بتركيبة جيشه، وكان يعلم من أول الأمر أنه جيش لا تتلاءم أهدافه وطموحاته، وما يسعى

---

(1) الإرشاد ج2 ص10 والعوالم ج16 ص156 و 169 عنه، ومناقب آل أبي طالب ج4 ص32 وبحار الأنوار ج44 ص46 و 54 والفصول المهمة لابن الصباغ ج2 ص720 و721 وكشف الغمة للأربلي ج2 ص338.

إليه مع أهدافه «عليه السلام» لا من قريب ولا من بعيد.. فإن أربعة أقسام من أصل خمسة من هذا الجيش هم أعداء له «عليه السلام»، ولشيعته، ويغردون خارج السرب، فالخوارج أمرهم واضح..

وأما أصحاب المطامع، الذين يبحثون عنها أينما وجدت، فلا شك في أنهم يطمعون بها لدى معاوية الذي هو من فصيلتهم، وعلى مثل رأيهم، فهم أقرب إلى معاوية في مفاهيمهم، وطموحاتهم، ودرجات التزامهم الديني، ونظرتهم إلى الأمور، وغير ذلك.. لاسيما وأنهم أيضاً مثل معاوية الذي لا ينطلق من موازين شرع وعدل، ولا يلتزم بأخلاق وقِيم، ومعاني إنسانية، وغير ذلك.. فمعاوية أقرب إليهم من الإمام الحسن «عليه السلام» الذي لا يحيد عن أحكام الشرع والأخلاق والقيم قيد شعرة.

ولأجل ذلك كان هؤلاء هم حزب معاوية وأنصاره، وجواسيسه، ووسائله الخفية والظاهرة.

وأما الشكاكون، فلا يمكن الإعتماد عليهم، لأن شكهم بصحة ما هم عليه، وفقدانهم اليقين بحق علي وأهل بيته، وبباطل معاوية، وسوئه، وانحرافه.. يجعلهم بلا أثر، ولا موقف، ولا دور، لأنهم لا يملكون الدافع للحرب والقتال، والتضحية، وبذل الأرواح.

وأما أتباع الرؤساء وزعماء القبائل، ومن تُحركهم ولاءاتهم العشائرية، وعصبياتهم القبلية.. فلا ينطلقون في مواقفهم من مبادئ ومعايير، يمكن إلزامهم أو إحراجهم بها.. بل ينطلقون من مشاعرهم وأهوائهم وعصبياتهم.

والمؤتمرون بأمر الزعماء والرؤساء أيضاً لا يملكون إرادة، ولا خياراً

ولا اختياراً، بل تكون شخصياتهم مسحوقة وخاوية من أي ربح أو معنى إيجابي. وهؤلاء بمثابة سلع تباع وتشترى، وهم إن ينصروا الحق ساعة، فإنهم سوف ينصرون الباطل وأهله كل ساعة.

ثالثاً: وهذا الذي ذكرناه يدلنا على أمرين هما غاية في الأهمية:

الأول: أن الفئة الخامسة التي هي شيعة لعلي وولده «عليهم السلام»، ليست فقط لا تلتقي ولا تنسجم مع الفئات الأربع الأخرى، بل هي على نقيض تام معها، في مختلف الإتجاهات، الأمر الذي ينذر بالإنفجار لأدنى احتكاك يحصل، وسيكون هذا هو الخطر الأعظم، والأشر والأضر من خطر معاوية، وكل جيوشه، فكيف إذا انضمت تلك الفئات الأربع كلها إليه، لتتشارك معه في افتراس هذه القلَّة القليلة من شيعة الحسن وشيعة أبيه، بالإضافة إلى أهل البيت «عليهم السلام»؟!

وستكون هذه الفئات الأربع المنحرفة هي الأقدر على استخراج أولئك الأخيار من كل مخبأ، أو أي ملجأ.. ليتم استئصالهم عن آخرهم..

الثاني: إن هذا الذي أشرنا إليه يفسر لنا كثيراً من مفردات تعامل الإمام الحسن «عليه السلام» مع أصحابه، ويظهر لنا خططه لصد معاوية عن إنزال الكارثة في حق مناوئيه من العراقيين وغيرهم ـ صده عن ذلك ـ بهذه الطريقة الذكية جداً، حيث لم نجده يفعل ما كان يتوقعه معاوية وسائر الناس منه، وهو أن يجمع الجيوش الغفيرة والكثيرة لينطلق بها إلى معاوية، مع مزيد من الهياج، والضجيج، والزعيق، والعجيج.

لأنه «عليه السلام» كان يعلم: أن ذلك سيتلاشى أمام بهرجات معاوية

وهو يلوح لهم بالمتخمات من البدر، ويبرز لهم الدراهم والدنانير والدرر، التي يسيل لها لعابهم، وتخضع لها رقابهم، ويطير لها صوابهم.

رابعاً: من أجل ذلك رأينا الإمام الحسن ينفذ خطة ذكية ورائعة، حيث بدأ بالعمل على عرقلة وإبطاء حركة معاوية، ومنعه من التوغل في العمق العراقي، حيث الكثافة السكانية، والمصالح الحيوية للبلاد، لأنه يعلم أنه سيكون توغل بطاش ماكر، وظالم جائر، لا يراعي حرمة، ولا يتورع عن ارتكاب أي موبقة..

فبدأ بإرسال السرايا والبعوث إليه ليشغله بها.. إلى أن ينجز «عليه السلام» كشف المستور من واقع جيشه ومن ينسب نفسه إليه، ومن يفترض أن يعتمد عليه في حربه، أو أي حرب أخرى..

وأسفر الصبح لذي عينين، إذ سرعان ما تفرق عنه طلاب الدنيا، بالرغم من وعودهم وعهودهم، وبالرغم من الأيمان التي لا تقوم لها الجبال.. وعدوا عليه، وكادوا يقتلونه، وكاتبوا عدوه بأنهم مستعدون لتسلميه إليه، أو قتله، كما سنرى.

أي أن الإمام الحسن «عليه السلام» كان ينفِّذ خطة ترمي إلى إبعاد القوى الخائنة من جيشه، وتحديد من يمكن الإعتماد عليهم من جيشه الذي يعرف الإمام الحسن «عليه السلام» أحواله بدقة متناهية، فهو يريد تحديد ولاءات ذلك الجيش، وأن يستثير كوامنه لتعبر عن نفسها قبل الدخول في الحرب، لعلمه بأنه لو دخل الحرب وعبرت عن نفسها بسلوكها ومواقفها بمحضر العدو لم يبق حجر على حجر، ولأبيد شيعته على بكرة أبيهم.

وقد حصل له ما أراد على حين غفلة من معاوية، وتمكن من أن يربح بسلمه وصلحه ما يستحيل الحصول عليه بالحرب، بل كان سيحصل على فاجعة عظمى، وأعظم بلاء وشقاء عرفته البشرية.

وقد نتج عن هذه السياسة التي اتَّبعها، والخطة التي نفذها «عليه السلام»، حفظ شيعته، وسائر الناس من أهل العراق وغيرهم، واستطاع أهل البصيرة أن يدركوا عظمة الإمام الحسن «عليه السلام»، وبعد نظره.. وأنه قد حقق أعظم نصر على أمكر الناس، بتجنيب الأمة كارثة عظمى كانت على وشك أن تحلّ بها.

وقد تمكن من ذلك بدون تقديم أية خسائر، بالرغم من أن عدوَّه قد غزا بلاده بعشرات الألوف، أو أزيد من ذلك.. في حين أنه لم يكن مع الإمام الحسن سوى بضعة آلاف قد لا يصل عددهم عدد أصابع اليد الواحدة، وقد خانه قوَّاده، بل أقرب الناس إليه، وصاروا إلى عدوِّه.

ونحب أن نرشد القارئ الكريم هنا إلى ما ذكرناه في كتابنا: «علي «عليه السلام» والخوارج» ج1 ص43 إلى ص88.

وبعد هذا الذي ذكرناه، فإننا نحاول الإلمام ببعض تفاصيل ما جرى على النحو التالي:

الحسن × إلى النخيلة:

تقدم: أن الإمام الحسن حين بلغه مسير معاوية بجيوشه إليه، وبلغ إلى منبج، وخطب «عليه السلام» الناس، وأبلغهم ذلك، ذهب مباشرة إلى معسكر النخيلة، ودعا الناس للخروج إلى ذلك المعسكر، فوجموا، ولم يجب منهم

أحد لكن بعض النصوص ذكرت أن الذين أجابوه هم عشرون رجلاً فقط[1].

وقد يرى البعض: أن إجابة العشرين كانت بعد أن تفاقمت الأمور، وأزمع «عليه السلام» الخروج من الكوفة إلى المدينة[2].

بل يروي الخصيبي: أن الإمام الحسن «عليه السلام» يقول: لو كان معه سبعة رجال للزمه حرب معاوية[3].

ولكنهم بعد خروجه من الكوفة راحلا إلى المدينة، جاؤوه، وأخبروه أن سرايا معاوية قد وصلت إلى الأنبار والكوفة، وشنوا غاراتهم على المسلمين، وقتل منهم من لم يقاتله، وقتل النساء والأطفال.. فعاد وأرسل معهم رجالاً وجيوشاً. وعرَّفهم أنهم يستجيبون لمعاوية، وينقضون عهد وبيعة الإمام الحسن «عليه السلام»، فلم يكن إلا ما قاله لهم، وأخبرهم به[4].

وهذا يعطي: أن ما ورد في بعض المصادر من أن الإمام «عليه السلام» بعد خطبته في مسجد الكوفة وسكوتهم قد نزل عن المنبر وتوجه إلى المعسكر بالنخيلة، ربما يكون الراوي قد اختصر ما حدث، وأنه نزل عن المنبر، وتوجه إلى المدينة، فأخبروه بما صنعت سرايا معاوية، فتوجه إلى المعسكر.

---

(1) العوالم ج16 ص148 و 149 عن منتخب بصائر الدرجات، قال المعلق في هامش العوالم: لم نجده وفي منتخب بصائر الدرجات، وهو في كتاب الهداية للخصيبي ص210 وبحار الأنوار ج44 ص67.

(2) راجع المصادر في الهامش السابق.

(3) الهداية الكبرى ص192.

(4) الإمام الحسن للقرشي ج2 ص69.

على أن ظاهر كلام سبط ابن الجوزي وغيره: أن الحسن «عليه السلام» بقي في الكوفة ستة أشهر، ثم خرج منها، ونزل المدائن، وبعث قيساً على مقدمته، وأقبل معاوية من الشام في جيوشه[1].

ويلاحظ هنا: أنه «عليه السلام» قد أرسل عبيد الله بن عباس، وقيس كان هو الأمير الثاني بعد خيانة عبيد الله بن عباس.

وقالوا: إن الصلح أبرم حين كان الإمام الحسن بالمدائن[2].

وصرحت بعض المصادر: بأن كتاب الصلح كتب في شهر ربيع الآخر سنة إحدى وأربعين[3].

وقال ابن الأثير: وبقي «عليه السلام» نحو سبعة أشهر خليفة بالعراق وما وراءه من خراسان، والحجاز واليمن وغير ذلك [1].

---

(1) تذكرة الخواص ج2 ص20.

(2) تذكرة الخواص ج2 ص22 عن صحيح البخاري، الباب 9 من كتاب الصلح، وفتح الباري ج5 ص306 وج13 ص55 وترجمة الإمام الحسن من تاريخ دمشق ص184 والمعجم الكبير ج1 ص104 ـ 105 ومجمع الزوائد ج9 ص145 وتاريخ الأمم والملوك ج4 ص122 وجواهر المطالب لابن الدمشقي ج2 ص197 وراجع: الإحتجاج للطبرسي ج2 ص10 وبحار الأنوار ج44 ص20 واليعقوبي ج2 ص156 و (ط دار صادر) ج2 ص215.

(3) راجع: أسد الغابة (ط دار الكتاب العربي) ج2 ص14.

(1) أسد الغابة ج2 ص13 وطبقات الشعراني، وراجع: الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) ج4 ص77 وتحفة الأحوذي ج6 ص396 وعون المعبود ج12 ص259 وفيض القدير ج3 ص679 وذخائر العقبى ص138.

وقال ابن عبد البر: مكث نحواً من ثمانية أشهر[1].

وقيل: ستة أشهر وثلاثة أيام[2].

وقيل: وخمسة أيام[3].

جيش معاوية:

يلاحظ: أن المعلومات عن عدد جيش معاوية شحيحة جداً، غير أن هناك من قال: إن جيش معاوية كان ستين ألفاً[4].

لكن رواية المفضل بن عمر عن الإمام الصادق تذكر: أن معاوية قد أرسل زياداً إلى الكوفة في مائة وخمسين ألف مقاتل ليقبض على الإمام الحسن وأخيه «عليهما السلام»، وسائر إخوانهما وأهل بيتهما، وشيعتهما، ومواليهما، ويأخذ عليهم البيعة لمعاوية، فمن أبى منهم ضرب عنقه، وأرسل إليه برأسه[1].

لكن قد يشك البعض في ذكر زياد هنا، زاعماً: أن معاوية لم يكن قد استلحق زياداً بعد..

---

(1) الإستيعاب ج1 ص287.

(2) التنبيه والإشراف ص260 والفصول المهمة لابن الصباغ ج2 ص732 وتهذيب التهذيب ج2 ص299.

(3) الفصول المهمة لابن الصباغ ج2 ص732.

(4) راجع: شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج16 ص26 والفتوح لابن أعثم ج2 ص289.

(1) راجع: بحار الأنوار ج44 ص66 وج53 ص21 وإلزام الناصب ج2 ص234 والهداية الكبرى ص414.

ونقول:

إستلحاق زياد لا يحلّ المشكلة:

لا دليل على أن معاوية قد استلحق زياداً في وقت متأخر، لأن الرسائل بين معاوية وبين زياد التي انتهت باستلحاقه قد بدأت بعيد البيعة للإمام الحسن «عليه السلام»..

فالراجح: أن استلحاقه قد حصل قبل الصلح الذي حصل بعد أكثر من ستة أشهر من البيعة للإمام الحسن، وقد طعن الإمام الحسن «عليه السلام» في مظلم ساباط قبل الصلح[1].

وتفصيل الكلام في ذلك أن يقال:

قد يتوهم متوهم: أن الحديث عن تولي زياد ابن أبيه لقيادة جيش معاوية، البالغ مئة وخمسين ألفاً، لا يصح.. لأن معاوية إنما استلحق زياداً في سنة 44هـ كما زعموا[1].

---

(1) راجع: العوالم ج16 ص144 وإختيار معرفة الرجال (رجال الكشي) ص112 و (نشر مؤسسة آل البيت لإحياء التراث) ج1 ص329 ـ 330 وبحار الأنوار ج44 ص60 ـ 61.

(1) أسد الغابة ج2 ص216 وتاريخ الأمم والملوك ج4 ص163 والكامل في التاريخ ج3 ص441 والمنتظم في تاريخ الأمم والملوك ج5 ص210 والمختصر في أخبار البشر ج1 ص184 و 185 وتاريخ الإسلام للذهبي ج4 ص13 والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج8 ص31 وعيون الأثر ج2 ص389 وتاريخ الخلفاء ص235 ونهاية الأرب ج20 ص302 وخزانة الأدب ج6 ص49 و 50

والإتفاق على الكفّ عن الحرب فيما سمي بـ «الصلح» بين معاوية والإمام الحسن «عليه السلام» قد حصل سنة إحدى وأربعين.. فزياد لم يكن في حزب معاوية في هذا التاريخ..

ونجيب:

أولاً: بأن استلحاق زياد لو صح أنه قد حصل سنة أربع وأربعين للهجرة، إلا أن إعلان التحاق زياد بمعاوية قد كان قبل ذلك بسنوات.

ويشهد لذلك:

ألف: أن معاوية كان يعمل على الفوز بولاء زياد، وإطماعه باستلحاقه في وقت مبكر، حتى قبل استشهاد أمير المؤمنين «عليه السلام»، فقد قال ابن الأثير:

فلما ولي علي الخلافة استعمل زياداً على فارس، فضبطها وحمى قلاعها، واتصل الخبر بمعاوية فساءه ذلك، وكتب إلى زياد يتهدده، ويعرِّض له بولادة أبي سفيان إياه.

فلما قرأ زياد كتابه قام في الناس وقال: العجب كل العجب من ابن آكلة الأكباد ورأس النفاق يخوفني بقصده إياي، وبيني وبينه ابنا عم رسول الله «صلى الله عليه وآله» في المهاجرين والأنصار الخ..

وكتب زياد إلى علي يخبره بما كتب إليه معاوية.

وفي نص آخر قال: وبلغ ذلك علياً، فكتب إليه: إني ولّيتك ما وليتك

والكنى والألقاب ج1 ص304 عن ابن شحنة في الروضة.

وأنا أراك له أهلاً، وقد كانت من أبي سفيان فلتة من أماني الباطل وكذب النفس، لا توجب له ميراثاً، ولا تحل له نسباً الخ..

ثم يذكرون: أن زياداً نفسه قد حرَّك موضوع الاستلحاق، بعد أن صالح معاوية.. بعد استشهاد علي «عليه السلام»(1).

فالمقصود بابني عم رسول الله «صلى الله عليه وآله»: علي «عليه السلام» وابن عباس.

ونفس هذه القصة ذكرت بعد استشهاد الإمام الحسن «عليه السلام»، وقالوا: إن مقصود زياد بابني عم رسول الله: هو ابن عباس والإمام الحسن «عليه السلام»(2).

ب: قالوا: إن زياداً قدم إلى الشام على معاوية في سنة اثنين وأربعين، وذلك بسعي من المغيرة، وقدَّم حسابه إلى معاوية في أمر الأموال، فصدَّقه معاوية(1).

وذلك يدل على أن ولاءه لمعاوية كان قبل سنة 42هـ.

ج: يقولون: إن الحسن «عليه السلام» لما صالح معاوية أول سنة إحدى

---

(1) راجع: الكامل في التاريخ ج3 ص443 و 444 و 416 ونهاية الأرب ج20 ص304 ـ 305 والغدير ج10 ص223 ـ 224.

(2) الكامل في التاريخ ج3 ص415 و 416 وتاريخ الأمم والملوك (أوفست ليدن) ج7 ص14 و (ط الأعلمي) ج4 ص129 و (ط الحسينية) ج6 ص97 و (ط دار المعارف) ج5 ص170.

(1) الكامل في التاريخ ج3 ص423 وتاريخ الأمم والملوك (ط الأعلمي) ج4 ص136 وأنساب الأشراف ج5 ص191.

وأربعين، وثب حمران بن أبان على البصرة، فغلب عليها.. إلى أن قال: إن معاوية طالب زياداً بالأموال، فكتب إليه زياد: أنه لم يبق عنده شيء[1]..

وكان ذلك سنة 42هـ مع أن صلح الإمام الحسن مع معاوية قد تمّ في شهر ربيع الآخر، أو جمادى، سنة إحدى وأربعين، وربما بعد ذلك، كما سنذكره، فراجع[2].. ووثوب عمران بن أبان في البصرة كان سنة 42 هـ.

ولو قلنا: إن وثوب حمران على البصرة كان في أول سنة 41هـ ثم ذهب زياد إلى معاوية في نفس السنة، فذلك يعني: أن ذهابه إلى معاوية كان سنة 41 هـ أيضاً.. وذلك يعطي إمكانية أن يوليه معاوية قيادة جيوشه لحرب الإمام الحسن «عليه السلام» في شهر ربيع، أو جمادى..

وفي جميع الأحوال نقول:

بالنسبة لعدد جيش معاوية، إذا انضم الخونة من أهل العراق إلى هذا الجيش، بحيث لا يبقى مع الإمام الحسن سوى أربعة آلاف كما سنرى، فإن

---

(1) الكامل في التاريخ ج3 ص414 و 415 وتاريخ الأمم والملوك (ط الأعلمي) ج4 ص127 ونهاية الأرب ج20 ص290 وأنساب الأشراف ج3 ص52 والمنتظم في تاريخ الأمم والملوك ج5 ص186 والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج8 ص24.

(2) الكامل في التاريخ ج3 ص406 و 405 وتاريخ الأمم والملوك (ط الأعلمي) ج4 ص124 والمنتظم في تاريخ الأمم والملوك ج5 ص184 وإمتاع الأسماع ج5 ص359 وصبح الأعشى ج3 ص266 والتعديل والتجريح للباجي ج2 ص786 وأعيان الشيعة ج1 ص571 وسبل الهدى والرشاد ج11 ص67. والإستيعاب (ط دار الجيل) ج1 ص387.

الستين ألفاً التي قالوا إنها جيش معاوية.. سوف تتضاعف، فكيف إذا انضمت إلى المئة وخمسين ألفاً الذين كانوا بقيادة زياد؟!

مع ترجيحنا الرقم الأعلى لجيش معاوية، فقد جمع لحرب أمير المؤمنين «عليه السلام» أرقاماً تزيد على ضعفي الستين ألفاً.. فهل يجمع لحرب الإمام الحسن «عليه السلام» أقل مما جمعه لحرب أبيه، مع علمه بأن العراقيين قد ذاقوا طعم عدل علي، وقد نشر فيهم أحكام الله، والقيم، والأخلاق الفاضلة؟!

جيش الإمام الحسن ×:

أما بالنسبة لجيش الإمام الحسن، فقد تقدم: أن أباه علياً «عليه السلام» كان قد جمع أعداداً كبيرة ليعود بهم لحرب معاوية، الذي جمع بين المكر والغدر والخداع وغير ذلك من موبقات، وأنه «عليه السلام» كان قد أمَّر الإمام الحسين «عليه السلام» على عشرة آلاف، وأبا أيوب على عشرة آلاف، وقيس بن سعد على عشرة آلاف، وأمَّر آخرين على أعداد أخرى أيضاً، فما دارت الجمعة حتى ضربه ابن ملجم.

والظاهر: أن هؤلاء، وربما بعض قليل آخر، قد لا يكون مهماً قد انضم إليهم هم الذين سار بهم من النخيلة إلى دير عبد الرحمان، فأقام به ثلاثاً حتى اجتمع الناس[1].

(1) العوالم ج16 ص164 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج16 ص38 ـ 42 ومقاتل الطالبين ص62 و (ط المكتبة الحيدرية) ص40 وبحار الأنوار ج44 ص50 ـ 51 وصلح الحسن لآل ياسين ص102 و 116 وأعيان الشيعة ج1 ص568.

ومن دير عبد الرحمان أرسل عبيد الله بن عباس، ليمنع معاوية من تجاوز مسكن، ويصده عن التوغل في العمق العراقي، ويصل إلى الكوفة..

وقد اضطربت كلماتهم في عدد جيش الإمام الحسن، فلاحظ ما يلي:

ألف: أما بالنسبة لمقدمة جيشه «عليه السلام»، فقد تقدم:

1 ـ أنها كانت اثني عشر ألفاً من فرسان العرب، وقرَّاء المصر.. وهذا هو المعروف والمشهور(1).

وقد اضطربت كلمات المدائني وغيره هنا، فتارة يقول: إن القائد هو

---

(1) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج16 ص26 و 22 و 40 وأعيان الشيعة ج1 ص568 وج7 ص246 وبحار الأنوار ج44 ص51 وصلح الحسن لآل ياسين ص107 و 116 ومقاتل الطالبين ص62 و (ط المكتبة الحيدرية) ص40 والدرجات الرفيعة ص147 وأنساب الأشراف ج3 ص33 والكامل في التاريخ ج3 ص404 وتذكرة الخواص ج2 ص19 و 20 وتاريخ الأمم والملوك ج5 ص158 و 159 و (ط الأعلمي) ج4 ص121 و 122 وتاريخ بغداد ج1 ص222 وتاريخ مدينة دمشق ج13 ص264 وج59 ص150 ومجمع الزوائد ج9 ص145 والمعجم الكبير ج1 ص104 وتهذيب الكمال ج6 ص245 والمنتظم في تاريخ الأمم والملوك ج5 ص166 والكامل في التاريخ ج3 ص404 وتاريخ الإسلام للذهبي ج4 ص6 والبداية والنهاية (ط مصر) ص14 و (ط دار إحياء التراث العربي) ج8 ص16 وإمتاع الأسماع ج5 ص358 وترجمة الإمام الحسن لابن عساكر ص176 وجواهر المطالب لابن الدمشقي ج2 ص196 والنصائح الكافية ص192 ونهاية الأرب ج20 ص289 وترجمة الإمام الحسن من الطبقات الكبرى لابن سعد ص76 وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج11 ص159 وج26 ص573.

عبد الله بن عباس[1]..

والظاهر: أنه تصحيف عن عبيد الله.

وأخرى يقول: إن القائد هو قيس بن سعد[2].

ويلاحظ هنا كثرة عدد القراء معه «عليه السلام»، حتى أنهم ليعدون بالألوف..

وقد عرفنا: أن الذين حضروا من القراء في حرب صفين كانوا ثلاثين

---

(1) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج16 ص22 و 40 وأعيان الشيعة ج1 ص568 وج7 ص246 وبحار الأنوار ج44 ص51 وصلح الحسن لآل ياسين ص107 و 116 ومقاتل الطالبين ص62 و (ط المكتبة الحيدرية) ص40 والدرجات الرفيعة ص147 وأنساب الأشراف للبلاذري ج3 ص33 والكامل في التاريخ (ط دار صادر) ج3 ص404.

(2) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج16 ص26 وتذكرة الخواص ج2 ص19 و 20 وتاريخ الأمم والملوك ج5 ص158 و 159 و (ط الأعلمي) ج4 ص121 و 122 وتاريخ بغداد ج1 ص222 وتاريخ مدينة دمشق ج13 ص264 وج59 ص150 ومجمع الزوائد ج9 ص145 والمعجم الكبير ج1 ص104 وتهذيب الكمال ج6 ص245 والمنتظم في تاريخ الأمم والملوك ج5 ص166 والكامل في التاريخ ج3 ص404 وتاريخ الإسلام للذهبي ج4 ص6 والبداية والنهاية (ط مصر) ص14 و (ط دار إحياء التراث العربي) ج8 ص16 وإمتاع الأسماع ج5 ص358 وترجمة الإمام الحسن لابن عساكر ص176 وجواهر المطالب لابن الدمشقي ج2 ص196 والنصائح الكافية ص192 ونهاية الأرب ج20 ص289 وترجمة الإمام الحسن من الطبقات الكبرى لابن سعد ص76 وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج11 ص159 وج26 ص573.

ألفاً[1].

2 ـ وقيل: كانت مقدمته «عليه السلام» عشرة آلاف، وكانت بقيادة عبد الله بن جعفر[2].

وهذا يخالف القول المشهور المتقدم في ناحيتين:

أولاهما: في عدد الأفراد بين العشرة آلاف، والإثني عشر ألفاً.

الثانية: في تحديد القائد، هل هو ابن جعفر، أو ابن عباس.

ولعل الحاكم ـ راوي هذا القول ـ قد راعى مشاعر الحكام من بني العباس، الذين كان يزعجهم اتهام عبيد الله بن عباس بالخيانة.

كما أن ابن كثير زعم: أن قائد المقدمة هو قيس بن سعد، ولم يذكر عبيد الله بن عباس.. فإن كان نظره إلى تسلم قيس زمام القيادة بعد خيانة عبيد الله، فإنهم يزعمون: أن عبيد الله قد انحاز إلى معاوية ومعه ثمانية آلاف.. وبقي الأربعة آلاف حائرين حتى تسلم زمام القيادة قيس بن سعد «رحمه الله».

فكان على ابن كثير لفت النظر إلى ذلك، وأن لا يوهم الناس بما لا واقع له.

ب: أما بالنسبة لعدد الجيش نفسه، فقيل:

1 ـ إنه كان أربعين ألفاً[1].

---

(1) صفين للمنقري ص188 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج4 ص15 وأعيان الشيعة ج1 ص482.

(2) المستدرك للحاكم ج3 ص174.

(1) تاريخ الأمم والملوك (ط الأعلمي) ج4 ص125 وصلح الحسن لآل ياسين ص116

وقال المسيب بن نجبة وسليمان بن صرد الخزاعي للإمام الحسن «عليه السلام»: «صالحت (بايعت) معاوية ومعك أربعون ألفاً»[1].

2 ـ عن سليمان بن صرد: أنه كان مع الإمام الحسن «عليه السلام» مئة ألف مقاتل، ويدل على ذلك قوله: إن الإمام الحسن «عليه السلام» توجه إلى حرب معاوية بالجيش الذي بايع أباه[1].

3 ـ وقيل: تسعون ألف[2].

4 ـ وقيل: سبعون ألفاً، أو ثمانون[3].

والإستيعاب (ط دار الجيل) ج1 ص385 وعون المعبود ج12 ص273 ونظم درر السمطين ص195 ونهاية الأرب ج20 ص229 والجامع لأحكام القرآن ج4 ص77 وإمتاع الأسماع ج5 ص358 وسبل الهدى والرشاد ج11 ص67 وتذكرة الخواص ج2 ص19 وفيه: أن الزهري يقول: إن هؤلاء الأربعين ألفاً هم الذين كانوا قد بايعوا علياً على حرب معاوية قبيل استشهاده «عليه السلام».

(1) مناقب آل أبي طالب (ط المكتبة الحيدرية) ج3 ص197 وبحار الأنوار ج44 ص57 و 29 ونور الثقلين (تفسير) ج5 ص193 وكنز الدقائق (تفسير) ج12 ص574 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج16 ص15 وصلح الحسن لآل ياسين ص116 و 118 وأنساب الأشراف ج3 ص44 و 48 والجوهرة في نسب الإمام علي وآله ص28 والإمامة والسياسة (تحقيق الزيني) ج1 ص141 و (تحقيق الشيري) ج1 ص185 والفتوح لابن أعثم ج4 ص294.

(1) الإمامة والسياسة ج1 ص151 و (تحقيق الزيني) ج1 ص141 و (تحقيق الشيري) ج1 ص185 وتاريخ أبي الفداء ج1 ص193 والكامل في التاريخ ج3 ص61.

(2) تاريخ اليعقوبي ج2 ص194 وسبل الهدى والرشاد ج11 ص67 .

(3) راجع كلام الإمام الحسن في شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج16 ص17.

والتصحيف بين كلمات تسعين وسبعين، وستين شائع.

5 ـ وفي كلام زياد بن أبيه: أنه كان مع الإمام الحسن «عليه السلام» وابن عمه في البصرة مئة ألف من المهاجرين والأنصار(1).

فليت شعري: كم كان معه من سائر الناس؟! وهل كان عدد المهاجرين والأنصار آنئذٍ يصل إلى نصف عشر هذا الرقم؟!

6 ـ إن عدد جيشه كان عشرين ألفاً(2).

7 ـ والذي نميل إليه: أن عدد جيش الإمام الحسن «عليه السلام» كان أقل من هذه الأرقام جميعها. ولعله لم يصل إلى خمسة آلاف أيضاً..

شاهدنا على ذلك: أنه «عليه السلام» وإن سار من النخيلة إلى دير عبد الرحمان في عسكر عظيم، إلا أن هذا العسكر قد تفرق عنه.

وبعد حصول الخيانات المتعددة التي ذهب فيها إلى معاوية عدة قادة، ومنهم عبيد الله بن عباس، ومعهم ألوف من المقاتلين، كما سنرى.. توجه «عليه السلام» عائداً إلى الكوفة، فجاءه الناس مرة أخرى، وطالبوه بالإستمرار في التصدي لمعاوية، وأصروا عليه في ذلك، فأجاب طلبهم، وواعدهم في معسكره بالنخيلة، ثم توجه إليها، فعسكر فيها عشرة أيام، فلم يحضره إلا أربعة آلاف(1).

---

(1) حياة الإمام الحسن للقرشي ج2 ص170.

(2) صلح الحسن لآل يس ص106.

(1) الخرائج والجرائح ج2 ص574 وبحار الأنوار ج44 ص43 عنه، وراجع: مدينة المعاجز ج3 ص402 والهداية الكبرى للخصيبي ص189.

فتوجه بهم ـ فيما يبدو ـ إلى مظلم ساباط، فطُعن هناك، وعولج في المدائن ثم عاد إلى الكوفة بعد أن كاتب معظم قادته معاوية، ووعدوه بقتله أو بتسليمه إليه، كما سيأتي إن شاء الله..

فلعل هؤلاء الآلاف الأربعة حين تضاف إلى أربعة آلاف بقيت مع قيس بن سعد بعد فرار عبيد الله بن عباس ومعه ثمانية آلاف إلى معاوية: وقد يضاف إليهم شراذم أخرى يسيرة قد تعدُّ بالمئات لا بالألوف، يحتمل أن تكون انضمت إليهم ـ لعل هؤلاء ـ هم كل جيش الإمام الحسن «عليه السلام».

إن لم نقل: إنه «عليه السلام» بقي في حدود العشرات والمئات من الأفراد كما تقدم في بعض الروايات.

لأن من لم يذهب إلى معاوية، فلعل عدم ذهابه كان لحسابات وموانع أخرى، لا لأنه كان مستعداً لنصرة الإمام الحسن «عليه السلام»، ولو أدى ذلك إلى الموت في هذا السبيل..

وقد تقدم: أنه لم يجبه غير عشرين رجلاً.

وفي نص آخر قال: لو وجد سبعة رجال لوجب عليه مناهضة معاوية.

تاريخ التحرك لحرب معاوية:

1 ـ ذكر الكشي عن الفضل بن شاذان: أن الإمام الحسن «عليه السلام» قد خرج في شوال من الكوفة إلى قتال معاوية، فالتقوا بمسكن وحاربه ستة أشهر.. وأن الحسن «عليه السلام» طعن في شهر ربيع الأول[1].

---

(1) إختيار معرفة الرجال (رجال الكشي) ص112 و (مؤسسة آل البيت لإحياء التراث)

ونقول:

لم نجد نصاً يدل على أن الإمام الحسن «عليه السلام» قد واجه معاوية مباشرة في ميدان القتال، بل المواجهات الصغيرة والمحدودة التي يذكرونها إنما كانت بين معاوية، وبين سرايا وطلائع كان أرسلها «عليه السلام» إلى معاوية لصدِّه عن مواصلة مسيره، ومنها ما كان بقيادة عبيد الله بن عباس، كما سيأتي.

ولم يصل الإمام الحسن إلا إلى المدائن، ولم يصل إلى مسكن، حيث كان معاوية.. بل عاد «عليه السلام» من المدائن إلى الكوفة.

2 ـ ذكر اليعقوبي: أن الإمام الحسن «عليه السلام» تجهز لحرب معاوية بعد ثمانية عشر يوماً من وفاة أبيه[1].

ولكن العلامة القرشي «رحمه الله» اعتبر أن كلامه هذا كان اشتباهاً منه، «لأن الإمام لم يتجهز لمحاربة خصمه إلا بعد أن راسله بتلك الرسائل التي مرَّ ذكرها».

وقال: «وعلى الظاهر: أن مدة المراسلة كانت تزيد على شهرين»[2].

رواية الحارث الهمداني:

وقد أورد الراوندي والخصيبي رواية عن الحارث الهمداني ذكر فيها

ج1 ص329 وبحار الأنوار ج44 ص60 والعوالم ج16 ص144.

(1) تاريخ اليعقوبي ج2 ص191.

(2) حياة الإمام الحسن للقرشي ج2 ص83.

جانباً من معاناة الإمام الحسن «عليه السلام» مع أصحابه.. وسنذكر نص الراوندي، ونضيف إليه بعض الفقرات من رواية الخصيبي، واضعين كل فقرة منها بين معقوفتين.. وسوف نقتصر من ذلك على ما فيه إضافة معنى، أو خصوصية مؤثرة في التوضيح، أو في إثراء الموضوع بمعلومات جديدة ذات قيمة وأهمية، فنقول:

روى الخصيبي هذه الرواية عن محمد بن علي، عن علي بن محمد، عن الحسين بن علي، عن ابن فرقد، عن علي بن الحسن العبدي، عن أبي هارون المكفوف، عن الحارث الأعور الهمداني قال:

وروى ذلك أيضاً الراوندي، ولم يذكر السند، ونحن نذكر الرواية هنا بنص الراوندي، وهي التالية:

روى الحارث الهمداني، قال: لما مات علي «عليه السلام»، جاء الناس إلى الحسن بن علي «عليهما السلام»، فقالوا له: أنت خليفة أبيك، ووصيه، ونحن السامعون المطيعون لك، فمرنا بأمرك.

قال «عليه السلام»: كذبتم، والله ما وفيتم لمن كان خيراً مني، فكيف تفون لي؟! أو كيف أطمئن إليكم، ولا أثق بكم؟!

إن كنتم صادقين، فموعد ما بيني وبينكم معسكر المدائن، فوافوني هناك.

فركب، وركب معه من أراد الخروج، وتخلف عنه خلق كثير لم يفوا بما قالوه، وبما وعدوه، وغرّوه كما غرّوا أمير المؤمنين «عليه السلام» من قبله.

فقام خطيباً وقال:

قد غررتموني كما غررتم من كان قبلي [غررتم أبي أمير المؤمنين قبلي، فلا

جزاكم الله عن رسوله خيراً مع أبي]، مع أي إمام تقاتلون بعدي؟! مع الكافر الظالم، الذي لم يؤمن بالله، ولا برسوله قط، ولا أظهر الإسلام هو، ولا بنو أمية إلا فرقاً من السيف؟!

[أما إنه تقاتلون بعدي مع الظالم الكافر اللعين ابن اللعين عبيد الله بن زياد، الذي لا يؤمن بالله ولا برسول الله، ولا باليوم الآخر، ولا أظهر الإسلام هو ولا أبيه قاطبة[1] إلا خوفاً من السيف].

ولو لم يبق لبني أمية إلا عجوز درداء لبغت دين الله عوجاً، وهكذا قال رسول الله «صلى الله عليه وآله».

ثم وجه إليه قائداً في أربعة آلاف، وكان من كندة، وأمره أن يعسكر بالأنبار، ولا يحدث شيئاً حتى يأتيه أمره.

فلما توجه إلى الأنبار، ونزل بها، وعلم معاوية بذلك بعث إليه رسلاً، وكتب إليه معهم:

إنك إن أقبلت إليَّ وليّتك بعض كور الشام، أو الجزيرة، غير منفس عليك [غير ما أفيضه من الأنعام عليك].

وأرسل إليه بخمسمائة ألف درهم، فقبض الكندي ـ عدو الله ـ المال، وقلب على الحسن «عليه السلام»، وصار إلى معاوية، في مائتي رجل من خاصته وأهل بيته.

وبلغ الحسن «عليه السلام» [ذلك]، فقام خطيباً وقال: هذا الكندي

(1) الظاهر أن الصحيح: ولا بنو أبيه قاطبة.

توجه إلى معاوية، وغدر بي وبكم، وقد أخبرتكم مرة بعد أخرى أنه لا وفاء لكم، أنتم عبيد الدنيا، وأنا موجه رجلاً آخر مكانه، وأنا أعلم أنه سيفعل بي وبكم ما فعل صاحبه، لا يراقب الله فيَّ ولا فيكم.

فبعث إليه رجلاً من مراد في أربعة آلاف، وتقدم إليه بمشهد من الناس، وتوكد عليه، وأخبره أنه سيغدر كما غدر الكندي، فحلف له بالأيمان التي لا تقوم لها الجبال: أنه لا يفعل.

فقال الحسن «عليه السلام»: إنه سيغدر [وحلف الحسن «عليه السلام» مثلها: إنه يفعل ويغدر به].

فلما توجه إلى الأنبار، أرسل معاوية إليه رسلاً، وكتب إليه بمثل ما كتب إلى صاحبه، وبعث إليه بخمسمائة ألف درهم، ومناه أي ولاية أحب من كور الشام، أو الجزيرة.

فقلب على الحسن «عليه السلام»، وأخذ طريقة إلى معاوية، ولم يحفظ ما أخذ عليه من العهود.

وبلغ الحسن «عليه السلام» ما فعل المرادي، فقام خطيباً وقال: قد أخبرتكم مرة بعد مرة: أنكم لا تفون لله بعهود، وهذا صاحبكم المرادي غدر بي وبكم، وصار إلى معاوية.

ثم كتب معاوية إلى الحسن «عليه السلام»: يا ابن عم، لا تقطع الرحم الذي بيني وبينك، فإن الناس قد غدروا بك وبأبيك من قبلك.

[فقرأ عليهم الحسن كتاب معاوية].

فقالوا: إن خانك الرجلان وغدرا، فإنا مناصحون لك.

فقال لهم الحسن «عليه السلام»: لأعودن [لأعذرن] هذه المرة فيما بيني وبينكم، وإني لأعلم أنكم غادرون، والموعد ما بيني وبينكم، أن معسكري بالنخيلة، فوافوني هناك، والله لا تفون لي بعهد، ولتنقضن الميثاق بيني وبينكم.

ثم إن الحسن «عليه السلام» أخذ طريق النخيلة، فعسكر عشرة أيام، فلم يحضره إلا أربعة آلاف [عشرة آلاف راجل]، فانصرف إلى الكوفة، فصعد المنبر وقال:

يا عجباً من قوم لا حياء لهم ولا دين [يغدرون] مرة بعد مرة، [وأيم الله لو وجدت على ابن هند أعواناً ما وضعت يدي في يده ولا] ولو سلمت إلى معاوية الأمر، فأيم الله لا ترون فرجاً أبداً مع بني أمية.

[وإني لأعلم أني عنده أحسن حالاً منكم] والله ليسومنكم سوء العذاب، حتى تتمنون أن يلي عليكم حبشياً، ولو وجدت أعواناً ما سلمت له الأمر، لأنه محرَّم على بني أمية، فأف وترحاً يا عبيد الدنيا [وأبناء الطمع].

وكتب أكثر أهل الكوفة إلى معاوية بأنا معك، وإن شئت أخذنا الحسن وبعثناه إليك.

ثم أغاروا على فسطاطه، وضربوه بحربة، فأخذ مجروحاً.

ثم كتب جواباً لمعاوية:

[إني تاركها من يومي هذا وغير طالب لها]

«إن هذا الأمر لي، والخلافة لي ولأهل بيتي، وإنها لمحرمة عليك وعلى أهل بيتك، سمعته من رسول «صلى الله عليه وآله»، لو وجدت صابرين عارفين بحقي غير منكرين، ما سلمت لك، ولا أعطيتك ما تريد».

وانصرف إلى الكوفة[1].

العجوز الدرداء: هي التي فقدت جميع أسنانها.

ونقول:

إختلافات وأخطاء:

هناك بعض الإختلافات بين النص الذي أورده الراوندي، والنص الذي أورده الخصيبي، كما أن هناك بعض الأخطاء التي تحتاج إلى إصلاح..

ونذكر من هذا وذاك المثالين التاليين:

1 ـ ذكرت رواية الراوندي: أن الذين حضروا إليه «عليه السلام» في النخيلة في الأيام العشرة كانوا أربعة آلاف..

لكن رواية الخصيبي تقول: كانوا عشرة آلاف.

2 ـ تقول رواية الرواندي: «حتى تتمنون أن يلي عليكم حبشياً».

والمفروض أن يقول: حبشي، بالرفع.. إلا إن كانت العبارة «تتمنون أن يولِّى عليكم حبشياً»، ويكون ضمير يولِّي راجعاً إلى معاوية.

والعبارة في رواية الخصيبي جاءت هكذا: «ليسومنكم بنو أمية سوء العذاب، ويشنون عليكم جيشاً عظيماً من معاوية». وهو تعبير ركيك، فإن الحروب

---

(1) الخرائج والجرائح ج2 ص574 رقم4 وبحار الأنوار ج44 ص43 و 44 والصراط المستقيم للبياضي العاملي ج2 ص178 باختصار، ومكاتيب الأئمة للعلامة الأحمدي ج3 ص30 ـ 33 عمن تقدم، والعوالم ج16 ص141 ـ 143. وراجع: الهداية الكبرى ص189 ـ 192 وإثبات الهداة ج5 ص135 و150 و 156.

والغارات هي التي تشن، ولا تشن الجيوش.

ونقول:

هنا أمور كثيرة تحتاج إلى بيان، نذكر منها ما يلي:

هل يناسب الجواب الخطاب؟!:

إن أول ما يواجهنا في رواية الحارث الهمداني، هو: أن جواب الإمام الحسن «عليه السلام» للناس الذين أعربوا له عن طاعتهم له، وأنهم مستعدون لتنفيذ أوامره قد جاء شديداً وحاسماً.. حيث يقول لهم: كذبتم، والله ما وفيتم لمن كان خيراً مني الخ..

فكيف يمكن أن نفهم هذا الموقف السلبي منه «عليه السلام» تجاههم، وهم يعرضون عليه طاعته؟!

ولماذا يقابل ما عرضوه عليه بالتكذيب، وإظهار عدم الوثوق بهم؟!

ونجيب: بأن هؤلاء الذين كلَّموه لم يكونوا مجهولين لديه «عليه السلام»، بل هو يعرفهم، ويعرف تاريخهم، ويعرف ما يفكرون به، والظاهر، بل الصريح من كلامه «عليه السلام»: أنهم من الرؤساء الذين كانوا قد خانوا عهده وعهد أبيه، وأخلفوا بوعودهم له ولأبيه من قبل، وكانوا السبب في كثير من المتاعب التي واجهها علي «عليه السلام» في صفين، حيث أجبروا علياً «عليه السلام» على إيقاف القتال، وعلى التحكيم، وفرضوا أن يكون الحكم أبا موسى الأشعري الذي كان منحرفاً عنه «عليه السلام»، وليس ناصحاً ولا محباً له.

وقد تقدم قول المفيد «رحمه الله» وغيره: أن هؤلاء كانوا خليطاً من المحكِّمة،

وأصحاب الأطماع، والشكاك وأصحاب العصبيات حسبما تقدم.. فسوابقهم بالنكث، والخذلان لأبيه، وعدم ظهور مؤشر يدل على توبتهم، وحبهم العارم للدنيا يحتم عليه أن يعرِّفهم: بأنه عارف بهم، وأنه لن يسمح لهم بخداعه، وخذلانه، وإسلامه إلى عدوه.. فهؤلاء غدَّارون ومنافقون..

فمصارحة الناس بأمرهم، وفضحهم يلجم أطماعهم، ويحدُّ من تأثير تحركهم لجرِّ الأمة إلى المزالق والمهالك، ويحدّ من قدرتهم على خداع الناس، وإشاعة أباطيلهم.

ويفسح المجال للعمل على درء الأخطار بروية وهدوء، من دون تشويش، أو شغب قد يبلغ حدَّ إثارة فتن عامة، وينزع المبادرة من يد العقلاء والحكماء وما أجدر هؤلاء بقوله تعالى: ﴿**إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللهِ وَاللهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ**﴾[1].

وقد ظهر صحة موقفه «عليه السلام» هذا، حين ضرب لهم موعداً في معسكر المدائن.. فإنهم بالرغم من إعلانهم أنهم سيكونون معه، فقد ذهب إلى ذلك المعسكر بعضهم، وتخلف عنه خلق كثير، لم يفوا بما قالوا، وغروه كما غروا أباه من قبله، كما صرحت به هذه الرواية نفسها.

وهذه ـ فيما يظهر ـ أول تصفية لجيشه، فقد أبعدت عنه هذه الطائفة الكبيرة التي لو تخلت عنه، أو انقلبت عليه، ولجأت إلى معاوية في حال كانت الحرب قائمة، لتمكن معاوية من أن يورد ضربته القاصمة، ويحقق هدفه في إبادة أهل البيت وشيعتهم ولم يُبقِ منهم نافخ نار.

---

(1) الآية 1 من سورة المنافقون.

ثم زادهم فضيحة أخرى:

وكان لا بد من توجيه الأنظار إلى هذه الجريمة الكبرى التي ارتكبوها في حقه «عليه السلام» بخيانتهم له، وغدرهم به مرة بعد أخرى، ليعرِّف الناس أنهم يمهدون لحلول الكارثة به «عليه السلام»، وبكل الناس الأبرياء الغافلين، وليعلم الجميع: أن باطن الأمور لا يشبه ظاهرها.. وأن الإعتماد على هذا النوع من الناس، إلقاء للناس في المهالك، وإقحامهم في جحيم لا نجاة لهم منها.

فخطب «عليه السلام» الناس، وأخبرهم:

1 ـ أن هؤلاء الذين يريد أن يحفظهم من أعدائهم، ويدفع الأخطار عنهم، يتعاملون معه بالغدر والنكث، والمكر..

2 ـ ثم بيَّن لهم: أن مشكلتهم هي: أنهم لا يملكون معايير وضوابط يرجعون إليها، ويعتمدون عليها، ويميزون بها الحسن من القبيح، والصواب من الخطأ، والصالح من الطالح..

فهم لم يدركوا مدى التفاوت، بين الإمام الذي يختاره الله ورسوله، ووصي رسوله، وبين من يدعي الإمامة زوراً، ويدعي أنه يريد أن يحكم بما أنزل الله، وبسنَّة رسوله.. والحال، أن هذا المدعي لم يؤمن بالله ولا برسوله قط، ولم يظهر الإسلام هو وقومه، بنو أمية إلا خوفاً من السيف.

3 ـ ثم إنه «عليه السلام» حسب رواية الخصيبي، قد ذكر في كلامه: أن هؤلاء يحاربون مع عبيد الله بن زياد الكافر اللعين، مع أن عبيد الله بن زياد إنما يكون له شأن قبيح مع الإمام الحسين، مما يعني أنه «عليه السلام» يخبر عن أمر غيبي سوف يحدث بعد أكثر من عشرين سنة يكون عبيد الله بن زياد

هو الذي يتولاه، ويكون الحسين «عليه السلام» هو المستهدف فيه..

4 ـ ويشير إلى أنه «عليه السلام» يتحدث عن الغيب، ليكون صدق هذا الحديث شاهداً لمن سيبقى حياً، ولأبنائهم، وللأجيال على إمامته «عليه السلام» إخباره عن بني أمية، وأنهم سيبقون دائماً أعداء لهذا الدين حتى العجائز اللواتي فقدن جميع أسنانهن لفرط الكبر، سيكنَّ مهتمات بهدم دين الله، وتحريف حقائقه، وصرف الناس عنه، مع أن العجوز إذا بلغت هذه السن، فإنها تسكن وتهدأ، وتبدأ بالتفكير بآخرتها، وبالتوبة من ذنوبها، والندم على ما كان بدر منها.

حديث الكندي والمرادي:

ويواصل «عليه السلام» فضح هؤلاء المنافقين، فأرسل أولاً رجلاً من كِنده ومعه أربعة آلاف مقاتل، ليكون بالأنبار، وأمره أن يعسكر هناك، ولا يحدث شيئاً حتى يأتيه أمره..

فراسله معاوية، وأعطاه خمس مئة ألف درهم، فانحاز إليه مع ماءتين من خاصته، وأهل بيته.

ونلاحظ هنا:

1 ـ أنه «عليه السلام» أمره أن يعسكر بالأنبار، ولا يتجاوزها ليصل إلى حيث يعسكر معاوية الذي كان في مسكن..

ويبدو: أن هذا التحديد أريد به أن لا يتصرف ذلك الكِندي حسب هواه، فيتوغل نحو معاوية، ثم يستأسر له، فيكون معذوراً عند الناس.. كما أن بقاءه في منطقة يملك فيها حرية الحركة، يجعله في مأمن من غدر معاوية، ويمنحه القدرة على التحرك في أي اتجاه أحب..

2 ـ كما أنه «عليه السلام» ليس فقط لم يأمر ذلك الكِندي بقتال أو حراسة، أو نحو ذلك، بل أمره أن لا يحدث شيئاً أصلاً، وهذا سيكون أدعى إلى راحة باله، وعدم الخوف من أي شيء..

3 ـ لما بلغ خبر خيانة الكِندي للإمام الحسن «عليه السلام» خطب الناس، وأبلغهم بغدر الكندي به «عليه السلام» وبهم.

4 ـ كان هذا هو الشاهد الثالث على غدرهم، بعد غدرهم بأبيه، ثم تخلف كثير منهم عنه هو «عليه السلام»، وقد أعلن «عليه السلام» هذه الخزاية على رؤوس الأشهاد، وجعل ما فعله الكندي دليلاً على صحة ما أخبرهم به، من أنهم سوف يغدرون به.

5 ـ يلاحظ: أنه «عليه السلام» اعتبر خيانة الكندي غدراً به، وغدراً بالناس أيضاً، لأنه «عليه السلام» يريد أن يفتح بصيرتهم على أن ما يجري لن يكون خسارة للإمام الحسن «عليه السلام» وحده، أو له ولشيعته، بل سيكون وبالاً على الجميع، حتى الغادرين أنفسهم، فلا مجال لأن يتوهموا أنهم قد ربحوا، وخسر غيرهم..

وببيان آخر نقول:

إن الناس قد اعتمدوا على هذا الرجل ليدفع عنهم عدوهم، وقبوله هذه المهمة من قبل الإمام الحسن «عليه السلام»، ثم نكثه وخيانته كما تكون خيانة للإمام الحسن، فإنها أيضاً خيانة للناس الذين اعتمدوا عليه، وصدقوا ما وعد به ضمناً من خلال قبوله للمهمة..

ثانياً: ثم جاء الشاهد الرابع على صحة ما أخبرهم به الإمام من أنهم

سيغدرون ولا يفون، حين أرسل رجلاً من مراد، وأخبرهم بأنه هو الآخر سوف يغدر به وبهم، كما فعل الكندي.

وزاد على هذا أمراً من شأنه أن يزيد من إشهار غدره هذا، ويجعل الناس يتوقعونه، ويراقبون ما يكون منه، ويتنسمون الأخبار ـ زاد على ذلك ـ أنه أحلف ذلك المرادي، فحلف له بالأيمان التي لا تقوم لها الجبال.

وعند الخصيبي: أن الإمام الحسن «عليه السلام» نفسه قد حلف أيضاً بأن المرادي سيغدر.

وقد غدر بالفعل، مقابل خمس مئة ألف درهم، أرسلها إليه معاوية.

فخطب «عليه السلام» الناس، وأخبرهم بغدر المرادي، وتضمنت خطبته هذه نفس المضامين التي تضمنتها خطبته «عليه السلام» حين غدر الكندي.

رسالة معاوية إلى الإمام الحسن:

أما الشاهد الخامس، فهو كتاب معاوية إلى الإمام الحسن «عليه السلام»: يا ابن عم، لا تقطع الرحم بيني وبينك، فإن الناس قد غدروا بك، وبأبيك من قبلك.

قال الخصيبي: فقرأ عليهم الحسن كتاب معاوية.

ونقول:

علينا أن نلتفت إلى ما يلي:

ألف: بالنسبة لأهداف معاوية من رسالته هذه، وما كتبه فيها نقول:

إن هدف معاوية من كتابه هذا الكتاب:

أولاً: إظهار نفسه بمظهر الودود، والواصل للرحم، والمراعي للواجبات الدينية. مع أنه من أشد الناس اجتهاداً في قطعها.. وقد خاض حرب صفين وتسبب بقتل سبعين ألفاً، وفيهم علماء وخيار الناس وأبرارهم.

ثانياً: يريد أن يلقي بتبعة جرائمه وسياساته الرعناء على علي «عليه السلام» والإمام الحسن، وبني هاشم وشيعتهم، لينصبَّ لوم الناس الذين فقدوا أحبابهم على الأبرياء والمظلومين، ويبرئ ساحة نفسه ومن معه من المجرمين الحقيقيين.

ثالثاً: هو يريد أن يصحح نسبه، ويبعد عنه ما هو شائع من طعن فيه، حيث ينسب إلى عدة أشخاص.. وقد قال له أمير المؤمنين في بعض رسائله: «ليس المهاجر كالطليق، ولا الصريح كاللصيق».

رابعاً: هو يريد التمهيد والضغط على الإمام ليقبل بالصلح.

خامساً: هو يريد أن يشكك الإمام الحسن «عليه السلام» بجيشه، وينقض عزمه على الحرب، لأنه كان متوجساً منها، وهائباً لها.

سادساً: يريد أن يظهر نفسه على أنه من أقران الإمام الحسن «عليه السلام»، وأن ما يحق للإمام الحسن يحق لمعاوية أيضاً، فهما ابنا عم، حسب زعمه.

ب: إن الإمام الحسن «عليه السلام» قد استخدم نفس رسالة معاوية هذه في خدمة خطته الرامية إلى قمع المنافقين، وتحصين الناس من فتنتهم، والوقوع في شراكهم وحبائلهم.. والإنسياق مع شائعاتهم، والتأثر بشبهاتهم، وتصديق ترهاتهم وأباطيلهم.

وقدَّم هذه الرسالة للناس كشاهد ودليل دامغ على صحة ما أخبرهم

عن خيانات رجالهم، وغدر رؤسائهم وقادتهم، مرة بعد أخرى.

الشاهد السادس:

ثم كان الشاهد السادس على نفاق وغدر الناس بالإمام الحسن «عليه السلام»، قد تجلى في طلبه منهم أن يوافوه إلى معسكره بالنخيلة، وأخبرهم أنهم سوف لا يفون له أيضاً.

ونظن أن الصحيح: هو أنه طلب منهم أن يوافوه إلى معسكره في المدائن ـ كما صرح به في الأسطر الأولى من هذه الرواية نفسها ـ.

كما أن قول الرواية هنا: إنه «عليه السلام» أخذ طريق النخيلة، فعسكر عشرة أيام، فلم يحضره إلا أربعة آلاف، ثم انصرف إلى الكوفة، فصعد المنبر وقال: يا عجباً من قوم لا حياء لهم ولا دين الخ.. وأنهم كتبوا لمعاوية بأنهم معه، وأنهم أغاروا على فسطاط الحسن، وضربوه بحربة الخ..

إن ذلك كله، إنما حصل في المدائن في مظلم ساباط.

ولعل من الممكن القول:

بأنه «عليه السلام» قد أرسل عبيد الله بن عباس لمواجهة معاوية بعد خروجه من النخيلة إلى دير عبد الرحمان، ثم واصل طريقه إلى مظلم ساباط، فطعن، فعولج في المدائن.. ثم عاد إلى النخيلة، فأرسل منها الكندي والمرادي، ثم دخل الكوفة، وخطب أصحابه ولامهم على تكرر غدرهم.. ثم جاء كتاب معاوية يخبره بغدرهم به وبأبيه من قبل، ويحاول إقناعه بالصلح.

ونحن سوف نواصل حديثنا عما جرى، وفقاً لهذا التصور، لأننا نراه أقرب إلى الإعتبار، فنقول:

الفصل الخامس

ما جرى في مظلم ساباط..

مؤامرة معاوية لقتل الإمام:

1 ـ وقد ذكروا: أن معاوية دس إلى عمرو بن حريث، والأشعث بن قيس، وإلى حجر[1] بن أبجر، وشبث بن ربعي، دسيساً أفرد كل واحد منهم بعين من عيونه: إنك إن قتلت الحسن بن علي فلك مائتا ألف درهم، وجند من أجناد الشام، وبنت من بناتي.

فبلغ الحسن «عليه السلام» ذلك، فاستلأم، ولبس درعاً، وكفرها، وكان يحترز ولا يتقدم للصلاة بهم إلا كذلك، فرماه أحدهم في الصلاة بسهم، فلم يثبت فيه لما عليه من اللامة.

فلما صار في مظلم ساباط ضربه أحدهم بخنجر مسموم، فعمل فيه الخنجر، فأمر «عليه السلام» أن يعدل به إلى بطن جريحى[2] وعليها عم المختار بن أبي عبيد بن مسعود بن قيلة[3].

فقال المختار لعمه: تعال حتى نأخذ الحسن ونسلمه إلى معاوية، فيجعل لنا العراق..

---

(1) الظاهر: أن الصحيح حجار بن أبجر.

(2) لعل الصحيح: جوخى.

(3) هو سعيد بن مسعود الثقفي.

فبدر، [فنذر] بذلك الشيعة من قول المختار لعمه، فهمُّوا بقتل المختار، فتلطف عمه لمسألة الشيعة بالعفو عن المختار، ففعلوا.

فقال الحسن «عليه السلام»: ويلكم، والله، إن معاوية لا يفي لأحد منكم بما ضمنه في قتلي، وإنِّي أظن أنِّي وإن وضعت يدي في يده فأسالمه لم يتركني أدين بدين جدي «صلى الله عليه وآله»، وإنى أقدر أن أعبد الله وحدي، ولكني كأني أنظر إلى أبنائكم واقفين على أبواب أبنائهم، يستسقونهم ويستطعمونهم بما جعله الله لهم، فلا يسقون ولا يطعمون، فبعداً وسحقاً لما كسبته أيديكم ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾..

فجعلوا يعتذرون بما لا عذر لهم فيه(1).

2 ـ وقال الشيخ المفيد «رحمه الله» عن الإمام الحسن «عليه السلام»:

«فسار حتى أتى حمام عمر، ثم أخذ على دير كعب، فنزل ساباط دون القنطرة، وبات هناك.

فلما أصبح أراد «عليه السلام» أن يمتحن أصحابه ويستبرئ أحوالهم في الطاعة له، ليتميز بذلك أولياءه من أعدائه، ويكون على بصيرة في لقاء معاوية وأهل الشام، فأمر أن ينادى في الناس بالصلاة جامعة.

فاجتمعوا، فصعد المنبر، فخطبهم فقال:

«الحمد لله بكل ما حمده حامد، وأشهد أن لا إله إلا الله كلما شهد له

---

(1) علل الشرائع ج1 ص220 والعوالم ج16 ص150 و 151 وبحار الأنوار ج44 ص33 كلاهما عنه.

شاهد، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق، وائتمنه على الوحي «صلى الله عليه وآله».

أما بعد.. فوالله إني لأرجو أن أكون قد أصبحت ـ بحمد الله ومنِّه ـ وأنا أنصح خلق الله لخلقه، وما أصبحت محتملاً على مسلم ضغينة، ولا مريداً له بسوء ولا غائلة..

ألا وإن ما تكرهون في الجماعة خير لكم مما تحبون في الفرقة..

ألا وإني ناظر لكم خيراً من نظركم لأنفسكم، فلا تخالفوا أمري، ولا تردوا علي رأيي..

غفر الله لي ولكم، وأرشدني وإياكم لما فيه المحبة والرضا».

قال: فنظر الناس بعضهم إلى بعض وقالوا: ما ترونه يريد بما قال؟!

قالوا: نظنه ـ والله ـ يريد أن يصالح معاوية، ويسلم الأمر إليه.

فقالوا: كفر ـ والله ـ الرجل.

ثم شدوا على فسطاطه فانتهبوه، حتى أخذوا مصلاه من تحته، ثم شدَّ عليه عبد الرحمن بن عبد الله بن جعال الأزدي، فنزع مطرفه عن عاتقه، فبقي جالساً متقلداً السيف بغير رداء.

ثم دعا بفرسه فركبه، وأحدق به طوائف من خاصته وشيعته، ومنعوا منه من أراده.

فقال: «ادعوا إلي ربيعة وهمدان».

فدعوا له، فأطافوا به، ودفعوا الناس عنه.

وسار ومعه شوب من الناس، فلما مر في مظلم ساباط بدر إليه رجل

من بني أسد يقال له: الجراح بن سنان[1]، فأخذ بلجام بغلته وبيده مغول وقال: الله أكبر، أشركت ـ يا حسن ـ كما أشرك أبوك من قبل، ثم طعنه في فخذه، فشقه حتى بلغ العظم.

فاعتنقه الحسن «عليه السلام» وخرا جميعاً إلى الأرض.

فوثب إليه رجل من شيعة الحسن «عليه السلام» يقال له: عبد الله بن خطل [حنظل، أو الأخطل[2]] الطائي، فانتزع المغول من يده، وخضخض به جوفه، وأكبَّ عليه آخر يقال له: ظبيان بن عمارة، فقطع أنفه، فهلك من ذلك.

وأخذ آخر كان معه فقتل.

وحُمل الحسن «عليه السلام» على سرير إلى المدائن، فأُنزل به على سعد بن مسعود الثقفي، وكان عامل أمير المؤمنين «عليه السلام» بها، فأقره الحسن «عليه السلام» على ذلك، واشتغل بنفسه يعالج جرحه.

وكتب جماعة من رؤساء القبائل إلى معاوية بالطاعة له في السر، واستحثوه على السير نحوهم، وضمنوا له تسليم الحسن «عليه السلام» إليه عند دنوهم من عسكره، أو الفتك به، وبلغ الحسن ذلك.

وورد عليه كتاب قيس بن سعد «رضي الله عنه»، وكان قد أنفذه مع عبيد الله بن العباس عند مسيره من الكوفة، ليلقى معاوية فيرده عن العراق، وجعله أميراً على الجماعة وقال: «إن أصبت فالأمير قيس بن سعد».

---

(1) وفي الفتوح لابن أعثم ج2 ص290 سنان بن الجراح.

(2) الأخبار الطوال ص217.

فوصل كتاب ابن سعد يخبره أنهم نازلوا معاوية بقرية يقال لها: الحبونية بإزاء مسكن، وأن معاوية أرسل إلى عبيد الله بن العباس يرغبه في المصير إليه، وضمن له ألف ألف درهم، يعجل له منها النصف، ويعطيه النصف الآخر عند دخوله الكوفة..

فانسل عبيد الله بن العباس في الليل إلى معسكر معاوية في خاصته.

وأصبح الناس قد فقدوا أميرهم، فصلى بهم قيس «رضي الله عنه» ونظر في أمورهم.

فازدادت بصيرة الحسن «عليه السلام» بخذلان القوم له، وفساد نيات المحكِّمة فيه، بما أظهروه له من السب والتكفير واستحلال دمه، ونهب أمواله.

ولم يبق معه من يأمن غوائله إلا خاصة من شيعته وشيعة أبيه أمير المؤمنين «عليه السلام»، وهم جماعة لا تقوم لأجناد الشام»[1].

3 ـ وقالوا أيضاً: «فأما معاوية، فإنه وافى حتى نزل في قرية يقال لها: الحبونية، وأقبل عبيد الله بن العباس حتى نزل بإزائه، فلما كان من غد وجَّه معاوية إلى عبيد الله: إن الحسن قد راسلني في الصلح، وهو مسلِّم الأمر إليَّ، فإن دخلت في طاعتي الآن كنت متبوعاً، وإلا دخلت وأنت تابع.

ولك إن جئتني الآن أن أعطيك ألف ألف درهم، أعجل لك في هذا الوقت نصفها، وإذا دخلت الكوفة النصف الآخر.

(1) الإرشاد للمفيد (ط دار المفيد) ج2 ص11 ـ 13 وبحار الأنوار ج44 ص45 والعوالم ج16 ص157 ـ 158 ومناقب آل أبي طالب (ط المكتبة الحيدرية) ج3 ص195 وكشف الغمة ج2 ص162.

فانسل عبيد الله ليلاً فدخل عسكر معاوية، فوفى له بها وعده، وأصبح الناس ينتظرونه أن يخرج فيصلي بهم، فلم يخرج حتى أصبحوا فطلبوه فلم يجدوه، فصلى بهم قيس بن سعد بن عبادة، ثم خطبهم فثبتهم، وذكر عبيد الله فنال منه، ثم أمرهم بالصبر والنهوض إلى العدو، فأجابوه بالطاعة، وقالوا له: انهض بنا إلى عدونا على اسم الله، فنهض بهم.

وخرج إليهم بسر بن أرطاة فصاحوا إلى أهل العراق: ويحكم هذا أميركم عندنا قد بايع، وإمامكم الحسن قد صالح، فعلام تقتلون أنفسكم؟!

فقال لهم قيس بن سعد: اختاروا إحدى اثنتين:

- إما القتال مع غير إمام.

وإما أن تبايعوا بيعة ضلال.

قالوا: بل نقاتل بلا إمام، فخرجوا فضربوا أهل الشام حتى ردوهم إلى مصافهم.

وكتب معاوية إلى قيس بن سعد يدعوه ويمنيه، فكتب إليه قيس:

لا والله لا تلقاني أبداً إلا بيني وبينك الرمح.

فكتب إليه معاوية لما يئس منه:

أما بعد، فإنك يهودي ابن يهودي، تشقي نفسك وتقتلها فيما ليس لك، فإن ظهر أحب الفريقين إليك نبذك وعزلك، وإن ظهر أبغضهما إليك نكل بك وقتلك، وقد كان أبوك أوتر غير قوسه، ورمى غير غرضه، فخذله قومه، وأدركه يومه، فمات بحوران طريداً غريباً.. والسلام.

فكتب إليه قيس بن سعد:

أما بعد، فإنما أنت وثن ابن وثن، دخلت في الإسلام كرهاً، وأقمت فيه فرقاً، وخرجت منه طوعاً، ولم يجعل الله لك فيه نصيباً، لم يقدم إسلامك، ولم يحدث نفاقك، ولم تزل حرباً لله ولرسوله، وحزباً من أحزاب المشركين، وعدو الله ونبيه، والمؤمنين من عباده..

وذكرت أبي، فلعمري ما أوتر إلا قوسه، ولا رمى إلا غرضه، فشغب عليه من لا يشق غباره، ولا يبلغ كعبه..

وزعمت أني يهودي ابن يهودي، وقد علمت وعلم الناس أني وأبي أعداء الدين الذي خرجت منه، وأنصار الدين الذي دخلت فيه وصرت إليه، والسلام.

فلما قرأ معاوية كتابه غاظه وأراد إجابته، فقال له عمرو: مهلاً فإنك إن كاتبته أجابك بأشد من هذا، وإن تركته دخل فيما دخل فيه الناس، فأمسك عنه»[1].

ونقول:

توضيحات:

استلأم: لبس اللامة، وهي الدرع.

الساباط: بلد بالمدائن.. وهو سقيفة بين دارين تحتها طريق نافذ.

كفَّرها: سترها.

---

(1) بحار الأنوار ج44 ص50 والعوالم ج16 ص164 ـ 166 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج16 ص41 ـ 43 وكشف الغمة ص338 ـ 340 ومقاتل الطالبيين ص42.

الضغينة: الحقد.

المطرف: رداء من خز مربع ذو أعلام.

الرداء: ما يلبس فوق الثياب، كالعباءة.

المغول: سوط في جوفه سيف دقيق.

وهنا أمور عديدة ينبغي التوقف عندها، نذكر منها ما يلي:

صلوا أرحامكم بقتل الأرحام:

تقدم: أن معاوية طلب من الإمام الحسن أن لا يقطع رحمه.. وها هو معاوية نفسه يدبِّر ويأمر بقتل الإمام الحسن «عليه السلام» حين طلب من عملائه الأربعة أن يدبِّروا لاغتياله «عليه السلام»، وقد حصل له ما طلب، فأنجى الله تعالى الإمام منهم..

فهل يرى معاوية: أن قتل ذوي الرحم هو من مفردات صلة الأرحام؟!

أو أنه يرى أن وجوب صلة الرحم متوجه إلى الإمام الحسن «عليه السلام» فقط، أما معاوية، فتجب عليه قطيعتهم، بل يجب عليه قتلهم، واستئصال عزهم، والقضاء على كل من يلوذ بهم من قراباتهم، وشيعتهم، ومحبيهم؟!

إن كلا هذين الخيارين جائزان بمفهوم معاوية، حين تقتضي سياساته، وممارساته أياً منهما.

معاوية يتآمر:

إن غاية وأعظم ما يتمناه معاوية، وأحب الأشياء إلى قلبه، هو قتل الإمام الحسن، والحسين «عليهما السلام»، وبني هاشم وجميع من يتشيع لهم، ولكنه

كان يعلم أن بلوغ هذا الهدف سيكون ثمنه باهظاً جداً عليه، وسيجعل كل شيء في مهب الريح.. فكان يحاول أن يحصل على ما يريد من دون أن يترك وراءه أثراً واضحاً، يؤخذ به.

من أجل ذلك كان يحاول تدبير المكائد، والمصايد التي تكلفه أقل قدر ممكن من الأثمان..

فاعتمد وسيلة دسّ السم للرموز التي يخشى أن تكون عائقاً أمام طموحاته على أيدي عملائه، كما فعله بالنسبة للأشتر، وسعد بن أبي وقاص، وبعد ذلك بالنسبة للإمام الحسن «عليه السلام»، وغيرهم ..

كما أنه قد اعتمد وسيلة الإغراء بالمكافآت المالية لمن يغتال له من يريد التخلص منهم..

وهذه الطريقة هي التي اعتمدها بالنسبة للإمام الحسن «عليه السلام» أيضاً، فنتج عنها ـ على الظاهر ـ ما جرى في مظلم ساباط، ولو نجحت هذه المحاولة، فإنه يستطيع ليس فقط أن يتنصل من تهمة تدبيره لهذا الأمر، وإنما هو سوف يجلس لتلقي العزاء بموت الإمام الحسن «عليه السلام»، وسوف يحاول أن يلقي القبض على القتلة الذين أمرهم هو، أو عملاؤه بهذا العمل الشنيع، ويكون هو الذي يقتلهم على رؤوس الأشهاد، لكي لا يبقى أي أثر للجريمة يمكن أن يدل عليه، أو يشير إليه من قريب أو من بعيد.

والذين طلب منهم تدبير أمر اغتيال الإمام «عليه السلام» هم من المعروفين بالإنحراف عن علي وأهل بيته «عليهم السلام»، ومنهم من شارك في قتل الحسين في كربلاء بصفة قادة أساسيين، مثل: حجار بن أبجر العجلي،

الذي كان أبوه نصرانياً، وشبث بن ربعي التميمي اليربوعي، ومثل عمرو بن حريث، فقد كان مع ابن زياد يداً واحدة يتشاركان ويتعاونان في مختلف الأمور على مسلم بن عقيل، وعلى الإمام الحسين «عليه السلام».

ومثل الأشعث بن قيس الذي كان حاله معلوماً في المضادة لعلي «عليه السلام» وفي ممالأة أعدائه.

وهؤلاء لا يباشرون هذا الأمر بأنفسهم، بل هم يخطِّطون، وينفذ من يأتمر بأمرهم.

ومما يشهد لما نقول: أن معاوية يطمعهم بالأموال الطائلة، إن تمكنوا من قتل الإمام الحسن «عليه السلام» وبالإمارة على جند من جند الشام، وبالمصاهرة بتزويج من يفعل ذلك إحدى بناته..

كشف المؤامرة والتحرز منها:

1 ـ وقد تقدم: أن أمر هذه المؤامرة قد بلغ الإمام الحسن «عليه السلام»، فتحرَّز منها، ونرى: أن بلوغ خبر أمر كهذا للإمام الحسن «عليه السلام» لهو أمر صعب وصعب جداً، فإن مثل هذه الأمور يكون كشفها صعباً، ولاسيما إذا كان المستهدف بالمؤامرة هو النظام القائم والحاكم، الذي كان حديث التشكل، وكانت فئاته مختلفة الآراء، مشتتة الولاءات، تعاني من أمراض شتى في العلاقات، وفي الأخلاق، وفي المواقف والطموحات، وفي الإلتزام الديني، وغير ذلك..

فكيف إذا بلغت الأمور حَدّاً أصبح فيها التعامل مع الأعداء الأشرار، والتخلي عن العهود والوعود، وشراء وبيع الذمم، والخيانة لأئمة الدين،

والنفاق والشقاق هو السمة الطاغية، والمهيمنة على أكثر الناس؟!

فإن الإمساك بأزِّمة الأمور، وضبط الحركة العامة سيكون أمراً بالغ الصعوبة، بعيد المنال.

فاكتشاف هذا الأمر في ظروف كهذه يدل على تميز فائق للمخلصين من أصحاب الإمام الحسن «عليه السلام» فيما يرتبط بالرصد، والمراقبة، بالرغم من قلة عددهم، وأنهم كانوا في غاية اليقظة والحذر، إن لم نقل: إنه يكشف عن أنهم كانوا قد نسجوا شبكة علاقات واسعة تمكِّنهم من الإطِّلاع على ما يدور وما يجري في مختلف الدوائر الحساسة في محيط أصحاب النفوذ، من الرؤساء، والزعماء الذين يمكن أن يقيم معهم الأعداء، ولاسيما معاوية علاقات تآمر، وخيانة، ومتاجرة بدماء الناس، ومصائرهم.

2 ـ وحتى حين تحرز الإمام الحسن من المتآمرين على حياته، فإن أعداءه برغم كثرتهم لم يعرفوا أنه قد احتاط وتحرَّز من كيدهم، ولأجل ذلك رماه أحدهم بسهم ـ وهو في حال الصلاة ـ فلم يؤثر فيه «عليه السلام»، ولو أن الرامي كان يعلم أن الحسن «عليه السلام» قد كشف المؤامرة، واحتاط لنفسه لم يرمه بسهمه هذا..

3 ـ يلاحظ هنا: أن الإمام الحسن «عليه السلام» الذي احتاط بلبس الدرع، قد غطَّى تلك الدرع، ربما لأن كشفها أمام الناس سوف يثير حالة من الخوف إلى حدِّ الهلع لدى كثير منهم، وسيظهره «عليه السلام» في صورة الخائف، والضعيف.. وسيجعل أعداءه يتجهون نحو أساليب أخرى غادرة وماكرة، وسيكونون أكثر تستراً عليها، واحتياطاً وحرصاً على إخفائها،

والمنع من تسرب أخبارها..

4 ـ إن هذا هو ما حصل بالفعل، فإنهم حين أدركوا أن الإمام قد تحرز من هذا النوع من وسائل الإغتيال، لجأوا إلى وسيلة أخرى.. باءت هي الأخرى بفشل نسبي.. وهي وسيلة الطعن بالخنجر، أو المغول المسموم، فإنهم ظنّوا: أنه حتى لو كان الإمام الحسن «عليه السلام» يلبس درعاً، وقد لا يتمكنون من إصابته في مقتل، ولكنهم إذا كان خنجرهم، أو مغولهم مسموماً، فإن جرحه يكفيهم، ويكون سريان السم في البدن كفيلاً بالباقي..

5 ـ لكن هذا أيضاً.. لم يكن كافياً لتحقيق أغراضهم، فقد أمكن علاج السم، واستعادة العافية بدرجة معينة، وإن بقي الإعتلال مهيمناً.. إلى ما بعد رحيله «عليه السلام» من المدائن إلى الكوفة، ثم منها إلى المدينة، كما صرحت به بعض الروايات، فقد قالت: إن الإمام الحسن «عليه السلام» لما عاد من المدائن إلى الكوفة بعدما طعن، واصل في الكوفة التداوي من تلك الطعنة، فلما شفي توجَّه إلى المدينة[1].

بل قال ابن أعثم: توجَّه إلى المدينة وهو عليل[1].

الأشعث بن قيس لماذا؟!:

وقد يقال:

---

(1) تذكرة الخواص (ط النجف سنة 1383 هـ. ق) ص199 وتاريخ الأمم والملوك ج3 ص168 و (ط الأعلمي) ج4 ص126 وتجارب الأمم ج1 ص574.

(1) راجع: الفتوح لابن أعثم ج2 ص292 و (ط دار الأضواء) ج2 ص296.

يرد على الرواية المتقدمة عن الصدوق ما يلي:

أنها ذكرت: أن الأشعث بن قيس كان في جملة من كتب إليهم معاوية يطلب منهم اغتيال الإمام الحسن «عليه السلام».

مع أنهم يقولون: إن الأشعث قد مات بعد استشهاد أمير المؤمنين «عليه السلام» بأربعين يوماً(1)..

إلا أننا نقول:

إذا كان معاوية قد كتب إلى الأشعث وغيره يأمرهم بقتل الإمام «عليه السلام» فور علمه بالبيعة له.. فذلك يعني: أنه كان يعمل على اغتيال الإمام الحسن منذ اليوم الأول.. ثم مات الأشعث، وبقي هذا الهدف ماثلاً، حتى وجدوا الفرصة حين قدم الإمام الحسن «عليه السلام» إلى مظلم ساباط، فعدوا عليه، وحاولوا قتله «صلوات الله وسلامه عليه».

المختار، وتسليم الإمام لمعاوية:

وقد ذكرت الرواية المتقدمة عن الصدوق «رحمه الله»: أن المختار قال لعمه: تعال حتى نأخذ الحسن ونسلمه إلى معاوية، فيجعل لنا العراق الخ..

وعند الطبري، وابن الأثير: «قال المختار وهو غلام شاب لعمه سعد

---

(1) الإستيعاب (ط دار الجيل) ج1 ص135 والكامل في التاريخ ج3 ص403 والثقات لابن حبان ج3 ص13 ومشاهير علماء الأمصار ص78 وتاريخ بغداد ج1 ص211 وتاريخ مدينة دمشق ج9 ص144 وأسد الغابة ج1 ص 97 و 98 وتهذيب الكمال ج3 ص293 وسير أعلام النبلاء ج2 ص41 والإصابة ج1 ص240 وبغية الطلب لابن العديم ج4 ص1895 و 1919 والوافي بالوفيات ج9 ص162.

بن مسعود الثقفي: هل لك في الغنى والشرف؟!

قال: وما ذاك؟!

قال: توثق الحسن وتستأمن به إلى معاوية.

فقال له سعد: عليك لعنة الله، أأثب على ابن بنت رسول الله «صلى الله عليه وآله» فأوثقه؟! بئس الرجل أنت!!»(1).

وقال ابن سعد في طبقاته: «قال المختار لعمه: هل لك في أمر تسود به العرب؟!

قال: وما هو؟!

قال: تدعني أضرب عنق هذا (يعني الحسن) وأذهب برأسه إلى معاوية!

قال: ما ذاك بلاهم عندنا أهل البيت»(1).

وفي نص آخر: «أنه أشار على عمه أن يوثقه، ويسير به إلى معاوية على أن يطعمه خراج جوخى سنة.

---

(1) تاريخ الأمم والملوك ج5 ص159 و (ط الأعلمي) ج4 ص122 ومجمع الزوائد ج9 ص145 والمعجم الكبير ج1 ص104 والمنتظم في تاريخ الأمم والملوك ج5 ص166 والكامل في التاريخ ج3 ص404 وجواهر المطالب لابن الدمشقي ج2 ص197 ونهاية الأرب ج20 ص226 وتلخيص الشافي ج4 ص175 والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث) ج8 ص16 وأنساب الأشراف (ترجمة الإمام الحسن) ص35 و 38 وقاموس الرجال ج5 ص64 و 65.

(1) ترجمة الإمام الحسن من طبقات ابن سعد ص62 وراجع: تذكرة الخواص (ط النجف سنة 1383 هـ. ق) ص197.

فأبى عليه.

وقال للمختار: قبح الله رأيك، أنا عامل أبيه، وقد ائتمنني وشرفني، وهبني بلاء أبيه، أأنسى رسول الله «صلى الله عليه وآله» ولا أحفظه في ابن ابنته وحبيبته»؟![1].

ولعل الصحيح: هبني نسيت بلاء أبيه.

قال آية الله السيد أبو القاسم الخوئي:

«وهذه الرواية لإرسالها غير قابلة للإعتماد عليها..

على أن لو صحت لأمكن أن يقال: إن طلب المختار هذا لم يكن طلباً جدياً، وإنما أراد بذلك أن يستكشف رأي عمه، فإن علم أن عمه يريد ذلك لقام باستخلاص الحسن «عليه السلام»، فكان قوله هذا شفقة منه على الحسن «عليه السلام».

وقد ذكر بعض الأفاضل: «أنه وجد بذلك رواية عن المعصوم «عليه السلام»..»[1].

ونقول:

أولاً: إن سعد بن مسعود الثقفي ليس ممن يظن في حقه الغدر بإمامه، كما تدل عليه رسالة أمير المؤمنين إليه وهو على المدائن، فقد قال له فيها:

---

(1) راجع: تنزيه الأنبياء للشريف المرتضى ص222 وبحار الأنوار ج44 ص28 عنه، وأنساب الأشراف ج3 ص35 و 36.

(1) معجم رجال الحديث للسيد الخوئي ج19 ص105.

«أما بعد، فإنك قد أديت خراجك، وأطعت ربك، وأرضيت إمامك، فعل البر التقي النجيب، فغفر الله ذنبك، وتقبل سعيك، وحسن مآبك»(1).

ثانياً: إن ضعف سند الرواية لا يعني كذب مضمونها.

ثالثاً: إن الشيعة قد همُّوا بقتل المختار، فلماذا لم يعتذر المختار لهم: بأنه أراد اختبار نوايا عمِّه، وكان يريد استخلاص من يدعمه لو ظهر أنه يريد به شيئاً من ذلك؟!

رابعاً: إن الإحتمال الذي ذكره السيد الخوئي «قدس سره» لا شاهد له، خصوصاً في تلك الفترة التي لا يعلم حال المختار فيها، من حيث الإستقامة وعدمه.

بل قد يدَّعى: أن ما ورد في بعض الروايات عن الإمام الصادق «عليه السلام» في حديث: أن الحسين «عليه السلام» هو الذي يخرج يوم القيامة المختار من النار، ذكر «عليه السلام»: أن سبب دخول المختار النار:

«أنّ المختار كان يحب السلطنة وكان يحب الدنيا وزينتها وزخرفها، وإنّ حبّ الدنيا رأس كلّ خطيئة، لأنّ رسول الله «صلى الله عليه وآله» قال: والَّذي بعثني بالحقّ نبيّاً، لو أنّ جبرئيل وميكائيل كان في قلبهما ذرة من حبّ الدنيا لأكبّهما اللهُ على وجوههما في نار جهنم»(1).

وهذا ينسجم مع ما علَّل به المختار لعمه سبب اقتراحه تسليم الحسن

(1) تاريخ اليعقوبي ج2 ص201 ومصباح البلاغة (مستدرك نهج البلاغة) ج4 ص152.

(1) قاموس الرجال للتستري ج10 ص9 والمنتخب للطريحي ص156 وتهذيب التهذيب ج1 ص466 ومستطرفات السرائر ج3 ص566.

«عليه السلام» لمعاوية، وهو الحصول على شيء من حطام الدنيا.. ولكن الله كشف عن بصيرته بعد ذلك، فتصدى للأخذ بثارات الحسين «عليه السلام».. فنفعه ذلك، واستنقذه الإمام الحسين «عليه السلام» من النار..

ومهما يكن من أمر، فقد وردت في حقه روايات مادحة، وأخرى قادحة.

ونختار من الروايات المادحة:

ألف: إبراهيم بن محمد الختلي [الجبلي]، قال: حدثني أحمد بن إدريس القمي، قال: حدثني محمد بن أحمد، قال: حدثني الحسن بن علي الكوفي، عن العباس بن عامر، عن سيف بن عميرة، عن جارود بن المنذر، عن أبي عبد الله «عليه السلام» قال: ما امتشطت فينا هاشمية ولا اختضبت حتى بعث إلينا المختار برؤوس الذين قتلوا الحسين «عليه السلام»[1].

وهذه الرواية صحيحة السند.

ب: عن أبي جعفر «عليه السلام» قال: لا تسبوا المختار، فإنه قتل قتلتنا، وطلب بثأرنا، وزوج أراملنا، وقسم فينا المال على العسرة[1].

---

(1) إختيار معرفة الرجال (رجال الكشي) ص127 و (ط مؤسسة آل البيت لإحياء التراث) ج1 ص341 وملاذ الأخيار ج3 ص315 وبحار الأنوار ج45 ص344 والعوالم، الإمام الحسين ص652 ورجال ابن داود ص277 وقاموس الرجال ج10 ص7.

(1) إختيار معرفة الرجال (رجال الكشي) ص125 و (ط مؤسسة آل البيت لإحياء التراث) ج1 ص340 والوافي ج25 ص693 وملاذ الأخيار ج3 ص314 وذوب النضار ص62 وبحار الأنوار ج45 ص343 و 351 والعوالم، الإمام الحسين

ج: وعن أبي جعفر «عليه السلام» أنه قال للحكم بن المختار جواباً على سؤاله إياه عن أبيه:

سبحان الله، أخبرني أبي والله: أن مهر أمي كان مما بعث به المختار، أولم يبن دورنا، وقتل قاتلينا، وطلب بدمائنا؟! رحمه الله..

وأخبرني والله أبي أنه كان ليتم عند فاطمة بنت علي، يمهد لها الفراش، ويثني لها الوسائد، ومنها أصاب الحديث..

رحم الله أباك، (قالها ثلاثاً) ما ترك لنا حقاً عند أحد إلا طلبه، قتل قتلتنا، وطلب بدمائنا[1].

د: عن الأصبغ، قال: رأيت المختار على فخذ أمير المؤمنين «عليه السلام» وهو يمسح رأسه ويقول: يا كيس يا كيس[1].

هـ: وعن الإمام السجاد «عليه السلام»: أنه لما أتي برأس عبيد الله بن

ص652 و 670 وخلاصة الأقوال ص276 ورجال ابن داود ص277 والتحرير الطاووسي ص558 وقاموس الرجال ج10 ص6.

(1) إختيار معرفة الرجال (رجال الكشي) ص126 و (ط مؤسسة آل البيت لإحياء التراث) ج1 ص341 وملاذ الأخيار ج3 ص314 وذوب النضار ص62 وبحار الأنوار ج45 ص343 والعوالم، الإمام الحسين ص651 ورجال ابن داود ص277 وقاموس الرجال ج10 ص6.

(1) إختيار معرفة الرجال (رجال الكشي) ص127 و (ط مؤسسة آل البيت لإحياء التراث) ج1 ص340 وقاموس الرجال ج10 ص7 وذوب النضار ص61 وبحار الأنوار ج45 ص344 والعوالم، الإمام الحسين ص649 و 669 ومستدرك سفينة البحار ج9 ص207.

زياد، ورأس عمر بن سعد، قال: خرَّ «عليه السلام» ساجداً، وقال: الحمد لله الذي أدرك لي ثاري من أعدائي، وجزى الله المختار خيراً(1).

ومن أحاديث الذم نذكر:

ألف: قالوا: إن المختار أرسل إلى علي بن الحسين بعشرين ألف دينار، فقبلها، وبنى بها دار عقيل بن أبي طالب، ودارهم التي هدمت.

قال: ثم إنه بعث إليه بأربعين ألف دينار، بعدما أظهر الكلام الذي أظهره، فردَّها لم يقبلها(2).

ب: لكن قال في مختصر البصائر: بعث المختار إلى عليّ بن الحسين «عليه السلام» بمائة ألف درهم فكره أن يقبلها منه، وخاف أن يردّها، فتركها في بيت.. فلمّا قتل المختار كتب إلى عبد الملك يخبره بها، فكتب إليه: «خذها طيّبة هنية».

فكان عليّ «عليه السلام» يلعن المختار ويقول: كذب على الله وعلينا، لأنّ المختار يزعم أنّه يوحى إليه(1).

---

(1) إختيار معرفة الرجال (رجال الكشي) ص127 و (ط مؤسسة آل البيت لإحياء التراث) ج1 ص341 والوافي ج25 ص693 وبحار الأنوار ج45 ص344 والعوالم، الإمام الحسين ص649 وقاموس الرجال ج10 ص7.

(2) إختيار معرفة الرجال (رجال الكشي) ص128 و (ط مؤسسة آل البيت لإحياء التراث) ج1 ص342 وبحار الأنوار ج45 ص344 والعوالم، الإمام الحسين ص649 وقاموس الرجال ج10 ص8 ورجال ابن داود ص278.

(1) قاموس الرجال ج10 ص8 و 14 عن مختصر بصائر الدرجات، وعن ذيول الطبري

ويجاب عن أخبار ذمِّ المختار بما يلي:

إن الأئمة «عليهم السلام» كانوا يذمُّون بعض شيعتهم، كزرارة، ومحمد بن مسلم، وأضرابهما.. مع أنهم لم يطلبوا مُلكاً، ولا نازعوا أحداً في شيء من ذلك، وذلك ليحفظوهم من بطش السلاطين بهم على الظنِّ والتهمة.

والمختار قد طلب الإمارة ونالها، ونازعهم فيها، ناسباً نفسه إلى الأئمة «عليهم السلام»، وطالباً بثأرهم، فكان ذمُّه على لسان الأئمة من أجل حفظ الشيعة من سورة أعدائهم واجباً.

فكيف إذا كان الإمام يعلم: بأن دولة بني مروان سوف تتغلب على البلاد والعباد، فلذلك احتفظ بالمئة ألف درهم التي أرسلها إليه المختار في بيت، وبقيت إلى ما بعد مقتل المختار، لتكون ردءاً له ولشيعته من بطش بني مروان.

ج: وعلى هذا يحمل ما روي عن الإمام الصادق «عليه السلام»، من أنه قال: كان المختار يكذب على علي بن الحسين «عليه السلام»[1].

ص630 وبحار الأنوار ج45 ص346 والعوالم، الإمام الحسين ص650 والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث) ج9 ص124 والطبقات الكبرى لابن سعد ج5 ص213 وتاريخ مدينة دمشق ج41 ص377 وتهذيب الكمال ج20 ص389 والمنتخب من ذيل المذيل من تاريخ الصحابة والتابعين ص119 وتاريخ الإسلام للذهبي ج6 ص434.

(1) إختيار معرفة الرجال (رجال الكشي) ص125 و (ط مؤسسة آل البيت لإحياء التراث) ج1 ص340 وج2 ص492 وقاموس الرجال ج10 ص7 و 190 وملاذ الأخيار ج3 ص315 وبحار الأنوار ج45 ص343 والعوالم، الإمام الحسين

د: وعلى هذا يحمل ما روي عن أبي جعفر «عليه السلام»، من أن الإمام السجاد «عليه السلام» رفض استقبال الذين جاؤوا بهدايا من المختار، فحولوها إلى محمد ابن الحنفية[1].

وقال السيد الخوئي عن روايات ذم المختار:

«وهذه الروايات ضعيفة الاسناد جداً» وذكر «رحمه الله»: أن في بعضها تهافتاً وتناقضاً.

د: وأما ما ورد، من أن الإمام الحسين «عليه السلام» ابتلي بالمختار.. وهي رواية صحيحة السند[1]، وأن النبي والأئمة الأطهار «صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين» كان كل منهم مبتلى بكذّاب يكذب عليه..

فيحتمل أن يكون المراد بها شخصاً آخر اسمه المختار، حيث إننا لم نعثر على رواية واحدة كذب فيها المختار على الإمام الحسين «عليه السلام» لا قبل استشهاده «عليه السلام» ولا بعده..

لاسيما، وأن الحسين «عليه السلام» قد أمر مسلم بن عقيل: أن ينزل في

ص652 ورجال ابن داود ص277 والتحرير الطاووسي ص558.

(1) إختيار معرفة الرجال (رجال الكشي) ص126 و 127 و (ط مؤسسة آل البيت لإحياء التراث) ج1 ص341 وملاذ الأخيار ج3 ص315 وبحار الأنوار ج45 ص344 والعوالم، الإمام الحسين ص651 ورجال ابن داود ص277.

(1) إختيار معرفة الرجال (رجال الكشي) ص305 و (ط مؤسسة آل البيت لإحياء التراث) ج2 ص593 وقاموس الرجال ج9 ص600 وج10 ص8 عنه، وملاذ الأخيار ج16 ص281 ومستدرك الوسائل ج9 ص90 وبحار الأنوار ج2 ص217 وج25 ص263.

الكوفة على أوثق أهلها[1]، فنزل على المختار، وتعاون معه على تهيئة الأمور، وتولى المختار جمع الناس من الأطراف، على أن يجمع مسلم أهل الكوفة، ويلتقيا في يوم واحد، لكن الأحداث أجبرت مسلماً على الخروج قبل الموعد. فجاء المختار إلى الكوفة في الموعد المحدد، فوجد أن مسلماً قد قتل، وانتهى أمر المختار إلى سجن ابن زياد.

وأخيراً، فقد روى ابن نما: أن جماعة من الذين بايعوا المختار على الطلب بثارات الحسين دخلوا على محمد ابن الحنفية، قبل موعد خروج المختار، فسألوه عن هذا الأمر، فقال لهم: «وأما الطلب بدمائنا، قوموا بنا إلى إمامي وإمامكم علي بن الحسين.

فلما دخل ودخلوا عليه، أخبر خبرهم الذي جاؤا لأجله، قال: يا عم، لو أن عبداً زنجياً تعصَّب لنا أهل البيت، لوجب على الناس مؤازرته، وقد وليّتك هذا الأمر، فاصنع ما شئت.

فخرجوا، وقد سمعوا كلامه وهم يقولون: أذن لنا زين العابدين «عليه السلام» ومحمد ابن الحنفية»[1].

الإمام الحسن ينظر إلى العواقب:

ويظهر من رواية الصدوق المتقدمة في علل الشرايع: أن الإمام الحسن «عليه السلام» قد عقب على ما جرى له في مظلم ساباط، وعلى ما نسب إلى

---

(1) راجع: الفتوح لابن أعثم ج5 ص31 ومقتل الحسين للخوارزمي ج1 ص196.

(1) معجم رجال الحديث ج19 ص109 عن كتاب ابن نما، وبحار الأنوار ج45 ص365 وذوب النضار ص97 والعوالم، الإمام الحسين ص684.

المختار أنه قاله بقوله:

«والله، إن معاوية لا يفي لأحد منكم بما ضمنه في قتلي، وإني أظن أنّي وإن وضعت يدي في يده، فأسالمه، لم يتركني أدين لدين جدي، وإنّي أقدر أن أعبد الله وحدي، ولكني كأني أنظر إلى أبنائكم واقفين على أبواب أبنائهم يستسقونهم ويستطعمونهم بما جعله الله لهم فلا يسقون ولا يطعمون الخ..» إلى أن قال: فجعلوا يعتذرون بما لا عذر لهم فيه..

وقد تضمنت هذه الفقرة الجميلة والجليلة أموراً عديدة بالغة الأهمية، نشير إلى بعض منها، كما يلي:

1 ـ إن الإمام «عليه السلام» في مثل هذا الموقف الخطير والصعب لم يلُم أصحابه على تخاذلهم عنه، ولا قبحّ غدرهم به، ولم يشر إلى خشيته على حياته، أو إلى عدم الثقة بهم، أو عدم شعوره بالأمن بينهم، ولا تحدث عن ميلهم إلى معاوية وخذلانهم إياه، وهو سيد شباب أهل الجنة، ولم يشر إلى خطأهم في اختياراتهم..

كما أنه لم يشر إلى ما حدث له في خطاب ولا عتاب.. ولو بمثل أن يقول لهم: ما الذي تنقمونه علي؟! وأي ذنب اقترفته تجاهكم؟!

بل تحدث عن توقعاته لما يجري لهم في المستقبل مع معاوية، والبلاء الذي سيحيق بأبنائهم من بعدهم..

2 ـ إنه «عليه السلام» بدأ بالدلالة على أن ما يؤملونه من معاوية سوف لا يحصلون عليه حتى لو تمكنوا من فعل ما طلبه معاوية منهم، لأن طبيعة معاوية وطريقته هي النكث بالعهود، والخلف بالوعود، فهم إن حصلوا منه

على شيء مما وعدهم به، فلا يرجى بقاؤه في أيديهم، بل هو قد يستعيده أضعافاً، مع مزيد من البطش والفتك بمن لم يرضَ منه بذلك..

3 ـ لقد ذكر لهم: أن معاوية لا يؤمن على دين الله، ولا يرضى حتى من ابن رسول الله وسيد شباب أهل الجنة، وإمام الأمة حتى إذا سالمه، وأعطاه ما يريد ـ لا يرضى منه ـ إلا بالتخلي حتى عن دين جده، وإلا بالعزوف عن الدعوة إليه، والدلالة عليه.

4 ـ يلاحظ: أنه «عليه السلام» قال: لم يتركني أدين لدين الله، وسبب ذلك: أن حقد معاوية وحسده ينصبُّ على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ورسول الله هو المستهدف بسياساته الخبيثة، كما يدل عليه حلفه للمغيرة على أنه سوف يدفن ذكر رسول الله، ويزيل اسمه[1]..

ومن يحقد ويحسد رسول الله «صلى الله عليه وآله» ولا يريد حتى لأبناء الرسول أن يكونوا أوفياء لدين جدهم، هل سيكون وفياً للآخرين، الذين لا يرى لهم قيمة ولا شأناً، بل يعتبرهم دمى يتلهى بها، وأدوات يتوصل بها

(1) الموفقيات للزبير بن بكار 576 ـ 577 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج9 ص238 و (ط دار إحياء الكتب العربية) ج5 ص129 و 130 وكشف الغمة ج2 ص45 و 46 وبحار الأنوار ج33 ص169 و 170 والغدير ج10 ص283 و 284 ووضوء النبي ج1 ص208 ومروج الذهب ج3 ص454 و (ط أخرى) ج2 ص341 والنصائح الكافية ص116 وموسوعة التاريخ الإسلامي ج1 ص47 و 48 وكشف اليقين ص474 و 475 وقاموس الرجال ج9 ص20 وج10 ص110 وبهج الصباغة ج3 ص193 وكتاب الأربعين للماحوزي ص88 و 89.

إلى مآربه وشهواته..

5 ـ ثم لقد أشار «عليه السلام» إلى أنه حتى مع كل هذا البغي والظلم، والحسد والحقد من معاوية وحزبه، فإنه «عليه السلام» يستطيع أن يعتزل ويعبد الله عز وجل وحده.

ولكن على الناس أن يعرفوا أن القضية بينه وبين معاوية ليست شخصية، بل هي قضية حفظ حياة الناس، وكراماتهم، ودينهم، ومستقبل أبنائهم الذي أشار إليه «عليه السلام»..

مما يعني: أن اعتزاله «عليه السلام» لا يحل المشكلة الكبيرة والخطيرة بصورة نهائية، بل هو يحد من آثارها.. ويقلِّل من حجمها.

6 ـ ثم بيَّن لهم «عليه السلام» أن مسالمته لمعاوية واعتزاله، قد يمنع من ارتكاب معاوية وحزبه جريمة إبادة جماعية لأمة كبيرة من الناس..

ولكنه لا يمنع من بطشه وقتله لجماعات يختارها، ويعمل هو وفريقه، ومن يأتي بعده على التخلص ممن يكرهونهم، أو يخافونهم.

لكن الفتك بحقائق الدين، وظلم أهل الدين، والمستضعفين وإذلال الناس وسحقهم، ومصادرة كراماتهم وحرياتهم، وأموالهم، والتعدي على أعراضهم، والعمل على إشاعة الباطل، وإماتة الحق فيهم، سيبقى هو السياسة المهيمنة التي لا محيد عنها، ولا خلاص منها.

7 ـ وستكون الثمرة العاجلة التي تصيب الناس: هي أن أبناءهم، وثمرات وجودهم، سوف ينتهي أمرهم في الحاجة، والذل، والمهانة إلى أن يراهم الناس واقفين على أبواب أبناء أولئك الظالمين، لا لأجل أن يتصدقوا عليهم

من أموالهم، بل ليطلبوا منهم ما جعله الله تعالى حقاً لهم من الشراب والطعام، فلا يسقونهم، ولا يطعمونهم.

تميز الأولياء عن الأعداء:

تقدم قولهم: إن الإمام الحسن «عليه السلام» أراد في مظلم ساباط أن يمتحن أصحابه، ويستبرئ أحوالهم في الطاعة، ليتميز بذلك أولياؤه من أعدائه، ويكون على بصيرة من لقاء معاوية..

ونقول:

أولاً: إن لنا أن نسأل عن السبب في أنه اختار «عليه السلام» اختبار أصحابه بعد قطعهم مسافات طويلة في طريقهم إلى ملاقاة عدوهم، مع أنه كان يمكن أن يختبرهم قبل أن يخرجوا من معسكرهم، أو حين يتجمعون للخروج منه.

ونجيب:

بأنه ربما كان سبب هذا الإجراء: أنه لو فعل ذلك وهو في المعسكر، أو في القرب منه لأمكن للكثيرين منهم التسلل، والتعلل بالأعذار الواهية في الصحة، أو بمشكلات عائلية، أو غير ذلك.. وقد يعتمدون أسلوب التسلل الخفي، والإبتعاد والتواري عن الأنظار، وكأنه لم يسمع ولم ير شيئاً..

ولكنهم بعد قطع هذه المسافات، وبعد أن رآهم الإخوان والأقران، أصبح التراجع مكلفاً لهم من الناحية النفسية والإعتبارية، وصار لأي قرار يتخذونه وخيار يعتمدونه صدى يسمعه القريب والبعيد.

ثانياً: إن الإمام الحسن «عليه السلام» كان يعرف أصحابه، وأن منهم الخوارج، والشكاك، وأصحاب الأطماع، ومن يتحكم بهم رؤساء قبائلهم،

وأن فيهم من لا يبالي بالحرب ونتائجها، وقد لا يكون على علم بما يجري من حوله، فهم همج رعاع ينعقون مع كل ناعق، ليسوا بأصحاب دين، وقيم ومبادئ وأخلاق.

فهو «عليه السلام» على بصيرة من أمره في لقائه معاوية، ويعرف من يطيعه ممن يعصيه من أصحابه، ويميِّز أولياءه من أعدائه، وإنما أراد بخطبته التي خطبها في ساباط ـ فيما يبدو لنا ـ أموراً تتضح بملاحظة النقاط التالية:

ألف: إن كلامه «عليه السلام» في خطبته التي نتحدث عنها هنا بقي في دائرة البيانات العامة، والقواعد المقبولة لدى أهل الشرع والدين، والعقل والوجدان.

ب: إنه «عليه السلام» لا يريد بكلامه هذا أن يكتشف مجهولاً لديه، من خلال ردات فعل أصحابه، بل يريد تجسيد ما يعلمه من حال الناس الذين هم معه، وإظهاره بصورة عينية ليراه الآخرون، ويعرفوا ما يحاول الأعداء وأصحاب الأهواء التستر عليه كيداً منهم له، وتشويهاً للحقيقة، وتضليلاً للناس عن الواقع الذي فرض نفسه، وحتم عليه عقد الهدنة مع معاوية..

ج: إن معرفته «عليه السلام» بحال أصحابه لم يكن بالأمر الخفي الذي يحتاج إلى علم الإمامة، لأن ممارسات أهل العراق، وما فعلوه مع أبيه من قبل، وتخاذل كثير منهم عن الخروج بعد النهروان إلى حرب معاوية، وتعللاتهم السقيمة لم تكن خفية على أحد، وأقوال أبيه لأصحابه، وإظهاره «عليه السلام» بعض ما يعانيه من مرارات قد سمعها الإمام الحسن، وعرفها القاصي والداني. والكتب والمؤلفات نقلت لنا شطراً كبيراً منها.

فلم يكن الإمام الحسن يحتاج إلى أكثر من التلميح إلى هذا الواقع المرير، لينطلق إلى التعبير عن مكنونات نفسه بكل قوة، وحزم وعزم، وبأعلى صوت، وأوضح بيان، وأصح برهان، ولأجل ذلك اقتصر كلامه على ما يلي:

1 ـ إنه «عليه السلام» يريد بكلامه هذا إسداء نصيحة لغيره، ولا يريد شيئاً لنفسه.

2 ـ لقد وصف نفسه: بأنه أنصح خلق الله لخلقه، ومن المعلوم: أن طاعة الناصح أمر يقرّه العقل والشرع والوجدان، وحب الإنسان لنفسه، وحرصه على سلامتها، وضمان صحة تصرفاته، وبلوغ أهدافه.

3 ـ إنه «عليه السلام» لا ينطلق في نصيحته لهم من ضغينة ولا من سوء نيَّة، وتدبير مكيدة وغائلة لأحد.

4 ـ إنه يريد بكلامه هذا جمع الكلمة، لأن الخير في هذا الجمع، ولا خير في التفرق والتمزق.

5 ـ إن نظرته للناس تنطلق، من محبته لهم، وحرصه عليهم، وبعده عن الهوى وحب الذات والدنيا..

أما نظر الناس لأنفسهم.. فلا شيء يضمن خلوه عن الهوى والحيف والباطل.

6 ـ إن هذه الحقيقة تحتِّم على الناس طاعته فيما يختاره لهم، وببيانه هذا «عليه السلام» يكون قد ساق لهم الدعوى مع دليلها القاطع، وبرهانها الساطع، فكان المتوقع منهم أن يشكروه، ويستجيبوا له، ولكن الأمور سارت باتجاه آخر، فلاحظ ما يلي:

ألف: إن موقفه «عليه السلام» هذا قد أظهر جانباً من العاهات الكبيرة والخطيرة التي كان يعاني منها المجتمع الذي كان يتعامل معه «عليه السلام»، فقد ظهر من هذه العاهات ما يلي:

ب: إن هؤلاء القوم قد أثبتوا أن طاعتهم للإمام مشروطة بما إذا وافق أمره أهواءهم ومطامعهم، فلا طاعة له عليهم فيما سوى ذلك، وبهذا المعنى يصبح الإمام الحسن مجرياً لمراداتهم، لا أكثر ولا أقل.. فعليه أن يكون في موقع السامع المطيع، والحمل الوديع الذي يحركونه كيفما شاؤا، وحيثما أرادوا.

ج: إنهم بمواقفهم وتصرفاتهم تجاه الإمام الحسن «عليه السلام» إذا لم يتيقنوا بما يرمي إليه في كلامه، فلهم الحق في محاسبته، والحكم عليه، وتنفيذ حكمهم هذا وفق ما تؤدي إليه ظنونهم. فهم الحكام على الإمام، وليس الإمام هو الحاكم.

ومستندهم في أحكامهم: هو ظنونهم، وليس وسائل الإثبات الشرعية.

د: وهم يصدرون أحكامهم فيه، ويبادرون إلى تنفيذها، ولا يكلفون أنفسهم عناء سؤاله عما قصد وأراد، كما أنهم بموقفهم هذا قد بيَّنوا: أنهم يرون: أن الصلح مع معاوية الموجب لحقن دماء المسلمين، العاجزين عن دفع بغيه عنهم، كفر وخروج عن الدين.. وهذه هي أفكار وشعارات الخوارج.

هـ: إنهم يرون أن الظن بأن أحداً قد فكَّر بالصلح، فإنه يكفر بذلك.. وكفره هذا يبرِّر إنزال العقوبة بمن فكَّر بذلك، بصورة فورية، ولو كان هذا الشخص سيد شباب أهل الجنة، وقد نص النبي على إمامته، وهو ابن النبي «صلى الله عليه وآله»، وريحانته من الدنيا.

واللافت: أن الناس الذين سمعوا كلام الإمام الحسن «عليه السلام» قد أقسموا على كفره، بل حكموا عليه بالشرك أيضاً، وهاجموه، وفعلوا ما فعلوا استناداً إلى ظنهم، فكأنَّ اليقين عندهم يولد من الظن بصورة طبيعية.

واستحلوا أيضاً نهب فسطاطه، وسلبه ثيابه، وطعنه في فخذه بالمغول، فشقَّ فخذه حتى بلغ العظم.

وقد حصل ذلك في هجومين منفصلين:

أحدهما: حين جمعهم وخطب فيهم.

والثاني: حين بلغ مظلم ساباط.

هـ: أضف إلى ذلك: كتابة جماعة من رؤساء القبائل إلى معاوية بالسمع والطاعة في السر.

و: إنهم استحثوا معاوية على المسير نحوهم..

ز: ضمنوا لمعاوية تسليم الحسن إليه عند دنوهم من عسكره، أو الفتك به.

ح: ثم واجه الإمام الحسن «عليه السلام» التحاق عدد من قوَّاد عساكره وطوائف معهم من جنده بمعاوية، لقاء إغراءات منه لهم بالأموال، ووعود بالولايات على الأجناد في بلاد الشام، ووعود لأولئك القادة: بأن يزوجهم من بناته، وغير ذلك..

وكان ذروة هذه الأحداث: إلتحاق ابن عمه عبيد الله بن عباس بمعاوية، بعد المرادي والكندي اللذين كان كل واحد منهما أميراً على أربعة آلاف.

كما تقدم أن خالد بن عمر زعيم قبيلة ربيعة قد أقبل إلى معاوية وقال له: أبايعك عن ربيعة كلها، و بايعه على ذلك..

وبايعه سراً أيضاً عثمان بن شرحبيل زعيم قبيلة تميم(1).

وسيأتي المزيد من التوضيح لبعض هذه الأمور إن شاء الله.

ط: ثم إن الشائعات الكاذبة التي كان يطلقها معاوية وحزبه، وعملاؤه في البلاد والعباد قد فعلت فعلها، في وهن العزائم، وإثارة الرعب من المصير المجهول.. ومنها شائعة قتل قيس بن سعد، فقد هجموا على الإمام في المدائن، وطعنوه بعد أن نادى منادٍ في العسكر «ألا إن قيس بن سعد قد قتل فانفروا..

فنفروا إلى سرداق الحسن فانتهبوه، وطعنه بعضهم بمشقص (وهو نصل السيف إذا كان طويلاً وعريضاً) فأدماه»(1).

وأشاعوا أيضاً: أن الإمام الحسن قد صالح معاوية وانتهى الأمر، وغير ذلك.. فإنها كانت تفعل فعلها في تخذيل الناس، وإضعاف معنوياتهم، وتشويش الرؤية لديهم، وإثارة الريب والشك في نفوسهم..

خيانة عبيد الله بن عباس غير متوقعة:

وقد عرفنا: أن الإمام «عليه السلام» اختار ابن عمه عبيد الله بن عباس، ليكون على مقدمته، والسؤال هو عن سبب اختياره، بالرغم من وجود أمثال قيس بن سعد، وسعيد بن قيس في جيش الإمام الحسن، فلماذا قدَّمه

---

(1) راجع: أنساب الأشراف قسم1 ج1 ص223.

(1) تذكرة الخواص ج2 ص20 والبداية والنهاية ج8 ص14 وراجع: تاريخ اليعقوبي ج2 ص191 وراجع: حياة الحيوان ج1 ص57.

على قيس في الإمارة على مقدمة جيشه؟!

وقد يجاب عن ذلك:

أولاً: بأن الإمام الحسن «عليه السلام» كان يعلم أن معاوية كان يعمل على إغراء الزعماء والرؤساء في العراق بالأموال، والمناصب، والمقامات، ويعرض على عدد منهم تزويجه بإحدى بناته، إن كان ممن يهمه ذلك، ويرى أن مصاهرته لمعاوية تنفعه في إدراك ما يأمل من نفوذ كلمة، وتوسعة في الأموال والإقطاعات، وهيبة وسلطة، وما إلى ذلك..

والتحاق الأعيان، والأقرباء، وكبار القادة بمعاوية من شأنه أن يضعف موقف الإمام الحسن «عليه السلام»، ويثير حالة من الريب والشك عند الناس في استقامة الأمور، وفق ما يحبون ويأملون.

ويرى الكثيرون منهم: أن من حقهم أن يفكروا بمصيرهم، وأن يضمنوا السلامة لأنفسهم ولمن يلوذ بهم..

وكان لاجتذاب معاوية لعبيد الله بن عباس قيمة كبيرة عند معاوية، حتى لو لم يتسلم عبيد الله زمام قيادة المقدمة لعلم معاوية: أن اجتذابه إليه سيكون مؤثِّراً في تغذية أجواء التواكل والتخاذل، والريب والشك، في جيش الإمام الحسن.

وكان معاوية يعرف نقاط ضعف عبيد الله بن عباس، وقد استفاد منها في عملية إغرائه وإغوائه، كما أن الإمام الحسن أولى بمعرفته بنحو أعمق وأدق من معرفة معاوية، فهو القريب المخالط..

وقد اعتمد معاوية في محاولاته التأثير على عبيد الله على الأمور التالية:

الأول: إضعاف عزيمة عبيد الله بادِّعائه له: أن الحسن «عليه السلام» قد راسله في أمر الصلح، وأنه متجه نحو الإنجاز، وسيسلم الحسن الأمر إليه.

ويلاحظ: أن عبيد الله لم يتحقق من صدق معاوية أو كذبه، وكأن خوفه من تفويت الفرصة على نفسه، أو شرهه للمال والمقام دفعاه للتغافل، وتلقى الأمر على أنه حقيقة وواقع، أو أن عبيد الله كان على درجة من الغفلة والسذاجة جعلته يصدق مزاعم معاوية، المعروف لدى القاصي والداني بمكره وغدره، وقلَّة مبالاته بالشرع، والقيم والمبادئ...

الثاني: الإغراء بالمال، مع ملاحظة: أن معاوية أرسل إليه شطراً من المال الذي عرضه عليه، وأبقى شطراً آخر كان عبيد الله يشتهيه ويشتاق إليه ـ أبقاه ـ أسيراً وحبيساً عنده إلى حين بلوغه مقاصده.

فأبقى عبيد الله يحلم بالحصول على هذا المال.. ويحفزه الشوق إليه إلى التخلي عن مروءته، ودينه، وكرامته، وإلى إدخال نفسه في دائرة الخائنين لله وللرسول، وللإمام، وللدين وللبيعة، التي كانت للإمام «عليه السلام» في عنقه.

الثالث: الإغراء بالجاه والنفوذ، والسلطة.. ولكن أبقى ذلك في دائرة التعريض والتصريح حين زعم له: أنه إن دخل في طاعته قبل الصلح كان متبوعاً.. وإن لم يفعل، فإنه سيدخل بعد الصلح في طاعة معاوية، تابعاً، مما يعني أن لن يحصل على امتيازات..

ولا ندري كيف تيقن عبيد الله من صدق معاوية فيما يخبر عنه، وما الذي

جعله يطمئن إلى وفاء من عرف بالمكر، والغدر؟!

ثانياً: إن الإمام الحسن «عليه السلام» لم يكن ليخفى عليه حال عبيد الله، كما قلنا، فأراد أن يتخمه بما يتوهم عبيد الله أنه عز وجاه، ومقام يلبي رغباته، وطموحاته، ليكون ذلك حجة عليه، وليسلبه أي مبرر ـ مهما كان مزيفاً وهزيلاً ـ يريد أن يخفف من قبح ما يقدم عليه من خيانة، يأنف أهل الشرف والعزة من تلويث سمعتهم بها.

ثالثاً: إن عبيد الله بن عباس كان موتوراً من قبل معاوية، الذي أرسل قائده بسر بن أبي أرطأة إلى اليمن، فقتل من قتل، وفعل ما فعل، وارتكب الجرائم والعظائم.

وكان عبيد الله والياً على اليمن من قبل علي، فلما سمع بتوجه بسر إليها من قبل معاوية هرب عبيد الله إلى علي، وترك ولديه وزوجته عند رجل من بني كنانة، فطلبهما بسر، فلما ظفر بهما أمر بقتلهما، وقتل الكناني معهما أيضاً.

ثم زحف إلى صنعاء، فقتل ماءة شيخ من أبناء فارس، لأن ابني عبيد الله بن عباس كانا متسترين في بيت امرأة من أبنائهم، تعرف بابنة بزرج[1].

---

(1) راجع: أفاعيل بسر في المصادر التالية: النصائح الكافية ص54 والإستيعاب (ط دار الجيل) ج1 ص157 والعلم الشامخ ص570 والكامل في التاريخ ج3 ص389 و 383 و 384 وتاريخ الأمم والملوك (ط الأعلمي) ج4 ص107 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج4 ص79 وج2 ص18 ومروج الذهب ج3 ص163 ومختصر تاريخ مدينة دمشق ج5 ص187 والأغاني (ط ساسي) ج15 ص45 وتاريخ مدينة دمشق ج10 ص13 و 154 والكامل للمبرد ج4 ص26 و27 وبلاغات النساء ص184

وبزرج كلمة فارسية.. لعلها: بزرگ، ومعناها: الكبير.

قالوا: وكان هذان الصبيان من أحسن صبيان الناس، وأوضئه، وأنظفه، واسمهما: عبد الرحمان وقثم، فذبحهما ذبحاً[1]، فمن يذبح له معاوية ولدين، بهذه الصفات، هل يتصور أن يترك ابن عمه ومن منحه ثقته، وبوَّأه المقامات والولايات؟! ولا يزال يجهد لمقاتلة عدوه، ويتعرض للأخطار والمهالك في هذا السبيل، هل يعقل أن يلجأ هذا الأب المفجوع بولديه، قبل وقت قريب: ـ أن يلجأ ـ إلى نفس ذلك العدو، لقاء حفنة من المال، وبعض الوعود المبهمة، مع أن ذلك العدو معروف بالمكر والغدر، وبارتكاب أفظع المآثم والجرائم؟!

إن خيانة هذا الرجل لابن عمه القريب، والمعادي لعدوه كانت غير متصورة، ولا يحتملها عاقل، ولا تخطر على بال جاهل.

ولأجل ذلك أعلن قيس بن سعد على الملأ قبح هذا الفعل حين خطب في من بقي من جيش عبيد الله بعد فراره إلى معاوية، فقال لهم: «وإن هذا ولاه علي على اليمن، فهرب من بسر بن أبي أرطاة، وترك ولديه حتى قتلوا، وصنع الآن هذا الذي صنع»[1].

والغدير ج11 ص19 وتاريخ اليعقوبي ج2 ص198 ونهاية الأرب ج20 ص259.

(1) تاريخ مدينة دمشق ج10 ص154 وتهذيب الكمال ج4 ص65 و 67 ومختصر تاريخ مدينة دمشق ج5 ص186 والإستيعاب (ط دار الجيل) ج1 ص160 وتاريخ الأمم والملوك ج4 ص107 وتاريخ الإسلام ج4 ص268 والوافي بالوفيات ج16 ص345 وج19 ص250.

(1) مقاتل الطالبيين ص65 و (ط المكتبة الحيدرية) ص42 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج16 هامش ص42.

وحصول هذه الخيانة لا يبقى أي مجال للشك بمآل الأمور، وما ستكون عليه الحال لو أن الإمام الحسن «عليه السلام» أصر على الحرب والقتال.

رابعاً: إنه «عليه السلام» قد فرض على عبيد الله حين جعله قائداً للمقدمة، ثلاثة أمور، هي:

الأول: أن لا يقدم على أمر إلا بمشورة قيس بن سعد، وسعيد بن قيس، مما يعني: أنه «عليه السلام» قد حصَّنه من أي خطأ يمكن أن يقع فيه، نتيجة تسرُّعه، أو لعدم الإحاطة بحيثياته وخفاياه، أو لأجل غفلة، أو قصور، أو غير ذلك..

الثاني: أن يرسل إلى الإمام بكل ما يحصل في كل يوم، فيكون أيضاً محصَّناً برقابة ورعاية وتسديد ومعونة من الإمام «عليه السلام» نفسه.

الثالث: أمره أن لا يقاتل معاوية، إلا إذا كان معاوية هو الذي يقاتله.. فيكون قتاله دفاعياً.. وهذا يعني: أنه «عليه السلام» لم يحرج عبيد الله، ولم يفرض عليه أية مهمة صعبة، أو تحتمل خطراً، أو ضرراً، أو أنها قد تأباها قناعاته، أو وجدانه، أو لا تنسجم مع طبعه، وحبه للسلامة..

لماذا مع ثمانية آلاف؟!:

وتقدم: أن عبيد الله انسل إلى معاوية مع ثمانية آلاف ممن كانوا معه(1).

ونلاحظ: أن انسلال ثمانية آلاف من جيش لا يزيد على اثني عشر ألفاً أمر مثير للتساؤلات، إذ كيف اتصل بهم عبيد الله، واتفق معهم على هذا الأمر؟!

---

(1) راجع: تاريخ اليعقوبي (ط النجف) ج2 ص191 و (ط صادر) ج2 ص214.

وكيف ميَّز بين من هم على شاكلته، وعلى مثل رأيه، وبين غيرهم؟!

ولماذا لا ينسل وحده إلى معاوية؟! وكيف ينسلّ ثمانية آلاف، ولا يفطن لهم أحد من جيرانهم؟! أو لا يسمع جلبتهم أحد؟! ولماذا؟ ولماذا؟!

ويمكن أن نلاحظ ما يلي:

أولاً: إن الاتصال بثمانية آلاف وتمييزهم عن مخالفيهم في الرأي والتوجه العام كما يكون بالمباشرة، كذلك قد يكون من خلال زعمائهم ورؤسائهم، وأصحاب القرار فيهم.. الذين يكون سائر أفراد قبائلهم بمثابة دمى في أيديهم.. لا يخالفون لهم أمراً، ولا يناقشونهم في رأي.

ثانياً: إن الأربعة آلاف مقاتل الذين لم يذهبوا إلى معاوية، لعلهم لم يفعلوا ذلك لا لأجل عدم رغبتهم فيه، بل لسوابق لهم ضده، خافوا من أن يأخذهم معاوية بها، ولاسيما الخوارج.. فإنهم عراقيون في نشأتهم، ولكنهم كانوا يكفِّرون معاوية، ويحاربونه بكل وسيلة.. كما يحاربون ويكفِّرون علياً وأهل بيته وشيعته، فعدم ذهابهم إلى معاوية لا يدل على ولائهم للإمام الحسن «عليه السلام».

ولعل مما يشهد على هذا: أنه تقدم: أن قيس بن سعد خيَّر الباقين منهم بين أمرين: إما أن يقاتلوا معاوية مع غير إمام، وإما أن يبايعوا بيعة ضلال..

فقالوا: بل نقاتل بلا إمام.

فبادر معاوية إلى محاولة إغراء قيس أيضاً، فلم ينفع ذلك معه.

ولعل مراد قيس من قوله: «من غير إمام»: أن يعرِّفهم: أن معاوية بخيانة من خان من رؤسائهم وأقرانهم قد أصبح أكثر اندفاعاً وثقة بنفسه، ولعله

قد استشرس عليهم، وربما لن يدعهم وشأنهم، بل هو سوف يلاحقهم ليخضعهم، والإمام الحسن بعيد عنهم، وهم جماعة قليلة، والخطر محدق بهم، فهم أمام خيار البيعة لمعاوية وهي بيعة ضلال، أو القتال تحت راية قيس نفسه، وهو ليس بإمام.. فقاتلوا معه، ودفعوا معاوية عن أنفسهم..

وليس مراده نفي إمامة الإمام الحسن، ونكث بيعته، والعياذ بالله..

ويدل على ذلك: أنه حتى بعد عقد المهادنة بين معاوية والإمام «عليه السلام» بقي قيس في موقع السامع المطيع الملتزم بيعته، الوفي بعهده بالنسبة للإمام الحسن «عليه السلام».

ثالثاً: بالنسبة للسؤال عن سبب اصطحاب عبيد الله ثمانية آلاف من أصحابه نقول:

لعله أراد أن يتعزز بهم عند معاوية، ويحمي موقعه ومكانته، ونفسه، ويضمن بلوغ مقاصده لديه، لأن ما يفعله عبيد الله يعدُّ هدماً لحق بني هاشم، وتضييعاً لحقهم، وتشييداً لباطل بني أمية، وإقامةً لصرح بغيهم.. وهذه يد جليلة لدى معاوية، وهي من الأولويات عنده، ويتوقع أن يعرفها ويعترف بها له، وأن يكافئه عليها.

وقد ذكر العلامة القرشي «رحمه الله»: أن عبيد الله بن عباس قد كتب بأخبار القادة والزعماء الذين أغواهم معاوية ـ كتب بها عبيد الله ـ إلى الإمام الحسن بالتفصيل..

ويبدو لنا: أن قيس بن سعد هو الذي كتب للإمام الحسن بذلك، كما تدل عليه النصوص التي اطَّلعنا عليها.. ولو صح أن عبيد الله هو الذي فعل

هذا، فهو يعني: أن هؤلاء الثمانية آلاف لم يذهبوا إلى معاوية من خلال عبيد الله.. فلعلهم تسللوا إلى معاوية بقرار منهم.. وإن كان يحتمل أن يكون هو الذي أغراهم بذلك ايضاً.. لكن ذلك لا يمنع من أن يتعزَّز بهم عبيد الله لدى معاوية بنحو أو بآخر(1).

خطبة قيس بن سعد:

وقد تقدم: أن قيس بن سعد حين ظهر له خيانة عبيد الله بن عباس لإمامه ودينه، خطب الناس، وأشار إلى أن هذا الرجل قد خان إمامه، وفرَّ إلى قاتل ولديه ذبحاً.

وأشار أيضاً إلى أن عبد الله بن عباس، وهو أخو عبيد الله قد سرق أموال البصرة حين ولَّاه علي «عليه السلام» إياها.. وكان ذلك في سنة تسع وثلاثين للهجرة..

غير أننا نقول:

لقد ذكرنا أكثر من مرة: أن هذا الكلام غير دقيق، فإن عبد الله بن عباس لم يفارق علياً «عليه السلام»، ولم يسرق شيئاً من بيت المال..

والذي حصل هو:

أنه تعالى قد حرَّم على نبيه والأئمة الطاهرين «عليهم جميعاً أفضل الصلاة والسلام»، وعلى ذرياتهم الزكاة التي جعلها الله في الأمور التي لا غنى للبشر

(1) حياة الإمام الحسن للقرشي ج2 ص90 وأشار في الهامش إلى شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج4 ص28.

عنها في وجودهم، وبها قوام حياتهم، وفقدانها يشكل خطراً على الوجود الإنساني كله، وهي الغلات الأربع، والأنعام الثلاثة، والنقدان: الذهب والفضة..

وأن الخلفاء قبل علي «عليه السلام» قد استولوا على الخمس الذي أكرم الله به نبيه والأئمة الطاهرين وذرياتهم، وجعل نصفه لمقام النبوة والإمامة ليصرف في الشؤون التي تحفظ الدين والأمة.. فلما بويع علي «عليه السلام» لم يرجع الخمس إلى أهله، لكي لا يجعل ذلك ذريعة للشغب عليه، وإثارة الشكوك والشبهات، بل طلب من مستحقيه من بني هاشم: أن يفوِّضوه في أمر صرفه في جهات أخرى، ففعلوا، ولم يكونوا يخالفون أمره، فأصدر «عليه السلام» أمره لعماله بهذا الخصوص.

فظن ابن عباس: أن هذا الأمر لا يصل إلى حد الإلزام، أو ظن: أن هذا التفويض إنما هو في خصوص ما لو لم يحتج إليه أهله، الذين أعطوا هذا التفويض.

فأخذ ابن عباس ما احتاج إليه بناء على هذا الفهم الخاطئ، فلما بيَّن له علي «عليه السلام» خطأه في فهم المقصود أرجع ما كان قد أخذه، وبقيت العلاقة بينه وبين أمير المؤمنين «عليه السلام» طبيعية، ولم يعزله علي «عليه السلام» عن عمله..

ولكن قيساً وغير قيس لم يكونوا يعرفون هذه التفاصيل، لأن المطلوب هو التكتم عليها، لأن إشاعتها، توجب البلبلة للأفكار، وتستدرج الكثير من الأقاويل، والتأويلات، وسيكون الكثير منها غير مقبول، ولا معقول..

ومن أراد الإطِّلاع على تفصيل ومصادر هذا الموضوع بصورة أشمل

وأكمل، فليراجع كتابنا: ابن عباس، وأموال البصرة.

قيس بن سعد باق على العهد:

1 ـ وقد لاحظنا: أن قيس بن سعد حين فعل عبيد الله بن عباس فعلته استطاع أن يمسك بقرار من تبقى معه من المقاتلين، وأن ينهض بهم لمواجهة معاوية..

ولم تنفع محاولة بسر بن أبي أرطاة في صدهم عما عقدوا العزم عليه، من خلال كذبة حاول أن يجعل منها وسيلة لهزيمتهم نفسياً، حيث ادَّعى لهم: أن الإمام الحسن «عليه السلام» قد صالح.. فلا مبرر لموقفهم هذا، لأنه سوف ينتهي بقتل أنفسهم..

وهذه الكذبة قد ذهبت أدراج الرياح، فإنه لو كان الحسن «عليه السلام» قد صالح، فأول من يجب أن يعرف: هو قيس بن سعد، وسعيد بن قيس، وسائر الرؤساء والقادة..

ولم يكن عبيد الله بن عباس بحاجة إلى التسلل ليلاً إلى معاوية، بل كان يذهب إليه جهاراً نهاراً.. بل لم يكن بحاجة إلى التسلل لا في الليل ولا في النهار.

ولعل هذا كله هو الذي أرشدهم إلى أن معاوية يحاول أن يخدعهم من خلال بسر..

2 ـ ثم حاول معاوية أن يستميل قيس بن سعد بوعوده، وإغراءاته.. فلم يستجب إليه قيس، فلما يئس منه، عدل عن اللين إلى الشدة.. محاولاً الضرب على وتري: المطامع والأماني أيضاً، والتهديد والوعيد.. فزعم له: أن الفوز إن كان لمن يتولاه قيس، وهو الإمام الحسن، فإن الحسن سوف ينبذه ويعزله.

وإن كان الفوز لمعاوية الذي يبغضه قيس، فسوف يكون جزاؤه عند معاوية التنكيل والقتل..

مع أن معاوية، وإن كان قد صدق في وعيده لقيس بالتنكبل والقتل، ولكنه كذب عليه في ادِّعائه أن الإمام الحسن سوف ينبذه ويعزله.. فإن الإمام الحسن «عليه السلام» هو الصفي الوفي، الذي لا يعمل إلا بما يرضي الله عز وجل، ولم يكن قيس ممن يغضبه العمل بما يرضى الله..

كما أنه لم يكن ممن يطلبون المناصب والمقامات، ليكون عزل الإمام الحسن «عليه السلام» له حين تنتهي مهمته من موجبات نقمته على الإمام..

3 ـ وكان جواب قيس لمعاوية دقيقاً وصارماً، ومطابقاً للواقع.. والقسوة التي يلمسها الناظر فيه لم تكن بسبب ابتكارات إنشائية وتعبيرية، حفل بها الكتاب، وصنعتها براعة قيس في رسم الصور والمشاهد المثيرة، بل هي قسوة الحق، ومرارة الواقع الذي صنعه معاوية وفريقه وأسلافه لأنفسهم بأيديهم، وعن سابق علم وتصميم واختيار منهم. وقديماً قيل: «على نفسها جنت براقش».

وبراقش: اسم كلبة دلَّت الغزاة بنباحها في ليلة ظلماء على موقع نزول أصحابها، فهاجموهم، وقتلوها وقتلوهم، فقال قائل منهم حين رآها مقتولة كلمته هذه، فذهبت مثلاً..

وبعدما تقدم نقول:

لقد حان الوقت للدخول في الأجواء التي فرضت عزوف الإمام الحسن «عليه السلام» عن الحرب إلى المهادنة، وفق شروط معيَّنة، سوَّغت ذلك، فلاحظ ما يلي من فصول..

الفهارس

1 ـ الفهرس الإجمالي
2 ـ الفهرس التفصيلي

الفهرس الإجمالي

الفصل الخامس: وصايا علي ×...................................... 5

الفصل السادس: التجهيز والدفن.. 34

القسم الرابع: من استشهاد علي × إلى استشهاد الحسن ×..... 57

الباب الأول: الحسن × خليفة وإمام.. 59

الفصل الأول: أيام الخلافة الأولى.. 61

الفصل الثاني: خطبة الإمام × برواية الخزاز.. 104

الفصل الثالث: البيعة للإمام الحسن ×.. 141

الباب الثاني: الإمام بين عدوين: أحدهما أصحابه............ 180

الفصل الأول: مراسلات قبل التحرك إلى الحرب 182

الفصل الثاني: جواسيس تقتل.. ورسائل ترسل.............. 234

الفصل الثالث: قبل معسكر النخيلة.. 253

الفصل الرابع: الخيانات.. وأسبابها.......................... 279

الفصل الخامس: ما جرى في مظلم ساباط.. 316

الفهارس 353

الفهرس الإجمالي 355

الفهرس التفصيلي 365

الفهرس التفصيلي

الفصل الخامس: وصايا علي ×.. 5

بداية:.. 7

المتهم قبل ارتكابه الجريمة: 7

اعتقال المجرم.. ووصايا علي ×: 10

علي في وصاياه: 12

توقير ابن الحنفية للحسن والحسين ': 12

لماذا خصوص ابن الحنفية؟!:... 13

رعاية الحسنين ' لابن الحنفية:... 15

برّ الحسن والحسين ': 16

الوصية للإمام الحسن:.. 17

الإمامة والوصية:... 17

الحسنان ' في صدقات علي: 22

عين أبي نيزر:.. 23

هل تباع الصدقة؟!: 25
وصايا علي بابن ملجم:.. 27
حديث الإغماء:... 28
لا تمثلوا بابن ملجم: 29
شواهد عن حالة الناس:.. 31
الفصل السادس: التجهيز والدفن.. 34
استشهد علي والحسين غائب: 36
الحسنان ‘ في التجهيز والدفن: 38
رواية مكذوبة: 43
إحراق ابن ملجم بالنار:.. 46
الإفتراء على الحسن والحسين ‘ أيضاً: 47
هل يرجع علي في آخر الزمان؟!:.. 51
القسم الرابع: من استشهاد علي × إلى استشهاد الحسن ×. 57
الباب الأول: الحسن × خليفة وإمام.. 59
الفصل الأول: أيام الخلافة الأولى.. 61
يدفن أباه ويرثيه:.. 63
الإمام الحسن ×: خلافة وإمامة: 65
خطبة الإمام الحسن × في اليوم الأول:................................. 74
إختلاف نصوص الخطبة: 77

يفديه بنفسه:... 77

لم يسبقه الأولون ولا يدركه الآخرون: 78

جبرئيل وميكائيل عن يمين علي وشماله: 80

توافقات بين علي والأنبياء ^:............................... 82

لا صفراء، ولا بيضاء:.. 86

إعادة السبع مئة درهم إلى بيت المال: 89

ملاحظتان:.. 90

أنا الحسن بن محمد:.. 90

ابن البشير النذير.. والسراج المنير:............................ 99

من أي أهل بيت:.. 100

وأنا ابن الوصي:.. 100

لماذا لم يشتر الخادم بعد ضربته؟!: 101

الفصل الثاني: خطبة الإمام × برواية الخزاز............... 104

الخطبة برواية الخزاز:....................................... 106

إختلافات نصوص الخطبة:.................................... 107

موارد الإختلاف:... 108

ويشهد لذلك ما يلي:.. 108

الثناء على الله سبحانه:..................................... 115

إرث ابن الحنفية: 119
الإمامة، وحفظ الشريعة: 124
إن للماء أهلاً وسكانا: 128
سبع ديات لتخليص قاتل: 132
ما أخذ عن الحسنين من الفقه: 136
الفصل الثالث: البيعة للإمام الحسن ×.. 141
البيعة بعد الخطبة: 143
متى كانت البيعة؟!: 145
بيعة شاملة وعامة: 146
لماذا هذا الإشتراط؟!:... 147
خطأ قيس بن سعد: 150
عبيد الله، أم عبد الله: 151
رسالة الإمام الحسن × لابن جندب: 153
أمناء الله في أرضه:.. 156
بنا فتح الله: 161
وبنا أطعمكم الله عشب الأرض: 162
هم المنقذون عند الشدائد الستة: 164
شهداء أهل البيت وشيعتهم: 165
النجباء أفراط الأنبياء: 166

خطاب الإمامة: 166

الأئمة نور واحد: 168

حزب الله الغالبون: 169

العترة الأقربون:... 171

أهل بيته الطيبون الطاهرون:.. 171

أحد الثقلين: 172

تيقن حقائق القرآن:.. 173

توضيحات: 174

يعزُّونه فيجيبهم: 174

الباب الثاني: الإمام بين عدوين: أحدهما أصحابه.. 180

الفصل الأول: مراسلات قبل التحرك إلى الحرب 182

كتابه لمعاوية بعد البيعة: 184

جواب معاوية بنصوصه المختلفة: 199

قريش أحق بها:... 199

الحسن يطلب الخلافة بحق أبيه: 201

معاوية يؤلب على الإمام الحسن: 204

إطراء معاوية لأبي بكر: 208

الدعاوى الفارغة:... 211

إتهامات معاوية لعلي:.. 215
هل اتفق الحكمان؟!: 216
من اتهامات معاوية لعلي ×:.. 217
هل الحسن × أمير المؤمنين؟!: 221
بوادر الحديث عن الصلح: 223
إغراءات معاوية:.. 224
تهديدات معاوية:.. 225
معاوية لا يعلم الغيب:... 226
لا غميزة في بني أمية: 228
الحسن أولى الناس بالخلافة:... 229
الخونة يكاتبون معاوية: 230
جواب الإمام الحسن لمعاوية: 231
الفصل الثاني: جواسيس تقتل.. ورسائل ترسل.. 234
جواسيس معاوية في الكوفة والبصرة:................................... 236
الحزم الحسني:... 239
الإمام يحرج معاوية:.. 241
جواب معاوية: 243
رسالة ابن عباس إلى معاوية: 244
رسالة ابن عباس للإمام الحسن ×: 246

الفصل الثالث: قبل معسكر النخيلة............................ 253
بعد جمع معاوية للعساكر: 255
الصلاة جامعة:.. 258
عن الجهاد.. والصبر: 261
بلغني أن معاوية بلغه: 263
اخرجوا إلى المعسكر حتى ننظر وتنظرون: 265
الإمام يتوقع خذلان الناس له:... 267
الثياب السود:.. 268
منبج لماذا؟!: 269
المخلصون الغيارى: 270
الإمام الحسن إلى المعسكر:.. 272
من النخيلة إلى دير عبد الرحمان: 272
سرايا لوقف زحف معاوية:.. 274
كيفية التعامل مع هذه الفرقة: 275
خطة عمل لابن عباس:.. 276
أوامر أخرى أصدرها لابن عباس:................................... 277
الفصل الرابع: الخيانات.. وأسبابها............................ 279
بداية:... 281

الحسن × إلى النخيلة:.. 286

جيش معاوية: 289

استلحاق زياد لا يحلّ المشكلة:.. 290

جيش الإمام الحسن ×:.. 294

تاريخ التحرك لحرب معاوية:.. 301

رواية الحارث الهمداني: 302

إختلافات وأخطاء: 307

هل يناسب الجواب الخطاب؟!: 307

ثم زادهم فضيحة أخرى:.. 309

حديث الكندي والمرادي:.. 311

رسالة معاوية إلى الإمام الحسن: 313

الشاهد السادس:.. 314

الفصل الخامس: ما جرى في مظلم ساباط.. 316

مؤامرة معاوية لقتل الإمام:.. 318

توضيحات: 325

صلوا أرحامكم بقتل الأرحام: 325

معاوية يتآمر: 326

كشف المؤامرة والتحرز منها: 327

الأشعث بن قيس لماذا؟!:... 330

المختار، وتسليم الإمام لمعاوية: 331

الإمام الحسن ينظر إلى العواقب: 340

تميز الأولياء عن الأعداء: 343

خيانة عبيد الله بن عباس غير متوقعة: 349

لماذا مع ثمانية آلاف؟!: 354

خطبة قيس بن سعد: 357

قيس بن سعد باق على العهد: 358

الفهارس 353

الفهرس الإجمالي 355

الفهرس التفصيلي 365